

إِسْمَ

اسم الكتاب: إرم

اسم المؤلف: محمد الرفاعي

تدقيق لغوي: عبد الفتاح السيد

تصميم الغلاف: علي عطية

إخراج داخلي: ساندي شريف إبراهيم

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٢٦٥

الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٤٦

جميع الحقوق محفوظة للناسر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه
للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.



E-mail: ebharpublishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

محمد الرفاعي

إرم
(بلا حدود)



الفصل الأول

اللامكان

صغيرٌ في كل مكان، نسيمات الرياح التي تداعب وجهه، حبات الرمال التي تلتصق بجسده، وأنفاسه التي ترتطم بالأرض الخارجة من جسد لا يقوى على الحراك؛ هذا آخر شيء شعر به قبل أن تستسلم جوارحه. وعادت لتدرك.

_ هيا أسرعوا لابد وأنه حي.

_ من يكون؟

_ لم أره من قبل.

_ لنذهب به إلى الطبيب.

_ إنه خارج القرية.

قلّت ضربات قلبه شيئًا فشيئًا حتى أدرك مرة أخرى.

_ كيف حاله؟

_ لم يمر علي هذا الأمر من قبل أن حواسه على ما يرام، ولكن خمول جسده ... لا أعلم؛ ما يطمئني لا كدمات لا جروح إنه يتنفس، ولكنه بحاجة إلى الغذاء.

_ كيف هذا وهو لا يقوى على فعل شيء؟!

_ يجب على أحدهم أن يمضغ الطعام، ثم يضعه داخل فمه إنها الطريقة الوحيدة وإلا فقدناه.

غرفة من الخشب بها إضاءة بسيطة كافية، وجواره مقعد أمام شرفة، حاول التركيز، ولكن سرعان ما يفقده بسبب الألم، أغمض عينه، وتسارعت ضربات قلبه، وشعر بقطعة من القماش على مقدمة رأسه فتح عينيه، وازداد الألم ثم أغلقها مرة أخرى، وسمع صوت خطوات يظن أنه الموت يقترب منه أكثر فأكثر حتى اختفت.

وأنصت:

_ ألم يستعد وعيه بعد؟

_ لا يا أبي، أخشى أن تزداد حالته سوءًا إن حرارة جسده ترتفع من الحين للآخر.

_ سأذهب لآتي بالطبيب.

عاد صوت الخطوات الثابتة، ولكنها اختفت شيئًا فشيئًا.

_ هل سيكون بخير يا أمي؟

_ أمل ذلك يا عزيزي.

مر الوقت، وفتح عينيه، وأدرك أنه مازال في الغرفة نفسها جف لعابه من شدة الظمأ حرك شفتيه، فوجد فتات من الطعام في فمه، تمنى التحدث ولكن جفاف حلقه جعلت كلماته مجرد همهمات، وبعد لحظات عاد ألم رأسه، وتسارعت ضربات قلبه رفع يديه في ضعف، وأمسك رأسه وعلى وجهه ملامح الألم أصوات ألمه ارتفعت وتحولت إلى صراخ دلفت إليه امرأة وعلى وجهها ملامح الفزع،

وَأَمْسَكَتْ بِيَدِهِ قَائِلَةً:

_ مَاذَا هُنَاكَ؟ .. مَا بَكَ؟ ..

دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُيْهَا سَائِلًا عَمَّا حَدَثَ فَأُجَابَتْهُ أَنَّهَا لَا تَعْلَمُ، فَجَاءَتْ وَجَدَتْهُ هَكَذَا إِلَى أَنْ أَبْعَدَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجِيبُ، وَمَا زَالَ مُمْسِكًا رَأْسَهُ، وَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَكْثَرَ وَعَلَى وَجْهِهِ عِلَامَاتُ الصَّرَامَةِ سَائِلًا عَنْ اسْمِهِ، وَحَالَتِهِ الَّتِي يَرْتِي لَهَا جَعَلَتْ ابْنَتَهُ تَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا يَعِي، وَلَا يَدْرِكُ شَيْئًا. دَخَلَ الطَّيِّبُ مَسْرِعًا إِلَى الْغُرْفَةِ حَتَّى أَمْسَكَ الرَّجُلُ ذِرَاعِيهِ فِي قُوَّةٍ صَارِخًا فِي وَجْهِهِ:

_ مَنْ تَكُونُ؟

تَفَاجَأَ الطَّيِّبُ بِمَا حَدَثَ، وَأَسْرَعَ فِي قَوْلٍ:

_ إِنَّكَ تَوَلَّمَهُ يَا سَيِّدَ (شَيْحَان).

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ، وَضَغَطَ عَلَيَّ ذِرَاعِيهِ بِقُوَّةٍ صَارِخًا إِلَى أَنْ قَالَ:.

_ (ثَاثَاثَر).

هَذَا مَا قَدْ سَمِعَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْقِدَ الْوَعْيَ.

_ أَسْتَاذُ (ثَاثَر).... تَفْضُلُ.

أَخَذَ شَهِيقًا، ثُمَّ خَرَجَ مُتَجَهًّا نَحْوَ غُرْفَةِ الْمَكْتَبِ طَرُقَ الْبَابَ عِدَّةَ طَرَقَاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ قَائِلًا:

السلام عليكم.

_ تفضل.

مد يديه بالملف فأخذه منه، وفحص الأوراق، وقام بسؤاله عدة أسئلة،
ويجيب (نائر) عليه بثقة ليبتسم الرجل قائلاً:

إنت ورقك كله تمام حتى ثقتك وثباتك ملفتين للانتباه.

ارتسمت الابتسامة على وجهه.

شكرًا يا فندم، يا رب أكون عند حسن ظنك.

ومن ثم سأله بعد أن ضم يديه إلى بعضها.

_ إنت ولدك شغال إيه.

صمت لبرهة، ثم قال:

_ الحقيقة يا فندم أنا ولدي تركنا وأنا صغير و.....

قطع حديثه عينه، وهي ترى إغلاق الملف وقيام الرجل بإشعال سيجار
وإخراج دخانه في وجهه، ومن ثم قدم له الملف:

_ لو احتجنا لك هنكلمك.

رد (نائر) في نبرة حزن غير مصدق ما يحدث معه:

هو فيه مشكلة في ملفي يا فندم.

رد عليه ونظرات اللامبالاة على وجهه:

_ لو احتجنا لك هنكلمك... شرفت.

خرج نائر من المكتب إلى الشارع كما جاء مدرّجاً أنه لا يوجد فرصة أمامه ممسكاً بملفه الذي أضاع من عمره سنين في التعليم من أجل الحصول على فرصة للحياة، ولكن الفرص دائماً تأتي للأشخاص الخطأ، تكاثلت سنين حياته، وأصبحت عقبات تحول بينه وبين حياة طبيعية، أصبحت سراباً لا يفارق عينيه أبداً، ظل يسير هائماً في أفكاره، ورأى من حوله خيالات أشخاص بكلمات تتداخل مع بعضها.

_ العز لأولاده والفقر للي زيك.

تضامنت معها كلمات:

_ إنت ولدك شغال إيه.

وأخرى.

_ متقلقش أنا على طول جمبك.

ساندتها كلمات:

_ إنت لازم تحقق حلمك.

أسكتتها كلمات أخرى:

_ مكانكم دائماً الأرض مينفعش تسبوها.

وأخرى:

_ لو احتجنا لك هنكلمك.

ويعود الصوت ذاته:

_ أنا دائماً معك.

_ أنتم وباء.

_ حلمك.

_ دائماً.

_ شرفت.

أصوات متداخلة، وخيالات في كل مكان لا يستطيع الهرب منها، هرول
كالمجنون في الشارع ممسكاً رأسه صارخاً:
_ كفا الية.

أخرج المفتاح من جيبي، وفتح باب البيت، ودخل فوجد طفلاً في السابعة
من عمره، جالساً يشاهد التلفاز تقدم نحوه في خفة، ووضع يديه علي عينيه
قائلاً:

_ لو قلت أنا مين هجبلك بلالين.

_ إنت (ثائر)، وأنا (كريم).

أبعد (ثائر) يديه من عليه ضاحكاً، والتف الطفل إليه، وهو يقول:

_ كنت فين يا ثائر دا بابا جه وسأل عليك و(ندى).....

أهي وراك.

ضحك علي منظره بعد أن التف ببطء حتى سمع:

_ لسه بدري يا بيه... مهو إحنا لازم نستنى سيادتك لحد ما تيجي.. أنا معرفش ليه.. هو خالك اللي عامل فينا كدا بسبب سموك.. إمتة الوحدة تتراح بقى وتمشي من البيت ده.. أه طبعاً سييني أكلم نفسي.. مهو لو إنت بتقدر مكنتش إتاخرت كدا.... بس هقول إيه دا قضاء ربنا... أكفر يعني.. أنا ست مؤمنة.. روح اغسل إيدك عشان ناكل.

وقف محاولاً إخفاء علامات الضحك من على وجهه بعد أن عادت

(ندى) إلى المطبخ، ونظر إلى كريم:

_ هي شاحنة على كام النهارده.

_ أعتقد للآخر.

_ خليها نايمة، وإبقى شد الشاحن من الكهرباء، على كل تلاقيها خلصت شوية شحن في الحبة دول.

_ لا مهني بتجدد كل شوية.

_ إنت رخم على فكرة.

قام نائر بمسكه من ذراعيه، ورفع عاليًا، وعلت ضحكاته، وما إن سمع من خلفه صوت ندى:

_ إنت لسه واقف.

وضع كريم أرضاً، وذهب في سرعة من أمامها حتى دخل غرفته، وجلس على فراشه، وبعد دقائق سمع طرقات على باب غرفته مع الصوت الذي أراد دائماً أن يمحّر من أذنه:

_إنت يا بيه مش هنستناك النهار بطوله.

لم يجبها، ومن ثم تلقى منها كلمات بنبرة سخافة:

_ ماشي متردش بس خالك بره، وإنت حر معاه.

وذهبت وهي تتمتم بكلمات:

_إمته الوحدة تطفش من البيت ده بقا.

أخرج زفيره، وخرج إلى طاولة الطعام، ووجد خاله (عباس) مبتسماً:

إيه يا بطل قافل على نفسك ليه؟

ردت (ندى) بسخرية تامة:

_هي أول مرة.

ثم خرج منها صوت ضحكات مكتومة، نظر لها والدها ثم نظر إلى نائير مشيراً بيده للجلوس بجواره، تقدم دون كلام، وجلس في هدوء، وأنصت:

_إيه رأيك أشوف لك شغل في المصانع اللي حوالينا.

ردت ندى:

_دي فكرة كويسة جداً.

أردف عباس:

_ إيه رأيك يا حبيبي.

رد عليه:

_ اللي تشوفه يا خالي.

_ مش اللي أشوفه إنت عايز ده ولا لأ؟

تداخلت كلمات ندى بينهم:

_ مش هيعوزه ليه؟ ولا عجبته القعدة.

نظر إليها نائر في صمت، وتحولت عين والدها إليها قائلاً:

_ ندى .. احفظي لسانك، وكملي أكلك وإنتي ساكتة.

وأعاد نظره إلى نائر مرة أخرى، وأردف:

_ قولت إيه يا ابني.

_ تمام يا خالي أهو على الأقل لحد ما أشوف شغل في مجالي.

وأردف بعد أن نظر إلى ندى:

_ الوجود في البيت مش هيعملي حاجة دا غير إنه مش اختياري... تحبي

تعرفي سبب أنا ليه مشغلتنش لحد دلوقتي.

قطع كلامه صوت خاله:

_ الحمد لله.

وأردف بعد أن نهض:

_ كمل أكلك وتعلالي المحل .. عايزك نتكلم شوية.
أوماً (ثائر) رأسه إيجاباً، وبعد ساعة دخل (ثائر) محل العطور، وكان خاله
جالس على المكتب ألقى عليه السلام، وجلس بدون مقدمات:
_ إنت مش عايز تنسي أبداً.
_ أنسى إيه.
_ وبعدين.
أخذ ثائر شهيقاً، وأخرجه بعد أن أبعد وجهه عنه للحظات، وأعاد النظر إليه
وهو يقول:
_ في حاجات كتير.....
قطع كلامه عباس:
_ أمك ما تستحقش منك كل ده، هي شافت كتير، واتهدلت عشان تحافظ
عليك، وإنت في بطنها، إنت متوعاش عليها... أنا اللي بقولك ده.. أنا اللي
ربيتها زي ما ربيتك أمك ست عظيمة.
نظر له، ورفع حاجبه الأيمن في استنكار، فانتفض خاله وعلا وجهه علامات
الغضب، قائلاً:
_ إياك تعمل كدا تاني.
رد (ثائر) في حدة:
_ إنت حتى مش راضي تقولي السبب.

_ متغرش الموضوع.

_ موضوع إيه.

تلثم (عباس) قليلاً، ثم سارع في قول: إنت من بكره هتنزل شغل في مصنع الأحذية، هتروح هناك، وتسأل عن أستاذ (جلال)، وهو هيدلك.

أخرج (نائر) زفيره، قائلاً:

_ ماشي.

ثم استاذن، وغادر المكان، وذهب إلى البيت، ودخل غرفته، وأغلقها عليه كالعادة، إنها الوحدة التي لا تفارقه أبداً، وغاص في نوم عميق من كثرة التفكير، فما يوجد حوله سوى الهدوء.

هدوء تام داخل الغرفة، ولكنه سمع همهمات في الخارج حاول التركيز وأنصت:

_ ماذا هناك؟... ماذا حل به؟.

قال (الطبيب) في غضب:

_ ما كان عليك أن تفعل هذا.

رد عليه (شيخان) في لامبالاة:

_ إنه في بيتي منذ أيام، ولا أعرف عنه شيئاً أو من يكون حتى.

_ هذا لا ينكر ما فعلته.. كنت ستسبب له أذى، إننا لا نعلم بعد ما هي حالته؟

قال (شيخان) في غضب:

_إنه غريب، ولا يمكن له المكوث هنا طويلاً.. اختلق شيئاً؛ لإخراجه من هنا.

قال (الطيب) في دهشة:

_ماذا دهاك؟... مستحيل أن يخرج من هنا وهو في هذه الحالة.

_هل يجب علي أن أكفله وهو لا يمت إليّ بصلة؟

قطع حديثهم، فتح باب الغرفة وخروجه في بطاء دون النظر لهم، وحرك رأسه يميناً ويساراً باحثاً عن الباب للخروج حتى أسرع (الطيب) إليه، وأخبره أنه من الخطر أن يتحرك، نظر إليه في إعياء شديد، وصمت، وأكمل الخروج خطوة خطوة.

خرج (نائر)، ورفع يديه أعلى وجهه حاجباً القليل من ضوء الشمس رأى أمامه سماء زرقاء صافية إلى حد الجمال، وأخفض نظره إلى الأرض، فوجدها رملية ابتعد قليلاً عن البيت ذاته، والتف حوله لا يعي شيئاً مما يراه بيوت خشبية أمامه وتربة رملية وبعض الأشجار ظل يسير، وكاد الظمأ أن يبلغ آخر جسده رأى جمع من العامة، وعندما اقترب وجده بئر نظر إليه وإلى الماء الخارج منه إلى أن سأل صاحب البئر عما يرد من الماء فلم يجبه أعاد الرجل سؤاله مرة أخرى فلم يقوَ (نائر) إلا أن يقول كلمة واحدة:

_عطشان...

نظر الرجل إليه في عجب واستنكار، وسرعان ما أدار وجهه عنه، وتابع عمله وهو مازال واقفًا، وكانت حالته يرثي لها إلى أن تقدم إليه أحد من المارين سائلًا:

_تريد شربة ماء.

اوماً برأسه إيجابًا، فذهب الرجل وأعطى لصاحب البئر ثمرة، وأخبره بأن يعطي لذلك الرجل الماء، رد عليه صاحب البئر أنه سوف يعطيه الماء حتي ولو لم يملك ما يقاوضه، ثم انصرف في ظل شروود (ثائر)، وكان حرارة الشمس قد أثرت على وعيه، أخذ الماء، وشرب حتى ارتوى، ثم نظر إلى صاحب البئر، وابتسم له، وغادر، أخذته قدماه إلى بيت قديم لا يبدو أن أحدهم يسكن فيه، جلس على الأرض، وأسند ظهره إلى البيت، ورفع رأسه إلى السماء، وبعد فترة من المكوث سمع صوت أحدهم يقول:

_مازلت هنا.

نظر إليه ثم ابتسم له في لطف، وقام من مكانه وقف صامتًا أمامه، نظر ذلك الرجل إلى ثيابه الغريبة قائلاً:

_إنت غريب عن هنا أليس كذلك؟

اوماً (ثائر) رأسه إيجابًا وأردف الرجل:

_من أين جئت؟

ظل صامتًا لا يعلم ماذا يقول؟، ولكن الرجل لاحظ رثاء حاله؛ فأخرج من حقيبته كيسًا من الحبوب، ثم مد يديه قائلاً:

_خذ هذا إن احتجت طعامًا قايضه بما تريد.

هز رأسه بالنفي، ولكنه أخبره أن لا عليه في وقت ما سوف يقدم ما قدم له إلى أن يملك شيئًا في هذه القرية، ثم اقترب منه ووضع يديه علي كتفه مبتسمًا، أخذ (ثائر) الحبوب، ونظر إليه نظرة امتنان، ثم غادر الرجل دون أن يذكر اسمه حتي جلس مكانه محاولًا أن يعرف كيف وصل إلى هنا؟.. كيف له الحياة في بلد غريب؟ وما سبب وجوده هنا؟ لا بد وأن القدر لديه طريق له مهما كان من درب لا بد وأن يتعلم كيف يسير به؟، فإن اعتمد على أحدهم خاب وضل وإن ظل يقول ماذا أفعل؟ لكان الهلاك مصيره لا يوجد من يعطيك شيئًا، عليك أن تعمل من أجله، فالأمر يستحق، وأتى الليل عليه، وأظلمت الدنيا، فدخل إلى البيت الذي كان يسند عليه وضع بعض من الأخشاب الملقاة أسفل رأسه، وخبأ كيس الحبوب في ثيابه، ونام في ثبات من كثرة الإعياء وإرهاق التفكير.

أشرقت الشمس، ونشرت أشعتها على وجهه، استيقظ ونظر أمامه فوجد (الطبيب) وعلى وجهه ابتسامة خفيفة قائلاً:

_كيف أصبحت الآن؟

قام من مكانه قائلاً في لطف:

_شكرًا لك.

رد الطبيب:

_لا عليك إنه واجبي.

ثم أردف:

_ماذا الآن؟

رد (نائر) ضاحكاً في هدوء:

_ لا تسألني.

_ إذا سوف تجلس هنا، وتنتظر من يأتي لمساعدتك.

نظر إلى الأرض، ثم رفع نظره إلى الطبيب، وأردف:

_ إن كنت تنتظر هذا فكفاك مزاح، هنا في (بيان) الناس يعملون من أجل الحياة والشعور بالذات؛ فمنهم من يعمل صياداً على شاطئ بيان ومنهم من يعمل تاجرًا في قلب بيان بجانب بعض الأعمال من الحرف اليدوية، فاختر ما تبرع فيه، واجتهد حتى تستطيع العودة إلى أرضك.

أخرج (نائر) زفيره وشكره فحدثه الطبيب أن يأتي معه، فسأله في تعجب:

_ إلى أين؟

أخبره إلى مكان يستطيع الراحة فيه اليوم.

لم يملك الرفض فوافقه، وخرج من البيت المهجور وهم يسرون، لفت نظره أشكال البيوت المتباعدة عن بعضها في شكل هندسي منظم تلك البيوت المصنوعة من الأخشاب التي يوجد جوارها أشجار على اليمين وعلى اليسار نظر أعلاها، ورأى أربعة ألواح من الخشب للشكل الهرمي وفوق كل لوح أعداد من الألواح الأخرى متعجباً من غايتها المجهولة له، ورأى بيوتاً أخرى لها طابقان وثلاثة طوابق، ولاحظ انخفاض عدد الطوابق

كلما اقتربت من الشاطئ الذي كان على مرمى بصره، ظل يسير معه متأملاً
هذا المكان خطف نظره طفل تقدم إليه، وقف (نائر) دون حراك، ولاحظ
(الطبيب) هذا، وقف هو الآخر واقترب الطفل قائلاً:

_مرحباً.

نظر (نائر) إليه دون كلام يظن أن حرارة الشمس قد أثرت على عقله أم
أنها خيالات

رد (الطبيب) :..

_ أهلاً يا (سليم) .. ماذا تفعل هنا وحدك؟.

رد الطفل :

_ لقد كنت مع أمي وعندما رأيته مع العم أحببت الاطمئنان عليه.

نظر (الطبيب) إلى (نائر) الذي لم يبعد نظره عن (سليم) إلى أن أتت
والدته وأمسكته من يده قائلةً :..

_ أتمنى أن لا يكون سبب لكم الإزعاج.

رفع (نائر) نظره إليها، واتسعت عيناه، وخفق قلبه، وقبل أن يلفظ بحرف
قد غادرو سأل (الطبيب) عن ما به فرد بعد أن همهم بكلمات وأفاق من
شروده :..

_ لا شيء

_ لنكمل فقد شارفنا علي الوصول.

ظهرت على (نائر) علامات الخمول عقله لا يقوى على تفسير كل ما يحدث له لم يلاحظ حتى أنه اقترب من بيت (شيحان) إلى أن وصل إلى بيت بالقرب منه، وطرق (الطبيب) الباب فتح رجل نظر إلى (الطبيب) ثم إلى (نائر) قائلاً:..

_ تفضلاً بالدخول.

دخل ومن بعده (نائر) الذي لم يرفع رأسه عن محل قدمه، وتحدث الطبيب:..

_ نأسف على إزعاجك يا سيد (كبير)، ولكنني كنت آمل أن تبقى عندك بعض من الأيام حتى يستعيد عافيته.

نظر (كبير) إليه قائلاً:..

_ ألم يكن عند (شيحان)..

_ نعم.

ثم أردف:

_ ولكنك تعلم السيد (شيحان) أكثر مني.

أوماً رأسه إيجاباً، ثم نظر إلى (نائر) مرة أخرى، وأردف:

_ لا تقلق.

بعد أن غادر ذهب لإحضار الطعام، ثم وضعه أمامه:

_ تفضل هذا، وارتاح قليلاً سوف أعود إليك بعد قليل.

أوماً (نائر) رأسه إيجاباً، وخرج (كبير) من البيت، وطرق الباب فتحت (صُفيرة)، وسألها عن أبيها؛ فأخبرته أنه بالداخل، دلف إلى الغرفة، وكان جالساً ممسكاً ورقه، حيث رحب به، ونظر (كبير) إلى (صُفيرة)، وأشار لها بالخروج. أومات رأسها إيجاباً، ثم جلس قائلاً:

ـ أين الغريب يا صديقي؟

ظهرت على (شيخان) علامات الدهشة منتظرًا أن يكمل حديثه بالتأكيد لن يخفى عليه هذا الأمر، ثم أردف في نبرة حادة:

ـ منذ متي ونحن لا نكرم غرباء (بيان) يا سيد (شيخان)؟ .. منذ متي ونحن نتناسى حق الغرباء علينا؟ إنها عاداتنا لم نسمح يوماً أن يقول أحدهم قد أهنت في بلاد وعلي أرض (بيان) لقد أخبرتك أن أتولى رعايته، وأنت من رفض هذا.

ظل (شيخان) مستمعاً، ولم يعلق بحرف واحد إلى أن أنهى كلامه رد عليه في هدوء:

ـ عندما رفضت استضافتك له كان من أجل رعايته فليس لديك أحدٌ في بيتك وأنت في الخارج تهتم بتجارتك.. وأنا لا أنسى حق الغرباء علينا فقد قامت ابنتي بالاهتمام به ومداواته، ولكن ما قولك في زعيم يدخل بيتي.

نظر (كبير) إليه في غضب، وأردف:

ـ أنت أكثر من يعلم إن كنت ظالماً أم لا، طوال فترة بقائه هنا كان يقول مهممات معظمها لم أكن أدركه والآن لا نعلم عنه شيء، ولا من أين أتى؟ وذلك في عاداتنا زعيم ولهذا أحببتُ خروجه من بيتي.

- تحولت ملامح (كبير) من الغضب إلى الحيرة، ثم أخفض رأسه قائلاً:
- _ لا يجب أن يعلم أحدٌ بهذا.. حتى أرى حقيقة الشيء.
- _ لقد رحل علي كل حال ولا يوجد داعي للقلق.
- قام (كبير) من مقعده قائلاً:.
- _ إنه في بيتي قد أتى به الطبيب قبل قليل.
- قام هو الآخر قائلاً في حدة:
- _ وماذا ستفعل؟... أنت عليم بعادتنا إن علم أحدهم سنكون في وضع لا نحب أن نوضع فيه.
- _ الأمر ليس بهذا السوء طالما لم يعلم أحد به معروفاً بين الجميع بالغريب حتي يعود إلى أرضه، وإلى أن يحدث هذا سيكون مرافقي.
- ثم اقترب منه، ووضع يده على كتفه واستطرد:
- _ طالما كنت تملك قلباً كبيراً لم تتخلَّ عن أحدٍ يوماً، وتمدد يد العون إلى من يحتاج.
- قال (شيخان) في غضب:
- _ انظر ماذا جنيت من هذا؟
- ومد يديه بالورقة التي كانت معه أخذها (كبير) وقرأها صامتاً، ثم نظر إليه:.
- _ لا بد من فعل شيء وإلا انسى أمره.

_ أنسى ماذا؟.. لقد سلب مني كل شيء.

ثم رفع صوته قليلاً..

_ كيف لي أن أنسى؟

خرجت ابنته (صُفيرة) من غرفتها، ونظرت إلى أبيها و(كبير) الذي استأذن بالخروج قائلاً..

_ ستحدث حينما تهدأ.

دخل (شيخان) إلى غرفته، وظلت (صُفيرة) واقفة لا تعلم ماذا تقول؟، ثم عادت إلى غرفتها مرة أخرى جالسة جوار ابنها النائم على الفراش، حركت يديها على رأسه، ودمعت عيناها، وبعد أن قبلت رأسه قائلةً:

_ طالما أردت أن أخبرك بكل شيء حتى تعلم أن ليس لك ذنب في هذا، وكل ما حدث كان خطئي، ولكنني لم أملك الشجاعة لهذا سوف أبوح لك أثناء نومك حتى أريح قلبي قليلاً.

كان دخول أبي غرفتي في بداية شروق الشمس مميزاً للغاية، وما أدرته إلا بشعور أنفاسه داخل أذني وصوته المنعش الذي أطربني..

_ سيدة البيت أفيقي.

ارتسمت على وجهي السعادة وفتحت عيني في هدوء وراحة، كيف لا وصاحب هذا الصوت بجاني؟، إنه ليس مجرد صباحاً، إنه تنبيه لإفاقتي من غفلي، وبداية يومي كما اعتادت أُمي أن تفعل معي، وذلك قبل رحيلها

كان يقول لي دائماً أني أشبهها كثيراً وخاصة عندما ابتسم أخبرني أني ملكت من أمي ابتسامتها التي لطالما أهديتها إياها كل يوم في الصباح ظناً منها أنها من تجلب له البشرى، ولكنه لا يعلم أن البشرى ذاتها وجوده جوارى لم أشعر يوماً بفقدان أمي، وهذا ما حاول أن يجعلني أشعر به.

أفيق في هدوء، وأعطي لأبي ابتسامتي حتى خرج من الغرفة، أقوم من على الفراش، وأفتح النافذة ليقابل وجهي اندفاع الرياح وتتطاير خصلات شعري، ويمتلئ صدري بنسمات الهواء الباردة كأنه أتى لي خصيصاً، وأرفع يديّ عاليًا للانتعاش بهذا، ومن ثم ذهبت لتحضير الطعام، بينما أبي يرتاح قليلاً ما إن انتهيت ذهبت إلى غرفته، وأرى أن أحدهم قد نام فعلياً بالتأكيد لن أزعجه، ولكن لديه فكرة دلفت إلى الغرفة على أنامل قدمي حتي لا يشعر، وقفت عند نهاية الفراش بالقرب من قدميه، وأحرك يدي بخفة على باطن قدمه لأعلى ولأسفل حتى أبعد قدمه، وانتقلت على الأخرى لحين أرى ابتسامته وهو يفيق، ونظر إليّ قائلاً:

ـ أرى أن سيدة البيت قد أنهت عملها باكراً.

لأضحك في وجهه وأخبره أنها الظهيرة، قام من على الفراش مسرعاً، وارتنى ثيابه، وأردفت وأنا خارجة:

ـ إني في انتظارك يا سيد (شيخان).

خرج، ثم جلس على المائدة، وتناولنا بعض الطعام إلى أن قال اليوم سوف تأتي معي إلى المتجر دون أن أسأله عن السبب.

قمت مسرعة إلى غرفتي؛ لتبديل ثيابي استعداد للخروج، وخرجنا بعد أن أنهى فطوره إلى المتجر الذي يقايض فيه الحبوب الغذائية المختلفة بجانب أنه يذهب قبل الشروق بساعات لاصطياد الأسماك على شاطئ (بيان)، دخلنا المتجر، وجدت شخصًا كان بانتظاره، وعلمت فيما بعد أن اسمه السيد (مهران) الذي جلس يمازح أبي، أظن أنه لم يره منذ زمن، وجدته نظر إليّ ثم أدار وجهه إلى أبي قائلاً:.

_لقد نضجت ابتك، وصارت أجمل ما أنجبت قرية (بيان).. إن كان لدي ابن في نفس عمرها لطلبتها له في الحال.
رد عليه أبي ممازحًا:.

_وما أدراك أني سوف أوفق على هذا.
أجابه:.

_لا تقلق حيال هذا يا سيد (شيخان) سأقوم باختطافها.
احمرّ وجهي خجلًا مما سمعت، وأشار إلى أبي قائلاً في سعادة:.
_ما رأيك يا (صُفيرة)؟

انعقد لساني، وازداد وجهي احمرارًا، بدا عليّ التوتر، وتحولت إلى امرأة بكماء قطع هذه الحالة التي انتابتني صوت السيد (مهران) إنه الخجل والحياء ياسيد (شيخان)، أحسنت صنعًا في تربيتها عندها نظر أبي إلي في فخر وسعادة، بعد قليل انتهى أبي من الحديث معه، ثم أكملنا يومنا إلى نهاية الغروب، وعدنا إلى البيت، ذهبت لتحضير الطعام فلم يكن لي متسع

من الوقت، مر الوقت، وجلسنا لتحدث في عدة مواضيع وأهمها أن يأخذ حذره أثناء الصيد خطأ بسيط يؤدي إلى كارثة، وسألني:

_تخشين أن يصيبني مكروه أم تخشين أن تكوني وحدك.

نظرت إليه في استنكار من كلامه، وسألته: ماذا تعتقد برأيك؟

ثم أردفت بعد أن تحولت ملامحي إلى الحدة:

_أنت عليم أنك ما لدي بهذه الحياة، وما شأن الحياة بدونك ألا يمكنك أن ترى ذلك، ألا تعلم ماذا حل بي عندما سمعت خبر فقدان بعض مراكب (بيان) بسبب العاصفة منذ عامين؟ أتعلم ماذا حدث لقلبي؟ أحسست أن أحدهم قد انتزعه من موضعه فقط للتفكير أنه قد يصيبك مكروه.

في ذلك اليوم خرجت، وكان قلبي يخفق بشدة، وكأن أحدهم قد ضربني على رأسي بأكبر حجر قد رأيته في حياتي، لم أتمالك نفسي يومها حتى كلما اقتربت من الشاطئ تزداد دموعي، وكأنني أهرول إلى الموت ظلت أبوح باسمك أبي .. أبي .. أين أنت؟ .. صرخات داخل عقلي لقد فقدته.. لقد فقدتي ما تملكين.. كان عليك أن تمنعني تلك الليلة.. إنه خطأك، لأتعر وأقع على وجهي باكية، أمسك بالرمال، أشعر بالبرودة في جسدي، وكأن أحدهم قد جردني من ثيابي، سمعت صوت أحدهم ينادي:.

_أسرعوا إلى السيد (شيخان) ومن معه.. إنهم هناك على حطام المركب.

ما إن سمعت هذا وما أدركت بحالي إلا على مشارف الشاطئ لألقي بحالي فيه محاولة الوصول إليك، ولكن قد أمسكني البعض وأنا أحاول الإفلات منهم صارخة:.

_ أتركوني .. أبي .. أتركوني .. أنجدينني يا أمي .. لا تتركني يا أبي .. أنجديننا يا أمي .

توقفت عن الحديث عندما رأيت بعض الدموع على مشارف عينيه، لأهدأ قليلاً، وارفع ذراعي وأمد يدي على خده قائلةً: .

_ إلى أن جذبوك ومن معك ذهبت بك إلى البيت، وكان معي السيد (كبير) والطبيب وأنا ممسكة يديك لا أريد أن أفارق لمستك أبداً، قد أخبرني الطبيب أنك بحاجة إلى الراحة، وأعطاني بعض الأعشاب؛ لتساعد في استعادة عافيتك، ثم غادر وتبعه السيد (كبير) بعد أن أطمأن عليك قائلاً: .
_ حاولي الاسترخاء قليلاً إنه سيصبح بخير .

_ ولكنني لم أكتث لكلامه، ولم أكتث لحالتي التي يرثي لها، كل ما اهتممت به هو رؤيتك، ولا أبعد نظري عنك ولو لوهلة .. أتعلم يا أبي ماذا أدركت حينها؟
أجابني في هدوء: .

_ ماذا؟!

_ إن كان عطاؤك يقدر بالثراء لكانت قرية (بيان) بأكملها لك .

اقترب مني، واحتضنني قائلاً:

_ كنت أظن أن أرم قاسية عندما سلبت مني أمك، ولكنني كنت مخطئاً فروح أمك قد نسبت إليك ابتسامتها .. طبعها .. حنانها .. وطيبة قلبها .

_أبعدني عنه ناظرًا في عيني وضع كفيه على وجهي وكاد دمع عيني يفيض
قائلاً:..

_ولكنك تملكين شكل أنفي

أقوم بوضع يديّ على كفيه، ولأقبلهم ومن ثم قال في هدوء:..

_سوف أغادر يا سيدة البيت.

قلت له:..

_اعتني بنفسك..

فأجابني:..

_ألا تتذكري شيئًا قبل أن أغادر.

ابتسمت له، وأردفت:..

_يا ابي.

في صباح اليوم التالي بعد أن ذهب أبي إلى عمله في المتجر دق باب البيت
لأجد صديقتي (خلاء) ومعها أخاها (عهد) البالغ من العمر ثمانية أعوام،
دخلوا إلى البيت، وجلسنا لأرى (خلاء) تنظر إليّ، وتسألني:..

_هل أنت بخير؟

أجبتها:..

_إني بخير.

ولكنني أرى وجهك شاحبًا قليلًا.

أخبرتُها أنه مجرد إرهاق، ثم نظرت إلى (عهد) أداعبه كيف حال الرجل الصغير؟

ابتسم لي قائلاً:.

بخير ولكني مرهقًا قليلًا لمتابعة العمل مع أبي وأختي.

وضعت يدي علي شعره لأداعبه بنعومة، وأنا أقول بالتأكيد يستطيعون الاعتماد عليك.

ثم حولت نظري إلى (خلاء) قائلة:.

كيف حال العمل معك؟

أجابتنني بعد أن أخرجت زفيرها القاسي: بخير. فأنا أقوم بالصباح، وأذهب إلى العمل، أقوم بتقطيع الأخشاب بالفأس إلى أن يأتي والدي لإصلاح بعض الأشياء سواء كانت مراكب أو احتياجات البيوت.

ثم اقتربت مني قائلة:.

أحيانًا أقوم باستخدام السيف للتقطيع فلا يراني أحدهم، ويخبر أبي.

نظرت لها في دهشة قائلة:.

ألا تخشي أن تؤذي نفسك؟

ردت عليّ بعد أن رجعت إلى وضعيتها:.

_أنا بارعة في استخدامه كنت أتدرب خلصة حتى لا يراني أحدهم فلا يكون لي مستقبل في الإنجاب.

ثم أخذت شهيقاً، وأخرجته، وأردفت:..

_ومع ذلك لم يرغب بي أحد...

_يبدو أن هذه المهنة ستكون السبب في نهايتي.

نظرت لها في دهشة، وسألتها عما تقصد؟ أجابتنني بعد أن أخرجت زفيرها:..

_ولكن هذه المرة كان مصاحباً للألم.

منذ أيام جلس أبي وصديقه يتحدثون وأنا كنت أعمل سمعته يقول لأبي: إن ابتك الآن بالغة من العمر الرابعة والعشرين، وكما أراها فهي تقوم بأعمال هذا المكان بمفردها رغم أنه من غير المعتاد أن نرى هذا، ولكنها تفعل ما يفعله الآخرون في الأماكن الأخرى، إنها قوية مثل أبيها، وتنافس الرجال في صناعة المراكب والأدوات الثقيلة، أرى أنك تحاول أن تصنع منها.....

ثم صمت لبرهة، وأردف بعد أن أخفض صوته: أخشى أن يكون هذا الشيء سبباً في امتناع الرجال على القدوم للطلب بها، انظر لها.. أخشى أن يتمادى الأمر رغم ما تحمل من منظر مرموق وجميل، ولكن تصرفاتها في العمل تجعل المرء يخشى.

قام أبي بالرد عليه: إذاً ستنتظر من يستحقها

صعقت من جملته، وكأنه لا يبال بما يقوله العامة: هل حقًا سأنتظر إلى أن يأتي شخص يقدرني؟! وبما يقدرني؟ لن أفهم ما الذي يكون في بال أبي؟. أخبرتها أن تهدأ وتعلم أن لكل شيء سبب، وما إن تريثت حتى نظرت إليّ قائلةً:..

وأنتِ لا تفكرين في هذا الشيء.

أجبتها في سعادة:..

_ لا أعتقد ذلك فالأمر معي مختلف كل ما أريده هو الاهتمام بأبي وجدت عهد) قاطعني

_ أريد أن أطلعك علي شيء جذبه من يده ليكون جوارى، ونظرت له نظرة تحمس وأنصت:..

_إني سمعت أنك من أجمل نساء (بيان).

ضحكت في خجل قائلة:

_إن كنت أكبر قليلًا لأخذتك، ونلهوان ونلعبان وبالتأكيد سوف تشاركني بأشوائك، أخبرني بأن لديه الكثير من الأشياء الخشبية أحضرها والده منذ فترة، وإننا سنسعد كثيرًا قبله من جبهته إلى أن قالت (خلاء) يجب أن تذهب فلديها بعض الأمور لفعليها، ذهبت هي وأخوها لأقوم أنا ببعض أعمال البيت وإحضار الماء، وفي نهاية اليوم أتى أبي من متجره؛ ليدخل البيت قائلاً كعادته:..

_ سيدة البيت لقد عدت .

بعدها أحضرت الطعام، ومرت الليلة كسابقتها، وبعد مرور أيام وجدت أبي يخبرني أن آتي إلى المتجر معه اليوم كالمرة السابقة، وعندما ذهبت وجدت السيد (مهران) في انتظاره، ولكن كان يجلس معه شاب آخر لم أعطِ اهتمام لوجودهم، فقد كنت منشغلة بالعمل في المتجر، ولكن قد لفت انتباهي طريقة نظر هذا الشاب إليّ، لم أفهم بما يحدق لقد ارتبكت، وزاد توترني حتي طالعت نظراته؛ ليتحول ارتباكي إلى ضيق قائلةً في نفسي: .

_ ما الذي يفعله؟ .. ما هذه الوقاحة؟ ..

إلى أن انتبه هذا الشاب حتى كف عن النظر، انتهى يومنا مبكرًا بعد أن غادرا، وذهبنا إلى البيت لأجد أبي ينادي عليّ: .

_ يا سيدة البيت اقبلي .

ذهبت إليه مبتسمة كعادتي، ومازحني أن أوفر القليل سأحتاج إليها نظرت له في دهشة، ثم جلست أمامه
وسألني: .

_ ما رايك في ذلك الشاب الذي أتى مع السيد (مهران)؟

فقلت في لامبالاة: .

_ ما شأنه؟ .

فأجابني ممازحًا: .

_ بالتأكيد لم تلاحظي شيئًا فأنت كنتِ منهمكة في العمل .

ثم ضحك وقبل أن أخبره بما كان يفعله معي من نظرات حدثني :.
_ لقد طلبك.

وقعت هذه الجملة على أذني كالصاعقه لم أتوقع في هذه الحالة مناقشة كهذه مع احمرار وجهي وزيادة دقات قلبي، وأنا أسأل نفسي :. كيف حدث هذا؟.
أردف :.

_ لقد أتى السيد (مهران) منذ أيام، وأخبرني أن لديه شريك في تجارته، إنه شاب صالح وذو أخلاق، وتعمقت علاقته به حتى أنه يعتبره مثل ابنه، وعندها عرض عليّ زواجك منه في قريه (داباد) ما كان عليّ إلا التفكير في الأمر كما تعلمين ليس من السهل عليّ التفكير في بعادك عني، ولكن هذه هي الحياة.

جلست استمع من أبي ما يقوله، وأنا في حالة من الدهشة كلما أصابني ينعقد لساني، لا يوجد لدي رد فقط، جالسة أمامه أضع كلتا يدي أمام خصري أضممهم إلى بعض أحرك إصبع يدي الكبير على أصابع يدي الأخرى وعيناي لا ترتفع عن محل قدمي لا أقوى على النظر في وجهه حتي ظل ينظر إليّ منتظرًا رد، ولكن أي رد أتخذه وأنا لا أعرف من يكون؟ لا أعرف حتى ماذا أريد؟، ولكن إذا كانت هذه رغبة أبي فلا أستطيع الرفض، استجمعت قوتي وأخرجت زفيرًا حتي أهدئ من أعصابي قائلة :.

الآن أنت تصدمني هكذا ماذا عساي القول؟، وهذا لا يدل على عدم ثقتي بك لا يا أبي إني أحترمك واثقة فيك وفي اختيارك، ولكن الأمر معقد الآن فأنا لا أعلم عنه شيئاً،
ابتسم أبي إليّ قائلاً:.

إذاً هناك موافقة.. على كل حال إنه آتي إلينا غداً ليكون ضيف عندنا، ونرى رأي سيدة البيت.

أومأت رأسي إيجاباً، قمت أنا وذهبت إلى غرفتي للنوم، ولكن لا يوجد نوم في تلك الليلة وعقلي يحمل الكثير من التفكير والاضطراب، انقضت الليلة، ولا أعلم متى أشرق الشمس؟ ودخل أبي لإيقاظي، ولكنه وجدني مستيقظة بالفعل نظر إلي في حنين قائلاً:

تماماً كما كانت أمك.

ابتسمت في هدوء، وغادر البيت وتركني لأقوم من مكاني وأبدأ في أعمال البيت وأنا أحاول إزاحة القلق من عقلي، أنهى أعمالي، ثم أجلس دون عقل وكأني بلهاء أعتقد أن البلاهة في ذلك الوقت لا بأس بها، سمعت طرقات على الباب، أعتقد أنه أحدهم ولم أتوقع نهائياً أنه أبي، فهو عادة يفتح الباب، فتحت أنا وتوجهت مسرعةً إلى غرفتي بعد رؤيتهم، سمعت أبي يقول:.

تفضلوا من هنا.

وبعد دقائق دلف أبي إلى غرفتي، ونظر إليّ وأنا جالسة قائلاً:.

_ هيا يا سيدة البيت لنرحب بالضيوف.

أخرجت زفيرى، وأنا أقوم وأتقدم نحوه خطوة خطوة، وعقلي يخبرني شيئاً واحداً لا تفسدي الأمر، ولا تفقدي التركيز خرجت مع أبي، ثم جلسنا في صمت لم أرفع عيني عن الأرض أبداً إلى أن قال السيد (مهران):

_إني لم آتِ إلى هنا منذ زمن طويل يا سيد (شيخان) لم لا تريني الطابق العلوي من بيتك؟ أعتقد أن الأبراج ستكون أوضح من هنا.

همّ أبي أن يقوم من مكانه، قمت بإمساك يده بقوة، نظر إليّ مبستماً، وكان يملك في عينيه الطمأنينة، ما كان عليّ إلا أن أترك يديه حتى عم الصمت في المكان بعد أن غادر أبي. مرت اللحظات، وكأنها فترات بالنسبة لي حتى قطع هذا الصمت صوتاً لا أعرف ماذا حدث لي عند سماعه؟!

_كيف حالك يا (صُفيرة).

لم أرد على كلامه، ولكنه قال:.

_لا تمانعي أن تلفظت اسمك أليس كذلك؟

لم أجبه كذلك، ثم صمت قليلاً، وأردف:.

_أنا أدعى (آسر).

ثم خلف نظره عني لأقول:.

_أنا تشرفت بك

أعاد نظره مرة أخرى وكأنه قد حصل مني إذن بالكلام ثم أردف بعد أن ابتسم في لطف:.

تعيش عائلتي خارج قرية (داباد) حتي أكون دقيقًا أنا فقط من أعيش فيها، أنا أشارك السيد (مهران) في متجره حيث نقوم بنقل البضائع وتوزيعها في القرية وخارجها أن لزم الأمر هو يقوم بعقد الصفقة وأنا من أباشر العمل، وطالما أحببت أن أنظر إلى البحر؛ لذلك كلما أمر بقرية (بيان) أقوم بالجلوس على شاطئها قليلاً إلى أن رأيت منظرًا كان الأجمل في نظري عندها خرجت مني كلمات لا أدري متى قلتها: ما أجملك يا (بيان)، والآن بعد أن رأيت جمالها الخلاب أدركت أن على البقاء لأطول فترة ولن أرحل إلا و(بيان) معي.

عندما سمعت منه هذه الكلمات ظل قلبي يخفق لا أعلم هل من كلامه أم من خجلي وأنا لازلت أسمع منه كلمات لم أعتد سماعها بهذا الأسلوب، آخر شيء قاله لي قبل نزول أبي والسيد (مهران)

يُضِي ليل (بيان) بوجود أهله وأرى في عينيك انعكاس ضيائه.

تشبثت هذه الجملة في ذهني لأرفع عيني في خجل لأول مرة، وأرى وجهه عن قرب، وبعد قليل استأذن السيد (مهران) وغادرا من البيت بعد أن قال لأبي:.

سنلتقي في المساء يا سيد (شيخان).

جلست لأرى أبي يتحدث إلي في أي شيء، ولكن كل ما قاله:.

ماذا ستعدين لنا طعامًا؟

كل ما فعلته كان مجرد همهمات، وكأني كنت أنتظر سؤالًا آخر، ولكن عندما وجدني أبي هكذا ضحك قائلاً:.

_ سأترك لك الاختيار.

دخل أبي إلى غرفته لحين انتهائي من الطعام، كنت أقول لنفسي ما هذه
البلاهة التي كنت فيها يجب أن أزيح القليل من هذا أنهيت عملي، وجاء
أبي وجلسنا لتأكل، ظل أبي ينظر إلي ينتظر مني قول شيء أم أن عقلي من
هياً لي ذلك، وسمعته.

_ أعتقد أنك الآن تعلمين كل شيء عن زوجك.

ردت عليه في سداجة:.

_ متى تزوجته

ضحك أبي في لطف واستطرد:.

_ لقد أعلمك بكل شيء عنه وأهله وتجارته وأعتقد أنك لمستني شيء من
أخلاقه عن طريق حديثه ولباقتة، وهذا ما شجعني علي القبول به.

اندهشت من كلام أبي قائلة:.

_ وكيف علمت بما قاله؟

رد أبي علي في سخرية هزلية:.

_ هل كنت تعتقدين حقاً أنني في الأعلى؟.

أنظر إلى الأبراج، لقد كنت معك أنتظر انتهاء الحديث بفارغ الصبر لم
أتحمل وجودك وحدك لفترة قصيرة، لا أعلم ماذا سأفعل بعد ذلك؟ ولكنني
أدرك جيداً أنه سيحافظ عليك وإلا لن أضع أثمن ما أملك بين يديه.

أومأت رأسي إيجاباً على كلام أبي، وكانت هذه موافقتي على هذه الزيجة،
وتمر أسابيع قليلة أُقيم الزواج لتبدأ حياتي تتخذ درباً جديداً، جاهلة بما
تخب لي إرم، في نفس الليلة ذهبنا إلى (داباد)، بمجرد دخولي جلست على
الفراش ونظري لا يرتفع عن مكان يدي التي كنت أضممهم علي بعض
وأحرك إصبع يدي الكبير على يدي الأخرى من شدة توتري واحمر وجهي
خجلاً، عندما سمعت منه كلمات قشعر لها بدني.

_ انظري إلي بعينيك الزرقاوان... إن كنت تريدين لي الشفاء من دائي....
ليكون في عينيك.. سر شفائي.... سر نقائي.

_ كنت أشعر به يقترب مني بضع خطوات، وأرفع عيني إليه في خجل بعد
أن قال:.

أنت... أنت من ملكتي قلباً.. عصى ماء الحياة وبعشقك ارتوى.... إن كان
لي من الحياة نصيباً.... ما كنت أخشع معك فنائي.... قلباً عاشقاً قد أغرم
مرة.. لبي إلي شوق ندائي....

ليمسك يدي حتى أقف أمامه، ويحرك يديه على خصلات شعري
وشعرك حين ألمسه... أشعر.. بالحنين من قلباً غوى وخصرك.

تسارعت حينها دقات قلبي عندما شعرت بيديه تنزل من على شعري إلى
أسفل ويمسك خصري ويضممني إليه برفق:.

وخصرك قد شعرت بدفته... ليزيد رغبة بك، ويزيد إعيائي.

ليرفع وجهي إليه يديه وأنظر صوب عينيه..

_ تملكين في عينيك ضياءً.. مصباح في ظلام سمائي... إنك لصبري كنت..
لعشقي... لعقلي السكران.. اليوم نحن معاً.. لن تغفل عيني عنك ولا حتي
ثوانٍ... شفتيك... اسقيني من ريقهم... ليظلل رمش عيونك على جفوني.

كيف انقضت هذه الليلة بهذه السرعة؟، كان هذا أول ما خطر ببالي عندما
استيقظت ورأيت (آسر)، مازال نائماً بجواري بمجرد أن نظرت إليه
شعرت بانتعاش قمت من علي الفراش، وأنا أحاول أن أتمالك نفسي
تجولت في البيت قليلاً لم يكن هناك فرصة أمس لاتفحصه جيداً، ومن ثم
ذهبت لتحضير الطعام وأنا منغمسة فيما أفعل شعرت بأنفاس تأتي من
خلفي بالتأكيد لم أستغرق وقتاً طويلاً لأعلم أن الساحر قد أفاق. التفت إليه
بعد أن وضع يديه على خصري لأجده عاري الصدر مبتسماً لا يتلفظ حرف
إنما أنفاسه التي كانت ترتطم بوجهي هي من كانت تعبّر لي عما يقوله
أزحت يده من على خصري، وأشارت له بالذهاب حتي انتهني، ثم حملت
الطعام وذهبت إليه لأجده جالساً ومازال عاري الصدر.

وضعت الطعام وأنا قول له..

_ هل ستظل هكذا طوال اليوم؟

ضحك في هدوء قائلاً:

_ فما قولك؟

طرق باب البيت، وأنا أشير إليه قائلة: اسأل الطارق أولاً.

ومن ثم قام لارتداء ثيابه، وأنا دخلت غرفتي لأسمع صوت قد أطاح بعقلي
لأخرج مسرعة إليه، وأحضنه بقوة، وهو يقول:.

_ سيدة البيت.

ثم أردف مازحًا:.

_ هل اشتقتني إلي حقًا؟..

لم تمر سوى ليلة واحدة.

ابتعد عنه ونظرت إلى وجهه بعد أن وضعت يدي عليه قائلة أكثر مما
تتوقع.

حينها قال (آسر):. تفضل يا سيد (شيخان) لترتاح قليلًا.

دخل أبي وأنا معه ممسكة يده وهو يقول:.

ارتاح من ماذا؟ لقد كنت ضيف عند السيد (مهران).

جلس أبي و(آسر) وأنا فقط أنظر لهم ولحديثهم امتلكني الفخر والعزة
بابي الذي دائمًا ما كان يحيطني بالأمان والحنان وزوجي الذي رأيت معه
سحر ما كنت لأرى مثله قط في حياتي.. سحر قد أنعش جسدي وروحي..
وبعد مرور الوقت غادر أبي ووعدني أنه سيعود من الحين للآخر، ومرت
الشهور وأنا في بيت زوجي أقوم بما تعودت أن أقوم به، وفي يوم جاء (آسر)
وأخبرني أن والدي قد أشار عليه مشاركته في العمل.

فقلت له:.

_ كيف هذا؟

رد علي قائلاً في هدوء..

ـ أبوك يقوم باصطياد الأسماك ولديه الكثير من المراكب غير أنه يملك أصدقاء له عرض علي أن أنقل لأصدقائه الأسماك يوميًا، وأحضر لهم متطلبات متاجرهم غير أنني عرضت عليه مشاركة كبار التجار في المدينة لعقد صفقة يصبح بها المسؤول عن أمن الغذاء في بيان والتجار الذي كان يقايضهم بالأسماك هم من سيأتوا إليه ليقايضوه بما يحتاجون لقد أحببت هذا، وكلفني بعمل صفقة مع أهل المدينة.

ارتسمت الابتسامة على وجهي، ولكن في عقلي أسئلة عما يكون في عقل أبي، وفي صباح اليوم التالي أتى أبي بعد أن ذهب (آسر) إلى عمله، جلسنا نتحدث قليلاً عن أحواله، ومن ثم سألته عما دار بينه وبين (آسر) قال لي مبتسمًا: إنه ذكي ومجتهد في عمله ما ينقصه هو الشيء، وأنا أحتاج توسيع تجارتي حتي انشغل بها بعد أن غادرت سيدة البيت.

ارتسمت على وجهي ملامح القلق قائلة، ولكن أن فشل الأمر ستخسر ثروتك إنك ستتعامل بكل ما تملك.

رد علي في هدوء..

ـ وما الذي يجعلني أخسر فأنا تاجر أحسن التعامل وزوجك يحسن التصرف.

ثم اقترب مني وأردف..

ـ أعتقد أنك تخشى أن يحدث أمر ما، ولكن لا تقلقي أني وضعت أئمن ما أملك في أيدي (آسر)، كيف لا أثق به وبذكائه في إدارة ثروتي؟.

ثم أراح ظهره للخلف قائلاً:..

_ قبل أن تنجبك أمك لم أكن أملك سوى البيت والمركب ولكن تغيرت الأحوال عندما أتيت إلى أن بدأت في الازدهار، وأصبحت حياتي أنا وأمك أحسن حالاً... شيئاً فشيئاً أصبحت أملك من الثراء ما يكفي فقط عندما أتيت، ولن يزول مادمتي بخير.

لم أنطق بكلمة واحدة لأني قد أدركت أن أبي يريد أن يعز نفسي وزوجي دون الحاجة إلى الطلب إنه أراد أن يخبرني أن (آسر) من سيكون في دربي إلى أن أفنى، كل ما فعلته هو النظر إليه مبتسمة، ثم قام أبي وأخبرني عندما يأتي (آسر) أبلغيه أن يأتي غداً حتي ننهي أمر الصفقة.

أومأت رأسي إيجاباً، وعندما أتى أخبرته، وذهبت إلى غرفتي، وبعد قليل شعرت بألم في معدتي، ولكنني تماكنت نفسي مرت هذه الليلة صعبة جداً، أقوم ليلاً لأفرغ معدتي من الطعام، وأنا أحاول إلا ألفت انتباهه. وفي الصباح خرج بعد أن طلبت منه ألا يتأخر كنت ذهبت إلى إحدى جيران، وأخبرتها بما أشعر وبالتأكيد بحكم زواجها وأولادها أخبرتني بمشارف إنجابي، ذهبت إلى البيت، ولم أكن أتمالك نفسي من السعادة والفرح متشوقة إلى أن أخبر أبي، ولكن جارتي أخبرتني أن أرتاح قليلاً، ظللت جالسة في البيت منتظرة زوجي لأفاجئه، ولكنه تأخر هذه الليلة كثيراً وقد أتى، ودخل على غرفتي قائلاً:..

_ لازلتني بالفراش.

قمت من مكاني، وأذهب إليه وعلى وجهي علامات السعادة والتشوق
وحدثني:.

_ أراك سعيدة مثلي .. هيا أخبريني ماذا هناك؟.

قلت له في لطف:.

_ أخبرني أنت أولاً ما هو سر سعادتك؟

جذبني من يدي وجلب مقعداً، وأجلسني عليه تفاجأت بما يفعله، ولكنني
انتظرت ثم جلس أمامي قائلاً:.

_ غداً سأذهب صباحاً إلى المدينة لعقد الصفقة مع التجار، لقد رتبت كل
شيء، ولكن لا أعرف أباك كيف يعطيني كل هذا دون أن يأتي معي حتي
أنه أمر كبير وعليّ أن أحمله علي عاتقي.

نظرت إليه في سرور قائلة:.

_ إنه يثق بك للاهتمام بابنته وحفيده

نظر إلي في اندهاش قائلاً:.

_ حفيدة!!!!

فأجبتة وأنا أشير إلى بطني:.

_ نعم .. حفيدة.

انتظرت أن أرى تعابير وجهه، ولكنه صمت لبرهة قبل أن يتسم، ولكن هذه
الابتسامة لم أعتد رؤيتها قط ... إنها مخيفة ما أدركت موضعي إلا بعد أن
وجدته قائلاً:.

_ لا أعتقد ذلك.

ويدها تلكنمني على وجهي بقوة لأرتطم بالأرض وأرفع عيني إليه غير مصدقة ما الذي يحدث؟ ولكن ملامح وجهه هي من تكلمت أراه يقترب مني قائلاً:..

_ لقد انتهيت.. لا شأن لك معي بعد الآن.

وأنا أنظر إليه وعيني تكاد أن تخرج من وجهي من كثرة ما سمع جذبني من شعري وأمسكه بقوة وأنا أنظر صوب عينية غير مصدقة، واقترب من أذني وهمس:..

_ لقد استوليت علي ثراء أبيك.. أبيك.. لا أنت أيتها السخيفة.

وقام بسحبي من شعري وهو يتحدث وأنا لا أملك شيئاً سوى البكاء والصمت إلى أن ألقاني داخل غرفته وانهاه علي ضرباً وأنا لا أقوى على المقاومة وكلماته تخرق أذني:..

لقد سئمت منك ومن أبيك.. سئمت من حماقتك.. إنه ملكي الآن.. وكلمات أطفال ألم قلبي، وزادت ألم جسدي إلى أن توقف عندما رأى الدماء والكدمات تملأ وجهي وجسدي وأنا ملقاة أمامه على الأرض لأسمعه:..

_ لقد انتهيت منك أيتها السخيفة.

ثم نظر إلي مشيراً إلي بطني قائلاً بصوته المخيف الذي أرجف جسدي:..

_ إن كنتِ تهتمين لأمر هذا.. ارحلي الآن... وأخبري أبيك بما حدث ثم ضحك في سخرية شديدة.

وأردف:.

_ أنه سيعلم على كل حال عندما يرى ابنته المحببة إلى قلبه بهذا المظهر.
أقرب مني وأمسكني من عنقي وضغط بقوة وأنا أضع يدي علي يده أحاول أن أنزعهم وأنا أبكي وأتألم ويرمني خارجاً قاتلاً:.

_ إن هذا الابن لا يكون إليّ شيئاً، ولا حق له عندي سأجعلك منبوذة به طوال حياتك لما تحملته منك طوال الشهور الماضية.. هذا وإن أنجبته.

ينزلق دمع عينيها على خدها بلا توقف هي تتحدث إلى ابنها النائم إلى أن أشرقت الشمس وكانت أقل حرارة من نار قلبها التي تحطم وانتهى ذلك القلب الذي حمل الكثير ولازال يحمل هم وألم طفل لا أب له، قامت من مكانها واستعدت ليوم آخر من تعاستها وحزنها، خرجت لتملأ الماء من البئر، ولم تبال بحرارة هذا الصباح حتي لم ترفع يدها لحجب الأشعة عن وجهها.

وقف على البوابة الخارجية للمصنع وأشعة الشمس التي تسقط على وجهه منتظراً فتح البوابة والدخول إلى السيد (جلال)، وبعد دقائق دخل وسأل أمن المصنع عن مكتب (جلال)، دخل من الباب الأمامي، ودق باب المكتب مستأذناً بالدخول:.

_لو سمحت يا فندم.. أنا (نائر).. في موعد مع حضرتك كان حدده خالي
(عباس).

نظر إليه (جلال) دون اندهاش قائلاً:..

_اتفضل اقعد.

ثم أردف بعد أن أراح ظهره:..

_بص يا (نائر) الشغل هنا مش متعب.. مجرد استنباط لتشكيل الشباشب
البلاستيك وهيكون معاك اتنين كمان هيعرفوك كل حاجة.
قال (نائر):..

_لكن يا فندم.

ولكنه قاطعه قائلاً:..

_الشغل هيبدأ من الساعة ثمانية وهيتهني ثمانية بالليل عندك واجبة في
الغدا.. ومرتبك بيبدأ من ألف وثمانمائة جنيه وطبعاً كل ست شهر في
زيادة.

أنا بس كنت.....

قاطعه من جديد.

_هتروح المكتب اللي قدام مكتبي وهتسجل بياناتك وهو عنده خلفية
بالأمر.. اتفضل على شغلك.

نظر (ثائر) له في تعجب، وقام من مكانه صامتاً، ودخل المكتب الآخر لتسجيل البيانات، ثم خرج بدأ يومه الأول وهو يقول:.

_ شكلي كدا داخل على أيام حلوة أوي.

ذهب (ثائر) إلى عمله، وقابل شخصين أوضحا له طبيعة العمل، ومرة يومه على غير المعتاد ثقيلًا مملًا، وتتوالى معه الأيام متشابهة يستيقظ صباحًا، ويعود في المساء إلى أن تعامل مع بعض العمال؛ ليكون له أثر التخفيف من تباطئ ساعات عمله.

أتى يوم وكانت حرارة الشمس ملتهبة هكذا هو الحال في جامعة القاهرة حيث كانت (ندى) تدرس هناك في السنة الرابعة في كلية العلوم بعد أن انتهت من محاضراتها جلست هي وأصدقائها على إحدى مقاعد الجامعة حيث تحدثت إحدى صديقاتها بسخافة:.

_ هو ابن عمك ده لسه ملقاش شغل.

ردت (ندى) في برود تام:.

_ كالعادة يا بنتي.

_ أنا كل ما أشوفه أقلق على نفسي زي ما يكون جايب بشرى إننا هنخلص جامعة وهنقعد في البيت زيه كدا.

_ لا مهو بابا جابله شغل في مصنع.

_ آه أهو أحسن من مفيش .. لحد ما يلاقي شغل في مكان كويس، أهى نتفائل بيه،

- بس ياريتة يفلح فيه .. بدل مهو عايش في الخيال كدا.
- قالت إحدى صديقتها الأخرى:.
- _ هو إنت بتتعامل معاه كدا علي طول.
- نظرت لها (ندى) في عجب قائلة:.
- _ مش فاهمة قصدك .. بتعامل إزاي.
- _ مش عارفه ... بس زي ما يكون بتكرهيه.
- قالت (ندى) في سخافة:.
- _ وأنا هكره ليه يعني.
- _ طريقة كلامك عليه بتدل على إن فيه حاجة .. يعني ..
- قاطعتها أخرى قائلة في سعادة:.
- _ ما تقولي قصدك إيه ل (ندى) .. قصدها بتحببه يعني وبتنكري ده في تصرفاتك معاه.
- خرجت من (ندى) ضحكات سخرية قائلة:.
- _ أحب مين يا بتي دا واحد مش عايش معنا أصلاً، ودماغه مش هنا.
- _ أو مال فين؟
- أشارت بيديها إلى إحدى الأماكن ممازحة:.. هناك كدا.
- _ قصدك تقولي إنه مختلف ... طيب ما يمكن يكون ده سبب كافي.

ردت (ندى) وقد تبدلت ملامحها إلى الحدة:.

_كافي مين.. إنت عبيطة يا ماما.

_الانكار مش هيفيدك.. بتحبيه يا (ندى) بتحبيه.

ردت (ندى) في صرامة:.

_بطلي الأسلوب ده.

_أسلوب إيه إنت ليه بتهربي كدا.

قامت من مكانها وهي تقول:.

_أنا همشي عشان كدا رخت أوي.. دا كلام مستفز أصلاً.

غادرت في زهول أصدقائه الذي بدا الأمر لهم مزاحاً، ولكن اختلف الأمر معها، وصلت إلى البيت، وألقت حقيبتها في منتصفه منزعة مما حدث، ثم ارتاحت قليلاً قبل أن تبدأ في أعمالها اليومية، وذهبت إلى المطبخ لإعداد الغداء قبل وصول ولدها علامات الغضب على وجهها، لقد أحرقت يديها أكثر من مرة خرجت زفيرها بقوة قائلة: . بحبه إيه بس.

ثم شردت قليلاً، وأفادت على حرق آخر في يديها قائلة: . لا طبعاً.. مينفعش.

انتهت من إعداد الطعام، وبدأت في ترتيب البيت، ومر خيال (نائر) من أمام عينيها، حركت رأسها يميناً ويساراً، وأخرجت زفيرها بهدوء ذاهبة إلى غرفته حتى تنهي عملها، ودخلت قائلة:.

_مهو دا فرض عليا أرتب غرفة (نائر) بيه.

ظلت تتمم بكلمات وهي تقوم بالتنظيف إلى أن وجدت أسفل المكتب عدة ورقات، وكادت أن تلقي بهم في الحاوية، ولكن لفت انتباهها جملة: _ انا ابن مين.

جلست على المكتب، نظرت للأوراق وتقرأهم واحدة تلو الأخرى.

_ معرفش دا سبب ولا حجة فشل كل ما روح شغل يبقوا مبسوطين بتقديري ولما يسألوني معرفش أتكلم لأن معنديش رد للسؤال أنجح في كل حاجة إلا سؤال واحد إنت أبوك شغال إيه... إنت أبوك شغال إيه.. أبووووك شغالالالالالالاه.

وظلت هذه الجملة تتكرر إلى نهاية الورقة؛ لتنظر إلى الأمام وهي تشعر بالأسى كيف يتحمل ذلك وحده؟ وشعورها بالظلم لما كانت تحدثه وتسخر منه في كل مرة والقسوة التي كانت تتعامل معه به كيف لم تشعر بها؟.

قطع شرودها نداء والدها أنه بالبيت، أسرع وأخذت الأوراق معها، وقامت بتحضير الطعام على المائدة جلس أخوها وأبوها يأكلون الطعام بينما هي كانت منشغلة فيما قرأته وفيما تريد قرأته إلى أن طلب منها

(كريم) أن يذهب إلى الخارج قليلاً، ولكنها رفضت بحجة أنها متعبة قليلاً، ووعدته أنها ستأخذه إلى الخارج، في يوم آخر صمت أخوها وأنهى طعامه، وبعد الانتهاء جلس (كريم) لمشاهدة بعض البرامج، وخرج

والدها إلى عمله مجدداً ثم دخلت الغرفة وأغلقت الباب على نفسها، وبدأت في القراءة.

_ أنا مخترتش مصيري، ولا حياتي كل حاجة كانت مجبورة عليّ مجرد أنفاس بتخرج وتدخل عايش في صندوق مقفول محرم عليّ إن أتكلم محرم عليّ إني أشارك حد بمشاعري لأنها بالتأكيد مختلفة عنهم وهيصوا لي بسخافة.. طبعاً مهو من السخافة إني أعيش في حلم كنت بحلم إنه يتحقق أم وأب وأخوات بس إزاي ده يكون وأنا اتحرمت من أمي بعد ولادتي على طول وأب هجرتي وسبني حتي أنا معرفش شكله ولا مرة قابلته طوال ال أربعة والعشرين سنة اللي عشتهم معرفش دا إيه.. قدر مكتوب طيب في نهايته إيه.. محدش عارف بس بتمنى بجد إن تكون نهايته قريبة. ورقة أخرى:.

_ معرفش دا حظي، ولا أنا موهوم زي ما قالت (ندى) لحد دلوقتي ملقتش حد يفهمني ويتقبلني زي ما أنا مجرد إنسان ناقص مفيش مرة حسيت إن أنا وسط أهل بجد يمكن دا شعور بنكران الجميل للي خالي عمله في ولا شعوري إن أنا لسه محتاج رغم إني ملقتش من خالي إلا كل حب وحنان ومحاولته إني محسش بالوحدة واهتمامه إني أكون كويس في أموري وحاجات كتير كنت ممكن أتحرّم منها لولا وجوده في حياتي. ظهرت ملامح العطف علي وجهها:.

_ أنا عارف إن أمي ست عظيمة اتحملت كتير رغم إني معاشرتهاش الألم لكن كلام خالي (عباس) عنها وعن أمورها وإزاي كانت في منتهى الجمال

والخفة وروحها المرحّة دا خلاني ارسم لها صورة في خيالي مترو حش من بالي أبداً بس ليه .. ليه عملت فيّ كدا إيه هو السر اللي عشانه تخليني من غير أب وكل اللي ممكن يجي في بالي إن أنا ممكن أكون ابن محدش يحب إن ابنه بيبكون موسوم بالعار أكيد فيه حاجة ولازم أعرفها.

تحولت ملامح وجه (ندى) إلى شفقة وحزن..

_ أصبحت (ندى) هيّ كابوس في حياتي مع أنها تصغرنى سنًا، ولا أستطيع أن أجادلها بسبب سخافتها ومحاولة استفزازي ولكنني أشعر بالأسف عليها إزاي بتحمل شخصيتها دي رغم محاولاتي للتقرب منها، وفتح مجال للحوار البسيط ولكنها في كل مرة تقول دي أحلام دي أوهام إنت هتفضل عيش في خيالك كدا كتير، إنت موهوم يا ابني واخلص من كلامها لدرجة إنها مش بس بتحبطني دي بتدمرني، وبالتالي مقدرش أجادلها لا مش مسموح ليّ بده هيّ على كل حال صحبة البيت ومحش إنها تجرحني بكلمه ملهاش لزمة بعدها معرفش أقعد في البيت، وأنا ذليل معرفش أرد عليها ولا أسيب البيت وأبقى مشرد.

حاولت (ندى) تمالك نفسها ولكن ندمها وحسرتها كانت أقوى منها لتنزلق دموع عينيها قائلة..

ذل إيه وتشرد إيه.. للدرجة دي.. إزاي مكنتش حاسة بده..

ظلت في غرفتها تشعر الحزن مما قرأته في تلك الأوراق وإن كان حقًا تستطيع أن تصلح الأمر لا يمكنها التعايش والعيش على ألم أحدهم سرقها الوقت، وسمعت من الخارج صوت (كريم) متحدثًا، وأدركت أن (نادر)

قد حضر أخرجت زفيرها محاولة أن تنزع من على وجهها الحزن حتى لا يشعر أحدهم بشيء، دلفت إلى الخارج بعد أن قامت بإخفاء الأوراق، ورأت (نائر) جالسًا مع أخيها اقتربت منهم في صمت ونظر لها (نائر) منتظرًا منها حديثها السخيف، ولكن على غير المعتاد قالت:.

_الأكل جاهز ثواني وهسخنه على ما تغير هدومك.

ثم غادرت للمطبخ في ظل تعجب (نائر) نظر إلى (كريم) قائلاً:.

_هيّ أختك وقعت على دماغها النهارده ولا إيه.

ومن ثم ذهب (نائر) إلى غرفته في ظل ضحكات سمعها خلفه، وخرج بعد القليل من الوقت متجهًا إلى الطاولة، وأتى (كريم) مسرعًا وقف جواره قائلاً:.

_أنا هاكول معاك.

رفعه (نائر) من على الأرض واجلسه على قدميه ممازحًا:.

وأنا من إمته مبكولش معاك.. هو فيه حد غيرك معبرني في البيت ده. وأردف:.

_كان فيه شوية ورق في الغرفة عندي متعرفش راحوا فين؟.

_أختي كانت بتروق الأوضة يمكن رمتهم ولا حاجة.

تقدمت (ندى) بوضع الطعام على الطاولة، وسألها عن الأوراق أجابته أنها قامت بتنظيف الغرفة، ولم تنتبه على هذه الأوراق، وسألته إن كان يوجد به

شيء هام جاوبها بالنفي، ثم انتهت (ندى) من تحضير الطاولة، وجلست قائلةً:..

_أنا هقعد معاكي يمكن نفسي تتفتح لأنى مكلتش كويس مع بابا.
نظر (ثائر) إلى (كريم) في تعجب ثم نظر إلى (ندى) التي بادرت في وضع الطعام أمامه بعد أن طلبت من أخيها الجلوس على مقعد بجواره، وما يحدث يشير اهتمامه لاحظت (ندى) هذا عندما سألتها:..

_إنت كويسه؟!

ابتسمت في وجهه أول مرة دون سخرية قائلةً:..

_الحمد لله.

أراح رأسه إلى الخلف قليلاً ناظرًا إليها محرّكاً عينيه ذهابًا وإيابًا بينها وبين (كريم) قائلاً:..

_الحمد لله على كل شيء طبعًا.. بس إنتي فيكي حاجة.. هاا أنا مش عارفك.

ردت (ندى) ولانزال الابتسامة على وجهها:..

_طيب كُل وبطل رخامة

أكمل طعامه هو يرمقها من الحين للآخر وهي تسأله إن احتاج بعض التوابل أو إن احتاج شيئًا آخر وكأنها مهمة فعلاً، نظر إلى (كريم) قائلاً:..

_هو النهارده إيه إيه يا حبيبي.

رد بصوته المفحم بالحيوية والنشاط:..

_اليوم هو الأربعاء الموافق الثاني من شهر إبريل لعام ألفين و.....

وضع ثائر يده على فم (كريم) ممازحًا:..

_خلاص يا حبيبي خلاص.

ابتسمت في رقة ونظر لها (ثائر) قائلاً بنبرة صوت هزلية خفيفة:..

_مش مرتاح لحاجة كدا.

ردت عليه (ندى) بنفس الطريقة الهزلية:..

_معلش يا ظريف... أنا هقوم أعمل شاي.. عايز؟.

رد عليها في سرور:..

_آه طبعًا.

_ قوم اعمل لنفسك.

كانت هذه الجملة كالصاعقة، وأثرها ابتسام ابنة خاله عندما رأت ملامح الصدمة على وجهه الذي لم يتحدث قط، فقط ابتسم بعد مغادرتها قام إلى غرفته وارتاح قليلًا، ثم سمع دقات على باب غرفته قام وفتح فوجد كويًا من الشاي أمام الباب بالتأكيد أخذه ورفع صوته شاكرًا من أعده ودخل غرفته ولكن هذه المرة في سعادة.

في صباح اليوم التالي استيقظ ولكنه شعر أنه سيتأخر ارتدى ثيابه وخرج ملقي الصباح عليهم وهم بالنزول من البيت وجد (ندى) تطلب منه

الانتظار من أجل الإفطار، ولكنه أخبرها أنه سيتأخر أسرع إلى، وأعطت له كيسًا به طعامه، ونزل مسرعًا في ظل تعجب والدها وسعادته،

وصل إلى عمله، وبدأ في مباشرة المكيمة إلى أن أخذ راحة قليلة، جلس علي إحدى درجات السلم وفتح الكيس وأخذ طعامه فوجد عليه ورقة وكاد أن يلقي الورقة لكنه لاحظ فيها بعض الكلمات

لما إنت تأخرت في النوم محبتش أزعجك قلت هتصحي وتروح شغلك وطبعًا هتكون مستعجل فحضرت لك السندوتش ده... متفكرش إن الأكل ده وكوباية الشاي بدون مقابل لا إنت بتحلم كدا

يوم الجمعة الجاية هنزل أنا و (كريم) عشان أفسحه شوية، وطبعًا مش هينفع ننزل لوحدنا إنت لازم تكون معانا.. من غير ما تتكلم أنا عارفه كويس إنه يوم أجازتك وراحتك وكدا لكن عارفه برده إنت أد إيه بتحب أخويا، ومتقدرش تزعله دا غير إن محدش بياكولها بالساهل.. ألف صحة وهنا.

بعد ما أنهى قراءته الورقة ابتسم في ذهول قائلاً في نفسه:..

هيّ فيها حاجة متغيرة عمرها ما كانت باللطيف ده بس إيه القلق اللي أنا فيه ده مهو دا شيء عادي وكويس إنها تعاملك باحترام ...

عاد (ثائر) إلى عمله وبعد مرور اليوم رجع إلى بيته ففتح الباب وجد الطعام على الطاولة، وسمع صوت يخبره بأن يغسل يديه قبل أن يبرد الطعام فعل كما قالت، ويجلس وسأل عن (كريم)، وأخبره أنه ينهي واجبه المدرسي، ثم جلست معه على الطاولة دون كلام فقط تأكل القليل، وتنظر له، عيناها

تحمل أكثر من كلمة طيبة تلك العيون التي طالما نظرت له بسخافة، وقلت تقدير تلك العيون التي جعلته يشعر بعدم الأمان والراحة التي من المتوقع منا أن نعطيها له إن كانت تحمل أكثر من معنى، فلا سيما أنها تحمل الندم تلك النظرة التي أحالت بينه وبين حقيقة كونه فرد من العائلة نظرة الندم التي جعلتها تدرك الأحوال وتسعى لتغيرها قبل فوات الأوان عوضاً عن كل المرات التي كانت تجلس معه على الطاولة، وترمقه بسخافة.. الآن ترمقه بشيء من الجمال، لم يسبق لها وأن فعلت هذا الشيء الذي أثار انتباهه وملاحظته نظراتها وعينيها، وإدراكه أن ما قد مضى فقد فنى ولا يهم ماذا حدث بالأهم ما سيحدث؟.. ولأول مرة رفع عينيه من على الطعام ونظر لها عن قرب في تأمل لملامح وجهها.. عينيها الزرقاوين.. رموشها الطويلة... وغمزة وجهها فقط عندما تحرك شفيتها قليلاً.. قائلاً في نفسه:.. كيف لي لم أدرك هذا طوال السنين التي عاشتهم بجواري في هذا البيت؟ هل كنت أحمقاً أم كنت لا أبالي؟ وإن فعلت فهذا لا يغفر لي تجاهلي إياها... هل يعقل أن يكون ال.... أفاقوا من شرودهم على صوت (كريم).

إنتم فيكم إيه.. عمال بنادي عليكم بقالي شوية وإنتم ولا هنا.

أخفض كل منهم عينيه في طعامه، وقامت (ندى) باخذ الطبق إلى المطبخ، وأخبرها (نائر) أنه أنهى طعامه، وقام من مكانه وجلس مع (كريم) الذي سأله إذا كان بإمكانه أن يشرح له مسألة في الرياضيات، وبعد أن انتهى سمع صوت (ندى):

_ الشاي جاهز اطلعوا عشان ميبردش .

قام (كريم) بالركوب على ظهر (نائر) ووضع يديه حول عنقه ضاحكاً
رأت (ندى) هذا فابتسمت، جلسوا وأنصت نائر:.

_ أخبار شغلك إيه .. مبسوط فيه .

_ أيوه .. طبعاً في الأول مكتتش مبسوط ولا حاجة .. بس دلوقتي أنا مرتاح .

_ طالما إنت مرتاح يبقى هتتعبك معانا يوم الجمعة .

نظر لها (نائر) مبتسماً، ولكنه قال في بلاهة:.

_ أيوه فعلاً هتتعبوني ..

انتبه (كريم) إلى الحديث قائلاً:.

_ هتعملوا إيه يوم الجمعة .

نظروا إليه وقالت (ندى):

_ أنا مش وعدتك إني هخرجك يوم جميل .. صح وأنا أهو بوفي بوعدني
عشان متقولش كلام عيال .

رد (كريم) متفاجئاً من الكلام:.

_ أيوه صح .. بس أنا قلت بتضحكي عليّ لأنك كنتي زعلانة اليوم ده .

رد (نائر) في هدوء:.

_ لا يا حبيب قلبي طالما أختك قالت لك حاجة يبقى هتعملها هي بتحبك
وحطاك في قلبها ومستحيل إنها تنسى حاجة تخص حد غالي عليها زيك .

وأردف بعد أن تحول صوته إلى الغلاظة المرحة:.

ـوبعدين دي حد يزعلها دي.. دا إحنا كلنا بنخاف منها يا ابني.

واستطرد بعد أن نظر إليها ووجد على وجهها ملامح الصرامة:.

ـبس مبنخفش أوي يعني.. هي قلبها أبيض برده.

ضحكت بصوت مسموع لأول مرة خرجت الضحكات أمام وجهه،
واتسعت عيناه ورأى وجهها كالقمر في سماء ملأها نجوم الحياة.

قام(نائر) بتجهيز نفسه للخروج حيث كان (كريم) قد استعد بالفعل منذ الصباح وأخته الأخرى تجهزت ولكن تدخل غرفتها وتخرج من الحين للآخر، ظل نائر ينتظرها على باب البيت، ولكنها تعود مرة أخرى إلى الغرفة ثم خرجت وقبل أن يغلق الباب قالت في رعب:.

ـاستنى .. استنى.

دلفت إلى البيت مسرعة، وخرجت بعد دقائق قائلةً:.

ـالمفاتيح معايا .. النظارة معايا .. فين الحظاظه .. أيوه أهى معايا ...

ينظر لها (نائر) وعلى وجهه ملامح السداجة قائلاً:.

ـإيه الشنطة الكبيرة دي .. إنتى مهاجرة ولا إيه.

ـيا ابني لازم اعمل احتياط لكل حاجة.. افرض مثلاً وقعت دلوقتي،
وانكفيت على بوزك وعينك ورمت اخرج معاك إزي أنا.. يبقى تلبس
النظارة.

_ يلا يا (ندى) يلا يا ماما .

نزل (نائر) من البيت ، وركب إحدى المواصلات واتجه إلى حديقة بها ألعاب الأطفال بعد أن مر على متجر واشترى بعض العصائر ، وظل يسير و (كريم) فوق كتفه يحمله وعلى وجهه الابتسامة ، وتتحول إلى ضحكات عندما يلف به ويدور ، ونظرت إليهم (ندى) في سعادة إلى أن جلسوا على إحدى المقاعد حيث أخرجت (ندى) بعض العصائر وأعطت لأخيها وأخرى ل (نائر) الذي لم يشعر بللمسة يديها وهو يأخذ منها العصير على عكسها التي احمر وجهها خجلاً ثم نظروا إلى (كريم) الذي كان يلعب على إحدى الألعاب الموجودة بالقرب منهم إلى أن قالت (ندى) في هدوء ..

_ أنا مبسوطة إننا خرجنا النهارده .. وخاصة إن (كريم) كان محتاج الفسحة دي

فعلاً .. وأنا كمان مبسوط ومرتاح نفسياً زي ما يكون أنا اللي كنت محتاج الخروج دي مش أخوكي .

_ ليه .. هو إنت في مشاكل في شغلك ولا حاجة .

_ لا عادي بس

صمت قليلاً وأردف بعد أن أخرج زفيره ..

_ كنت محتاج أقرب منكم شوية .. كنت محتاج أقرب من عيلتي .. تعرفي يا (ندى) أنا ساعات كتير بحس إني زرع شيطاني مليش أساس .

ظهرت على (ندى) ملامح الجدية قائلة:.

_ليه بتقول كدا .. إحنا عيلتك وأهلك حتى لو فيه أي مشكلة معاك دا
ميمنعش إننا مرتبطين ببعض.. لو بتقول كدا عشان اللي كنت بعمله معاك
أنا..

قطع نائر حديثها قائلاً:.

_لا يا (ندى) الموضوع مش كدا.. أبوكي مش عايز يقولي سبب الحالة
اللي أنا فيها كل اللي بيحكىه عن أمي وأد إيه هي كانت ست عظيمة لكن
أبويا مين؟ أنا مشفتوش مرة ولا حتى أفكر إنه سأل عليّ ولا إحنا سألنا
عليه كل اللي بيقوله اعتبره مات.. إزاي اعتبره مات وأنا فيه حاجات كتير
عايز أعرفها، وأبوكي مش راضي يفهمني.

_ ما يمكن ده لمصلحتك .. إنت يهملك في إيه اللي حصل أو الماضي
بشكل عام المهم اللي جاي .. مش مهم راح إيه لأنك مش هتعرف ترجع
اللي راح المهم اللي جاي إيه.
نظر لها (نائر) قائلاً في حزن:.

_وإيه فائدة اللي جاي طالما هيكون زيه زي اللي راح كل اللي بيحصل لي
في حياتي ده بسبب الماضي اللي أنا معرفش عنه حاجة أصلاً .. معقول أبقى
ابن حرام.

لا يا (نائر) قالتها (ندى) في اندفاع وأردفت:.

_متقولش كدا أمك كانت عارفة ربنا.... حرام عليك تقول عليها كدا..
وبعدين لا إنت أول ولا آخر واحد يحصل معه الموضوع ده ... زي ما
قالك خالك اعتبره مات .. لا في يوم هيسأل عليك ولا إنت في يوم هتسامحه
على اللي عمله فيك.

رد (ثائر) في صرامة:..

_أسامحه !!! .. اسامح مين.. واحد رمى ابنه من قبل ما يتولد أصلاً ..
أسامح واحد بينكر وجودي في الدنيا .. إزاي أب يعمل كدا دا الكلاب
مبتشيش ولادها.

اقتربت منه أكثر، وتقول في هدوء:..

_اهدأ يا (ثائر) اهدأ .. إنت شاغل بالك بيه ليه هو راح وخلاص وإنت
معشرتوش يوم واحد.. يبقى خلاص شوف نفسك، وحاول تخرج من
الحالة دي هتفضل عايش في الماضي مش هتخرج منه ولا هتعرف تشوف
مستقبلك .. خالك كان بيقول إن أمك كانت نفسها تبقى حد عظيم تسعد
الناس وترد لهم حقهم وتقف جمبهم.... و دي الحاجة الوحيدة اللي
هتخليك واقف على رجلك .. محبة الناس يا (ثائر) دي بكنوز الدنيا.

هدأت ملامحه ولا حظت (ندى) هذا ثم ابتسمت وأردفت:..

_إحنا كلنا حواليك كفاية (كريم) وخالك إحنا كلنا بنحبك وبنعزك جداً
.. ولا إنت زعلان على يوم الراحة اللي ضربتهولك.

ابتسم في هدوء حتي أردفت..

_مهو بيضحك أهوه وأنا اللي كنت مفكرة إن سنانك طرمه

نظر لها (نائر) قائلاً..

_في بنت رقيقة تقول طرمه.

وأردف بعد أن أغلقت عينيها قليلاً في حدة..

_مممكن يكون فيه بنت رقيقة تقول طرمه عادي يعني.

ضحكت ونظر أمامه، وسألها بعد أن هدأ عن أخبار الجامعة الخاصة بها
أخبرته أن كل شيء بخير، وأنها قريباً سوف تنتهي من مشروع التخرج
فحدثها إن احتاجت أي شيء بإمكانه المساعدة، أو مأت رأسها إيجاباً،
وظل ينظرون إلى بعضهم في لطف إلى أن سمع (نائر) صراخ (كريم)
ينادي عليه قام من مكانه ناظراً أمامه حتى يراه إلى أن رأى بعض الشباب
وأحدهم يمسك (كريم) من ثياب ظهره ويرفعه إلى أعلى في طريقة مهينة
ما إن رأى (نائر) هذا اندفع إليه، وضربه بقدمه وقع أرضاً قائلاً..

_أتشطر على حد أدك.

نظر هذا الشاب إليه في خبث قائلاً..

_زيك إنت.

أسرع (كريم) إلى أخته بعد أن التف حوله ثلاثة شباب، وهجم الأول عليه
ضربه (نائر) بقدمه في معدته، ولكمه في وجهه فوق أرضاً، وهجم الاثنان
الآخران قيدوه إلى أن قدم الشاب الرابع، وظل يضربه في معدته وصدره إلى

أَنْ صرخت (ندى) وما أكملت صرختها إلى أَنْ قام (نائر) برفع كلتا قدميه، وركل به الشاب وقع أرضًا على الممسكون به، قام وركل وجه أحدهم بعنف وهرب الثاني واقترب من الشاب الذي أمسك (كريم) من ثيابه إلى أَنْ أسرع من مكانه متوعدًا له أنه لن يتركه، التف (نائر) ونظر إلى (ندى) التي ظهرت على وجهها ملامح الخوف، و(كريم) الذي ظل يبكي تقدم إليه (نائر)، وحمله على كتفه قائلاً:..

ـ بتعيط ليه يا بابا دا إحنا شيعناهم .. يلا عشان أجيلك عصير تاني.

وهديء الطفل بعد أَنْ ظل يمازحه ويلتف به، ولكن (ندى) هيَّ من ظلت صامته طوال طريق العودة إلى البيت وكأنها تحمل نفسها ذنب ما حدث، وبعد أَنْ دخل (نائر) البيت نظر خاله في تعجب عندما رآه في حالة يرثي لها وسأله عما حدث، ولكن نائر صمت ونظر إلى (ندى)، ثم ألقت نظره إلى خاله مرة أخرى، ولكن (عباس) أعاد السؤال في حدة.

قال (كريم):..

ـ دول ناس يا بابا كانوا هيضربوني عشان وقعت العصير على واحدة صحبتهم.

ظهرت على (عباس) ملامح الغضب قائلاً:..

يضربوك .. والبيه اللي معاك كان بيعمل إيه، ولا كان عامل فيها كيس جوافة ومعرفش يخلي باله منك.

أخفض رأسه أرضاً، وأخرج زفيره وأنصت:.

دا (ثائر) جه جري عليّ، وخدني من إيده بعد ما ضربه، ورحت أمسك في إيد (ندى) وبشوفه وهو بيضربهم وطلعوا يجرّوا من قدامه، وجبلي عصير بدل اللي وقع وأنا كويس أهوه.

هدأت ملامح عباس عن الغضب ومد يديه إلى ابنه، وأدخله الغرفة في ظل وقوف (ندى) الناظرة إلى (ثائر) الذي ظل خافض رأسه إلى الأرض وعلى وجهه علامات الضيق وكأنه من يحمل نفسه عبء تعريض (كريم) للمشكلة، ولكنها سرعان ما قالت:.

إنت مضايق من إيه إحنا كويسين بسسبك وبعدين إنت ضربت العيال شوية ضرب يعني بصراحة شغل فنادق.

نظر لها بعد أن ابتسم، وخرج (عباس) ونظر لهم مماًزحاً:.

هما نقلوا تماثيل اميحتوب ونفرتيتي عند باب الشقة ولا إيه .. ما تيجوا إنت وهي:.

تقدم (ثائر) ومن خلفه (ندى) وجلس (عباس) قائلاً:.

أنا عرفت أربي .. عرفت تحمي ولاد خالك يا ابني .. أنا كدا مش قلقان عليهم طول ما إنت معاهم .. عارف ليه .. لأن لما ريتك كنت عايز أزرع فيك الحاجات اللي تخليك راجل بجد وأد أي مسؤوليه حاجات أمك كانت عاوزها فيك واللي عملته النهارده ده بيثيت لي إني مفشلتش في تربيتك .. ربنا أخذ مني أمك وعوضني بيبك عشان تكون سند لي ولولاد خالك تكون

ليهم الأمان والسند والظهر .. عمري ما في يوم شكيت إنك هتتخلي عن أهلِكَ.

يبدأ في مغازلته عندما وجد الابتسامة على وجهه وأردف:.

إنت بتفكرني بنفسى وأنا شباب .. كنت بضرب لي تمانية كدا كل يوم.
قال (نائر) مغازًا:.

_ تمانية إيه بس يا خال هما فراخ.

ضحكت (ندى) وقال والدها:.

_ تحب أوريك.

_ لالا مصدقك دول مش تمانية دول أربعتاشر.

ضحك (عباس) قائلاً:.

_ شفت بقى.

في ظل هذا المنظر الجميل تنظر (ندى) إلى والدها و (نائر) الذي اتخذ دربه معها مسارًا آخر.

صباح اليوم التالي ذهب (نائر) إلى عمله، وأخذت (ندى) أخاها إلى مدرسته، وذهبت هي إلى الجامعة، ولكن اختلف هذا اليوم بأن (نائر) لم يسلم من حديث أصدقائه فيما حدث معه، ولكنه كان يستقبل الكلام بمتتهى الهدوء وعلى عكس المتوقع انتهى هذا اليوم دون شعوره بالوقت، وإن كل يوم من عمله بدا له وكأنه لا شيء دون ابتسامة ندى التي تمررها إليه كل يوم صباحًا، وتبقى معه وفي خياله إلى أن يعود إلى بيته وينالها ثانية.

جلس نائر على العشاء وبعد تناوله القليل سألته (ندى):
_ هو إنت كنت حاسس بإيه في اليوم ده.
رد (ناثر) في عجب:..
_ يوم إيه بالظبط.
_ اليوم اللي خرجنا فيه.
_ حاسس بإيه إزاي يعني .. هي حُقنه.
_ لا ياخفيف .. أقصد إيه هو شعورك في اليوم ده.
_ الشندوتشات اللي كتتي عملها وجعتلي بطني .. كانت حمضانه ولا إيه.
قامت من مكانها في غضب أسرع ممسكاً يديها قائلاً:..
_ خلاص طيب بهزر إنتي بتفشي بسرعة ليه .. اقعد طيب.
جلست وأردف:..
_ اليوم كان جميل بجد رغم حصولنا على بعض الدراما بس انبسط حسيت
إحساس أول مرة أحسه من ناحية حياتي هنا ودا إداني أمل كبير في الدنيا.
_ إحساس إيه بقى.
_ لا مهو راح خلاص بقى مش فاكرة دلوقتي.
أومأت رأسها إيجاباً ومع إدراكها عن إحساس هذا اليوم إنها الحاجة التي
كانت تضل طريقها إلى قلبه وعقله ليلتزم الجمود فيه قبل أن ينهي طعامه،
قالت (ندى):..

_ بس إنت ضربت العيال جامد أوي أنا مكنتش مفكرة إنك عصبي كدا.
_ أنا مكنتش حاسس بحاجة .. بس لما شفتك خيفة معرفش إيه اللي
حصلي.

_ فعلاً يا (نائر) أنا كنت خيفة.

رفع نظره إليها وقبل أن ينطق بكلمة أردفت:.

_ بس كنت خيفة عليك.

ابتسم في هدوء وأردفت في مزاح:.

_ أصل لو كان حصلك حاجه منكناش هنعرف نروح البيت لوحدنا.

_ تشربي شاي.

ضحكت (ندى) في هدوء قائلة:.

ياريت وإبقى اغسل الصحون بالمرة .. أهوه تساعدني أصل حواجبي
بتوجعني.

صبرني يارب

قالها (نائر) حاملاً الأطباق متجة إلى المطبخ، وبعد مرور بعض الوقت
دخل (نائر) إلى غرفة الجلوس، ووضع الأكواب قائلاً في مزاح:.

_ يارب تكون الخدمة عجبت سيادتك.

_ فین المچ بتاعي.

_ قومي اعلمي لنفسك.

ومد يديه لأخذ ما أحضر قالت في سرعة:..

_ خلاص خلاص بهزر إنت بتقفش بسرعة ليه .. اقعد طيب.

وأردفت بعد جلوسه:..

_ أنا فرحت كدا من كلام بابا عليك في اليوم ده حسيت إني شايفة نسخة بابا

في شبابه قدام عيني حسيت بالأمان إنت فيك كتير منه .. صفات يعني.

رد (نائر) في بلاهة:..

_ طالما أنا في صفات منه حد بيحب يعامل أبوه بالطريقة اللي كنت بتعامليني

بيها دي

لترد ندى بعد أن أخذت رشفة من الكوب.

_ أنا .. أنا كنت بحب أرخم عليك بس.

_ أنا عارف بس قلت أسمعها منك.

ثم أردف بعد أن نظر صوب عينيها:..

_ تعرفي أول مرة أحس إني قوي .. أول مره ميتمكنش مني الخوف، ويكتفني

زي ما بيعمل دايماً، إنتي و (كريم) لو كان حصلكم حاجة مكنتش هسامح

نفسي أبداً... أنا عندي استعداد انضرب ميت ضربة ولا إنكم تتأذوا .. أول

ما سمعت صوتك وصراخك تخيلت إنك بتناديني عشان ألحقك حسيت

باندفاع غريب يعني أنا استمدت قوتي منك إنتي.

ردت (ندى) في سعادة:..

_ إزاي ده دا أنا كنت واقفة مرعوبة.

أخذ (ثائر) شهيقاً وأخرجه قائلاً:.

_من لحظة ما وعيتي على الدنيا وتشكلت أفكارك وشخصيتك وإنّني
بتعامليني كأني حد بيكرهك مش ابن عمتك، وكانت طريقتك معايا
محسّساني إني غريب .. مكروه .. مش من حقي أكون هنا وسطكم أنا كنت
بستغرب وأقول هيّ ليه بتعمل كل ده عايزة تقولي إيه بتصرفاتها دي كنت
بتمنى إني أترحم من كلامك.

أخفضت (ندى) رأسها وعلى ملامح وجهها الحزن حتى أسرع في قول:.
_ورغم كل ده حبيتك من كل قلبي.

رفعت (ندى) رأسها مرة أخرى، وتحولت ملامحها أقرب ما يكون من
الصدمة، وأردف (ثائر):.

_معاملتك اللي تغيرت وصدقك معايا وشوية الحنان اللي كنت بلاحظهم
عليكي أحياناً دا اللي شجعني إني أصارحك رغم إني مش عارف دا نفس
شعورك ولا لا بس محبتش أفقد الإحساس ده جوايا حتى لو إنتي مش ليّ
في النهاية بس يكفيني إن قلبي امتلىء بحب حتى لو مش ليّ... أحسن من
إنه يمتلىء بغيرة وأنانية وامتلاك.

صمتت (ندى) وهي لا تزال تسمع لا تنطق بحرف فقط، تتوالى الكلمات
عليها، وتسارعت دقات قلبها، ولكن (ثائر) فسر صمتها هذا شيئاً آخر،
توقف في منتصف كلامه وأخفض نظره أرضاً قائلاً في هدوء:.

_أنا آسف يا (ندى) أنا معرف...

قطعت حديثه قائلة:.

_أنا لما قربت منك حسيت أد إيه قلبك جميل وأنا كنت غلطانة في معاملتي
ليك بس دا وضحلي حاجة كبيرة جدًّا كانت مخفية جوايا وإنْت خرجتها.
رفع (ثائر) نظره إليها وأردفت:.

_عايز تعرف جوابي على كلامك ده يبقى لازم أسالك أربع أسئلة كل سؤال
بتجاوبه بكلمة واحدة، ولو جوبتهم هتعرف لو حدك أنا هتقبل كلامك ده
ولا هنكره.

أوماً (ثائر) رأسه إيجابًا:.

_لو حصل وقتلك اطلع بره البيت، وقول لخالك إنك إنْت اللي عايز
تمشي هتطلع.

_لا.

_خالك أمك أمانة علينا واللي إنْت قولته ده يخليك إيه؟

_مرتاح.

_إنْت فاكر نفسك إيه وسطنا.

_حبیب.

_ولما يعرف اللي حصل ده ويواجهك هتقوله إيه؟

_خذلتك.

أنهي (نائر) كلمته، وامتلاأت عيناه بالدموع المتحجرة، ليس لما قالته ابنة خاله، ولكن لوقوع أثر كلمة خذلتك على قلبه كالصاعقة، ولاحظت (ندى) ملامح وجهه قائلة:..

_إجابتك منطقية، ولو جمعت آخر حرف من كل كلمة..

ثم اقتربت منه، وابتسمت في هدوء وسعادة وأردفت:

_أحبك.

انزلت دموع (نائر)، وفلتت من لجام عينه رأى بوضوح صورتها مع ابتسامتها الرائعة وهي تمد يدها، وتمسح من على خده دموعه، ولكنه يمسك يديها ويبعداها بهدوء قائلاً:..

_فيه شوية تراب دخلوا في عيني .. إنتي مبتنفضيش كويس.

_أنا آسفة كان لازم أعمل كدا عشان أعرف إنت فعلاً متمسك بينا ولا لأ.

رد في استنكار:..

_يعني هما شوية التراب دول هما اللي هيعرفوكي متمسك بيكم ولا لأ.

_بحبك.

دخل (كريم) من باب الغرفة قائلاً:..

_أنا سمعت كل حاجة... محدش بيحبك أدي يا (نائر) أنا بحبك أكثر

واحد أنا أخوك الصغير وأعرف أكثر منك.

قام من مكانه بعد أن ارتسمت على ملامحه السعادة، وأمسكه ورفعته عاليًا،
ويلف به مرارًا وتكرارًا، وتعلو ضحكاته إلى أن دخل (عباس)، ورأى هذا
المنظر فتعجب قائلاً:..

_هو العيد جه ولا إيه .. أصل طول عمركم عيلة نكدية يعني أول مرة
تعملوها.

قال ممازحًا:.

_ليه بس يا خالووووووو.

رد في سداجة:..

_ لا يا حبيب خالوو مفيش .. أنا داخل أغير هدومي على ما تحضروا الأكل
يا نن عين خالوو، وتمتم بكلمات وهو داخل غرفته.

_هو الواد أتھطل ولا إيه

جهزت (ندى) طعام والدها، وجلب له (ثائر) كوب الشاي إلى غرفته،
وخرج بعدها وقد أخرج زفيره وشعوره بالراحة، ودخل إلى غرفته، ونام في
ظل تفكير بما حدث، وبما يترتب عليه من أحداث إنه أمل جديد قد ظهر
له، وتمنى أن يكون السبب في تغير حياته.

وفي صباح اليوم التالي خرج من غرفته وكأنه يريد التحقق مما حدث، وأنه
ليس مجرد حلم اتجه إلى مائدة الإفطار، وجلس إلى أن قال له خاله:..

_براحة على الواد المرة الجاية لحسن يقع منك.... بلاش كدا.

تحدث (كريم) .:

ـليه بس يا بابا دا أنا بحبه يرفعني كدا يبقى طائر من على الأرض.

وظل الحديث بينهم، ولكن ما يدور في عقل (نائر) ما حدث ليس حلمًا بس حقيقة التمسها في وجودهم حتى (ندى)، نظرت له في شوق عند نزوله وتصاحبه ابتسامتها التي أحبها من قلبه، وصل إلى عمله، وقد شعر بوجود شيء ما إلى أن أتى أحد العمال، وأخبره أن السيد (مندور) مالك المصنع قد أتى، وسأل عليه اسمًا، انخطف قلب (نائر) ظنًا منه أنه قد فعل شيئًا ما، ومن الممكن أن يطرد من العمل، لم ينطق بكلمة واحدة فقط ذهب إلى مكتبه، وطرق الباب، ودخل وجده جالسًا على مكتبه مشغل سيجارًا لا ينظر إليه حتى فقط يقلب في الأوراق التي أمامه إلى أن قال (نائر) .:

ـحضرتك طلبتني.

أشار إليه بالتقدم، ومن ثم قام من مكانه، والتف حول المكتب، وتقدم إلى إليه قائلاً .:

أنا أسمع عنك كثير يقولوا إنك شخص محترم وعلمي ومفיש أي مشكلة بتيجي من ناحيتك،

ثم وضع يده على كتفه، وأردف .:

ـبس للأسف فيه مشكلة واحدة.

وقام بالنظر علي يساره التفت (نائر)، فوجد الشاب الذي قابله في الحديقة، وقام بضربه ورأى ابتسامته الخبيثة، ثم التفت إلى (مندور) بعد أن قال .:

_دا يبقى ابن صديقي.

امتلكت الحيرة عقل نائر ومضى

_إنت ضربته في يوم كنت خارج فيه مع عيلتك لأنه كان بيهين ولد صغير
ابن خالك اسمه (كريم) مش كدا.

أوما رأسه إيجاباً ثم أردف (مندور):.

_طبعاً من حقتك إناك تدافع عنه وتحميه مهو ملهوش غيرك بردو... بس
اللي مش من حقتك إناك ترفع إيدك عليه قبل ما تعرف هو ابن مين.. ولا
إنت رأيك إيه.

ثم أخرج دخان سجارته في وجهه وقبل أن يتكلم (ناثر) استطرد:.

_دلوقتي لازم ياخذ حقه... أنا عمري ما فرط في حق حد من طرفي يا إما
هخلي أبوه ياخذ حقه من خالك وأولاده.. لما أبوه كلمني قلت له
ميحملش هم وإنت هتسمع الكلام لإناك ببساطه متحبش تشوف عيلتك في
وضع مهين.

نظر (ناثر) إليه في حدة قائلاً:.

_أنا قدامك ... حد خليه يجي ياخذ حقه.

ابتسم (مندور) قائلاً:.

_برافو وأنا كنت مراهن على ذكائك ببساطة مستحيل تضر خالك بعد ما
رباك وإنت صغير بعد ما أبوك سابك لوحدك.

أدرك (ثائر) أنه يعلم كل شيء عنه، وما سيفعله يكون الصواب، ومن ثم أشار (مندور) إلى الشاب، تقدم ووقف أمامه في حين ضغط (مندور) على زر المكتب لاستدعاء اثنين من الرجال، ودلف وأمسكوا بذراعيه من الخلف نظر لهم (ثائر) في غضب، ولكنه سمع (مندور) متقلقش دا بس عشان متتهورش.

وأردف بعد أن ضرب الشاب (ثائر) أول لكمة في وجهه:.

_أنا في شبابي كنت زيك كدا كنت بخاف على رزقي من أي تهديد. ويُلكم الثاني وتحدث:.

_عشان كدا أي تهديد كنت بتصرف معاه بالطريقة المناسبة.

ويُلكم الثالثة

_بس المشكلة إن الناس ممكن تنسى نفسها وتعمل حاجات يزعلوا منهم اللي ميقدروش على زعلهم عشان كدا لازم يكون..

ويُر كل في معدته وي طرح أرضًا

_مكانهم دايمًا الأرض..

نظر إليه (ثائر) في غضب، ولكنه لا يقوى علي المقاومة، ويقوم الرجلان بإيقافه على قدمه:.

إحنا طبقات يا ابني ولازم تفهم ده

أخذ صفقة على وجهه،

إحنا في السما وإنتم في الأرض مينفعش تسبوها.. لإننا بنرمي لكم الفتافيت
اللي تسد جوعكم، وتخليكم تقدرُوا تخدمونا.

ضرب في معدته مرة أخرى، ولكن (ثائر) تمالك نفسه حتى لا يقع
لو إنتم طلعتوا السما مين هياكل الفتافيت دي.. وبتفضلوا تقاوموا بس لحد
إمته.. دا مصيركم.. ابن الغني بيتولد غني وابن الفقير لازم يفضل فقير...
مكانه الأرض.

ضرب مرة أخرى وقع أرضاً بعد أن وضع أحد الرجال قدمًا خلفه، وقام
(مندور) من مكانه، واقترب منه قائلاً:.

العز لأولاده والفقرا اللي زيك، ولا إنت فاكر إن العين هتعلی على
الحاجب... يا ولد..

نظر إليه (ثائر) وهو في وضع مهين.. تتبعثر كرامته.

إنتم وباء ماسك في المجتمع ولازم نتخلص منكم، وأنا هبدأ من عندي.
وقال صارخاً في وجه رجالته:.

طلعوا الحثالة دي بره مشوفش خلقته تاني.

ثم نظر إليه في خبث شديد، واستطرد:.

ودا أحسن له.

في يوم مشمس في الجامعة، قابلت أحد أصدقاء (ندى)، وتخبرها أن (ثائر)
بحث عنها داخل الجامعة، امتلكتها لذة الفرح مع قليل من القلق على أنها
غير معتادة على قدومه إلى هنا خاصة أنه في ذلك الوقت في عمله، وسألته

عن مكانه، قالت لها إنه بالقرب من الباب الرئيسي للجامعة، ذهبت ندى مع صديقتها إلى باب الجامعة، والتقت به فوجدت على وجهه بعض الخدوش إلى أن قال:..

_الكلية بتاعتكم حلوة أوي.. وفيها حاجات حلوة بردو...

ابتسم لها، ثم نظرت إلى صديقتها قائلة:..

_طيب روعي إنتي وشوفي الدكتور زي ما قلتي.

اقتربت منه بعد رحيل صديقتها قائلة:..

_مالك فيك إيه ... وإيه اللي حصلك ده.

ابتسم إليها (ثائر) قائلاً:..

_أنا اترفدت.

ابتسم هيّ الأخرى قائلة:..

_ألف مبروك بجد.

نظر لها في عجب عائد كلامه:..

_أنا اترفدت.

أعادت نفس كلامها، ولا زالت الابتسامة على وجهها:..

_ألف ألف مبروك .. اترقيت إمتة؟

أمسكها من يدها وأخذها إلى مكان جلسوا فيه قليلاً بعيداً عن ضوضاء الطلاب، وبعد برهة من جلوسهم قال:..

_أنا أترفدت.

ردت في دهشة:.

_إيه.. طيب ليه؟

_إنتي مش قلتي إنت ضربت العيال وقلتي أديهم أهو رجع لي ثاني.. فاكرة
الواد اللي ضربته طلع ابن صديق صاحب المصنع.

قالت في بلاهة:.

_إيه اللخبطة دي.. وبعدين إيه علاقته باللي في وشك ده؟.. إيه اللي حصل

_مهو وأنا جايلك خبط في عمود

_هو العمود يعمل فيك كدا.

_مهو لما خبطت في عمود وقعت وحمار بعربية كارو داس عليّ.. شكله

كدا تبع الحمار.

_واضح إن العمود ده مغلول منك أوي.

ضحك وهو يقول:.

_تحبي أستناك نروح سوا أهو موريش حاجة بقيت عاطل.

قالت له:.

_أيوه أنا هجيب بس حاجة من الدكتور وأرجع.. بس أوعي عينك تروح

كدا ولا كدا.

رد عليها نائر وهو يحرك رأسه يميناً ويساراً:.

_هو أنا بتاع كدا بردو.

تلق لكمة في صدره، وشعر بألم قائلاً في مزاح:.

_هو أنا نقصك إنتي كمان.

_لم نفسك.

رد عليها في بلاهة حاضر وأردف بعد أن أشار إلى إحدى الطلبة قائلاً:.

_لو سمحت يا كابتن ناولني رجلي من عندك.

ضحكت في هدوء خشية أن يسمعها أحد ثم ذهبت وبعد قليل من الوقت

عادت، ولكنها لم تجده مكانه شعرت بيد قد لمست كتفها والتفتت لتجد

زهرة أمام عينيها نظرت له قائلة:.

_ودي جبتها منين.

رد عليها وهو يشير بإصبع يده:.

_من هناك.

_طيب يلا بينا عشان مخدش فصل بسببك إنت ووردتك دي.

حدثها (نائر) وهم في طريقهم للخارج:.

_أنا هبدأ أدور على شغل تاني مش مرتاح في الشغل ده بس قلقان من أبو كي

مش حابب أضايقه _في حاجة مش حابب يشوفني غير مسؤول.

_أنا معرفش إيه اللي حصل معاك بس أكيد حاجة مخلياك حاسس بذنـب
أو ... بصراحة مش عارفة بس اللي أعرفه ومتأكدة منه إن إنت يعتمد عليك
يعني.

_يا ستي متشكرين على الروح المعنوية دي.

ثم نظرت صوب عينيه وأردفت:.

_متقلقش طول ما أنا جمبك.

توقف حديثهم عند الاقتراب من البيت، وأخرج نائر المفتاح، وفتح الباب
وجد (عباس) في انتظاره قائلاً:.

_تعالى نقعد في البلكونة شوية.

وأردف بعد أن تبعه (جلال):.

_قل لي على اللي حصل في المصنع عندك إنت ليه متصدرتش ليهم؟

صمت (نائر) لبرهة ثم قال:.

_ماكنش ينفع يا خالي كنتم هتنضروا، وأنا مش هسمح لحد يضر وكم.

أخرج عباس زفيره قائلاً:.

_أنا عارف إنك اتبهدت يا ابني بس مين فينا متبهدلشي عشان يعيش.

يرد نائـر في حدة:.

_الغني ميبتدلشي يا خال.

_لأ يا ابني غلطان مش كلهم منهم اللي بيشقي عشان يحافظ على فلسه
عشان لو معملش كدا مش هيحافظ على فلسه.

وأردف:.

_أملك كمان اتبهديت يا نائر عشان تثبت نسبك.

_قصداك إيه؟!

نظر عباس أمامه قائلاً:.

_ده الوقت المناسب إنك تعرف فيه كل حاجة أملك كانت بتشتغل في شركة
وصاحب الشركة عرض عليها الجواز، وأنا وفقت بعد ما قالتلي لي إنه
إنسان محترم وكويس رغم إني كنت خايف من عواقب الموضوع ده إلا
إني وافقت لما شوفت الفرحة في عيون أملك وإتجوزها وعمل فرح جميل
وكنا مبسوطين لحد بعد شهر من الجواز وطلقها للأسف يا ابني مكنتش
مدي خوانة وده جنن أملك ومكنتش مصدقة إنه بالقذارة دي ورحت أنا
لأبوك وكلمته وقال لي إن الطفل لازم ينزل وأنا اترجيته وقتله الطفل مش
هينفع ينزل نادى على حرسه، وأمرهم يضربوني وهو بيهني، وأمرهم
يرموني بره أنا كنت ممكن أكلهم بسناني بس خوفت على أملك، وده اللي
خالاني تقبلت الإهانة بعدها أملك راحت له وهددته إنها هتثبت نسب الولد
له طبعا أبوك خاف على اسمه وفلوسه وفي الآخر قالها أنا هاخذ الولد على
اسمي، لكن لازم تعرفي إنه ملوش أي حق عندي لا إنتي ولا هو وهتمضي
على كده، أملك وفقت لإنها مكنتشي عايزة غيرك ومش مستتية منه حاجة،
صدقني يا ابني تعبت وعانت لحد ما إنت جيت وهي راحت لربها عشان

ياخذ لها حقها من الدنيا، وكانت حطة أمل فيك كبير، وكانت بتحلم طول
شهور ولادتك باليوم اللي هتجي وتنور فيها حياتها، وتبقى حاجة عظيمة
عشان كده بقولك لازم تحقق حلم أمك.

نظر إليه نائر في حزن وانكسار:.

ـ وإنّت جاي دلوقتى تقولي الكلام ده.

مد يده على كتفه قائلاً:.

ـ لازم تبقى قوي يا ابني انحت في الصخر، كل الظلط الحق بيروح لو مع
ضعيف يا ابني حط الكلام ده في دماغك.

غادر وظل نائر مكانه يفكر في كل ما حدث معه، وانبعث إليه شعاع مضيء
في سماء الظلمات ليمتلك اليقين أن هناك أمل وإن كان في أرض أخرى.

بعد مرور الأيام يذهب لعمل مقابلة في إحدى الشركات:.

ـ أستاذ (نائر).... اتفضل.

يأخذ شهيقاً ثم يخرج، وهو يسير نحو غرفة المكتب يطرق الباب عدة
طرقات ثم يدخل قائلاً:.

السلام عليكم.

ـ تفضل.

مد (نائر) يديه بالملف ليأخذه منه، ويقلب في الأوراق، ويقوم بسؤاله عدة
أسئلة، ويجيب (نائر) عليها بثقة ليتسم الرجل قائلاً:.

_إنت ورقك كله تمام حتى ثقتك وثباتك ملفتين للانتباه.

ارتسمت الابتسامة على وجه (نائر) قائلاً:.. شكراً يا فندم يارب أكون عند حسن ظنك.

ومن ثم يسأله رجل بعد أن ضم يديه على بعضها:..

_إنت ولدك شغال ايه؟

صمت (نائر) لبرهة، ثم قال:..

_الحقيقة يا فندم أنا ولدي تركنا وأنا صغير و.....

قاطع حديثه إغلاق الملف وقيام الرجل بإشعال سيجار وأخذ منها نفساً، وأخرج دخانه في وجهه ومن ثم قدم له الملف قائلاً:..

_ لو احتجنا لك هنكلمك.

رد (نائر) في نبرة حزن غير مصدق ما يحدث معه:..

هو فيه مشكلة في ملفي يا فندم.

رد عليه ونظرات اللامبالاة على وجهه:..

_ لو احتجنا لك هنكلمك ... شرفت.

خرج نائر من المكتب إلى الشارع كما جاء مدرّكاً أن لا يوجد مجال يحمل ملفه الذي أضاع من عمره لسنين في التعليم من أجل الحصول على فرصة للحياة، ولكن الفرص دائماً تأتي للأشخاص الخطأ، تناثرت سنون حياته لتصبح عقبات تحول بينه وبين حياة طبيعية لتصبح سراب لا يخرج منه أبداً

ظل يسير هائمًا في أفكاره ليرى من حوله خيالات أشخاص بكلمات
تتداخل مع بعضها:.

_ العز لأولاده والفقر للي زيك.

تضامنت معها كلمات:.

_ إنت ولدك شغال إيه.

وأخرى:.

_ متقلقش أنا على طول جمبك.

ساندتها كلمات:.

_ إنت لازم تحقق حلم أمك.

أسكتها كلمات أخرى:.

_ مكانكم دائمًا الأرض مينفعش تسبوها.

وأخرى:.

_ لو احتجنا لك هنكلمك.

عاد الصوت ذاته:.

_ أنا دائمًا معك.

_ إنتم وباء.

_ حلم أمك.

_ دائمًا.

_ شرفت.

أصوت متداخلة وخيالات في كل مكان لا يستطيع الهرب منها، هرول
كالمجنون في الشارع ممسكاً رأسه قائلاً:

_ كفا الية.

دقات على الباب، فتح كريم وقال إلى أخته لقد عاد ثائر يا أختي ذهب إلى
غرفته نظرت له في تعجب دون أن تتلفظ بحرف جلس على مكتبه، وأخرج
ورقه أمامه، وكتب ماذا تخبي بعد أيها القدر؟.

طرقات على باب غرفته،

فتحت (ندى) عليه الباب قائلة:..

_ عملت إيه؟

رفع نظره إليها ثم أخفض رأسه لتدرك حينها أنه حدث مثل المرات
السابقة، طلب منها الجلوس وحده، وخرج بعد ساعة إلى غرفة الضيوف
منادي عليها حتى تأتي، وأخبرها دون مقدمات أنه قرر السفر، وتنظر في
تعجب قائلة:..

_ للدرجة دي اليأس اتملك منك.

نظر إليها وملامحه لم تتغير قائلاً:..

_ ده الحل الوحيد إلا أنا شيفه دلوقتي.

_ الحل إنك تبعد عني.

_ أنا مش هأبعد عنكم أنا هدور على فرصة خارج الحدود على الأقل الناس
اللي في البلد هناك _ مش هتقولي أبوك مين؟ ... أبوك شغال إيه؟

ونظر إليها وملامحه تزداد حدة

_ على الأقل محدش هيلوي ذراعي أو يهددني إنه هياذي عيلتي على الأقل
مفيش جملة اسمها ابن الغني هيفضل غني وابن الفقير هيفضل فقير ...

إلى أن لاحظ على ملامحها الحزن الشديد وأردف:.

_ كلام أبوكي إن الحق لو مع ضعيف هيروح.

_ إنت نسيت حلم أمك.

_ الحلم هنا مصيره اتنين يا إما الموت يا إما إنه يتحول لكابوس ... لازم
أسافر عشان أحقق حلمها.

لترد عليه في حدة:.

_ إنت عارف البلد اللي هتسافرها دي إيه ولا مصيرك فيها إيه ولا إنت قلت
هتسافر وخلاص.

_ أي مكان مفهوش حدود مفهوش قيود أنا تحررت قبل كدا وجودي هنا
لعنة ... لعنة.

ظلت (ندى) واقفة تنظر له وكأنها تنظر إلى شخص آخر مليء بالغضب
إنه الجانب المظلم من نار خامدة: لاحظ (نائر) هذا أبعد نظره عنها قائلاً:.

_ أنا مش هضيع وقت.

وبعد مرور أيام من البحث المتواصل لإيجاد طريقة للسفر قابل أحدهم وأخبره أنه لا مجال لديه سوى الهجرة الغير شرعية، فوافق رغم أنه يعلم نسبة نجاته من هذه المخاطرة قليل، وظل جالساً في البيت شارد الذهن غالق علي نفسه غرفته.. قليل الكلام بدا الإرهاق يظهر أسفل عينيه، وقرر في نهاية الأمر أن يسلم بالأمر والرحيل. ومرت الأيام وأتى ميعاد رحيله، قد جلس مع عائلته ساعات من المرح والسعادة حتى إنهم لم يلاحظوا شيئاً إلى أن غادر دون علمهم فقط، ترك رسالة لهم وقابل أحدهم كان في انتظاره وأخذه وعبر الحدود، وعندما وصل كانت هناك مركب في انتظارهم لعبور البحر حيث قام بدفع المبلغ المطلوب منه، وصعد على متن المركب، وبعد مرور يوم فقط ضربت المركب عاصفة رعدية، وعصفت الرياح بقوة، وارتفعت الأمواج لأمتار عن القارب وترمي القارب بعيداً وواحد تلو الآخر قد سقطوا في الماء صوت الصراخ والنجدة لا ينقطع وكلامات استغاثة إلى أن تمزق المركب أشلاء، وقام نائر بالتشبث بقطعة من حطام المركب وهو مدرك أنها نهايته.... نهاية لحياة قد أرغمته على الموت في مكان مجهول في بحر سلب منه حياة قد اغتصبت من قبل، ولكنه جاهلاً أن تلك النهاية هي بداية لأخرى.

عاد كبير من بيت شيحان بعد أن تركه ليهدأ قليلاً، وقد وجد نائر قد خلد إلى النوم في مكانه الذي جلس فيه عند دخوله إلى البيت، نظر إليه كبير في شفقة قائلاً:..

ـ من أنت أيها الشاب؟

في صباح اليوم التالي نهض نائر من مكانه حيث وجد الطعام على الطاولة، ولكنه لم يجد كبير تناول بعض الطعام إلى أن دخل عليه كبير وهو يطمئن على حالته، وبعد أن أنهى طعامه جلب له كبير بعض الثياب للخروج إلى بيان، أخذها منه وارتداها وكل ما يدور في عقله هو احتياجه إلى الوقت خرج نائر برفقة كبير الذي لاحظ نظراته إلى كل مكان والبيوت المصممة بشكل هندسي غريب وجميل في نفس الوقت ومنها ما تكون من طابقين وأخرى طابق واحد الذي يراه بالقرب من شاطئ بيان حيث كلما اقتربت البيوت من شاطئ بيان تكون أصغر، وكان هندسة البيت على شكل مربع ويعليه ألواح من الخشب المتراكمة فوق بعضها توحى للشكل الهرمي، وعندما سأل نائر عن سبب وجود الألواح هذه رد عليه:ـ

ـ إن هذه الألواح تغطي كامل البيت فقط عندما تهطل الأمطار حيث تنزلق الألواح عن بعضها للتجمع، وتتمثل في الشكل الهرمي لينسال مطر السماء من عليها ويصب على جوانب البيت لتسقي هذه الأشجار، وأيضًا حتى لا يتأثر البيت بالماء هذا حتى لا نهدر قطرة ماء تمنحنا إياها سماء إرم.

تعجب نائر من هذا الشيء الذي رآه أمامه بسيط، ولكنه مفيد أيضًا وتابع السير إلى أن لاحظ أن الطرقات متشابهة، وأحس أنه يدور في مكانه حيث وجد أن البيوت متباعدة عن بعضها نسيبًا على هيئة صفوف وأعمدة إلى أن قطع شروده كبير قائلاً:ـ

ـ هنا ندخل إلى القلب النابض لهذه القرية قلب بيان.

وجد ثائر إلى ثلاثة طرق طويلة نسيباً لها الرونق الجميل من الأشجار والترتيب وهندسة النظام وهي لا تختلف كثيراً عن البيوت ذات الطابق الواحد، دخل به كبير إلى أول طريق قائلاً:.

هذا فص بيان الأيسر هنا المتاجر المخصصة لبيع الغذاء والطعام من لحوم وخضراوات وغيرها، وهناك أكثر من متجر لكل سلعة حتى لا تفقد بيان مصدر من غذائها، ولكن المقايضة واحدة لا أحد يخالف في هذا إنها دائرة صاحب متجر الخبز هذا وابنه يصطادون الأسماك، ثم يذهبون بها إلى الفص الأوسط لبيان عند متجر الطحين؛ ليقايضوه بالدقيق اللازم لصنع الخبز، وصاحب متجر الدقيق يذهب بما قايض وبما أتى من عمله إلى الفص الأيمن لبيان؛ ليقايض به التاجر الذي يذهب إلى إرم لمقايضة ما أتاه بالقطع الحديدية، ومن ثم يذهب إلى حرث؛ ليأتي بالحبوب ويعود بها، وتستمر هذه الدائرة بلا توقف كل متجر هنا في قلب بيان لديه ما يقوم به.

نظر كبير إلى ثائر الذي بدا عليه الحيرة والدهشة، وابتسم له بعد أن أردف: .
المزارع وصاحب الحرفة والتاجر كلهم مرتبطون ببعضهم إنها سلسلة لا يجب أن تفقد توازنها وهذا ما نعيش عليه.. قريباً تتعامل مع الأمر.

دخل كبير إلى متجر الأسماك الخاص بشيخان الذي ظل يرمق (ثائر) بنظرات أثناء حديثه مع كبير إلى أن غادرا إلى الفص الأوسط ل(بيان) حيث بدأ كبير بالكلام:.

_ هذه المتاجر الأخرى التي نقايض بها ما نحتاجه من أمتعة مختلفة من ثياب وفخار وأمتعة الصيد وغيرها من متاجر السلع الخام وأغلبها يأتي من

القرى الأخرى، وهناك ما يأتي من إرم مثل أواني الطهي التي تتحمل الحرارة وايضا الصبغ الذي يستخرج من إحدى كائنات البحر، والتي تمزج بخيوط الغزل لصنع أرقى الثياب التي سترها يوماً، وهذا لا يتم إلا في مصانع إرم، وإن كان هذا يذهلك انتظر حتى ترى قوم المدينة.

التفت حوله حتى تقع عينه على متجر قريب قائلاً في هدوء..

وهنا تقايض الأسماك بالطعوم والشباك.

رد عليه (كبير)..

ليس دائماً فهناك سلع أخرى تدخل الدائرة هذه... قريباً ستعلم جيداً أن كل شيء تراه يمكنك استخدامه، ويكون له بداية ويتشكل في شيء آخر أقرب ما يكون لك بعيداً تماماً عن يدك كل شيء تعطيه لنا إرم سيعود لها من جديد.

ثم أردف بعد أن أخرج زفيره في هدوء..

تنسج ألياف النباتات لصنع شبكة لصيد الأسماك التي تتغذى عليها أنت وتأكل الماشية زرع أرض إرم لتكبر وتنحرفها، وتتغذى عليها أنت حتى الثياب تنسج من زرع أرض إرم، وتستخدمها أنت ليأتي عليك يوم وتأخذك إرم في أرضها وتسترد منك ما أعطتك من قبل.

وظل كبير يتحدث إلى أن دخلا الفص الأيمن من قلب بيان ليجد (نائر) الأحصنة والأبقار والمحاصيل بكميات كبيرة والمصانع الصغيرة من الأخشاب والحديد والثياب وغيرها، وانتبه لحديث كبير حينما قال..

إن قليل من الناس من يأتي إلى هنا في مثل هذا الوقت، ولكن المختلف في هذا الفصل أن كل شيء تراه له قيمة لا تختلف عن قيمة السلع الغذائية، ونظر إلى أن تلك السلع تتلف مع مرور الوقت إذا كانت بعيداً عن باطن إرم الذي يوضع فيه كل المحاصيل التي لا يمكنها التلف هناك.

ظهر على وجهه ملامح الحيرة حيث استطرد:

ذلك المكان هدية من إرم حتي لا يقال أن أحداً قد اجتاح على أرضها، لذلك قامت بتصنيع القطع الحديدية والسيوف فقط حتى تقايض بها ما تحتاج من غذاء تقديراً عن فترة إبقائه في متجرك، فلا تتحمل كلفة الخسارة، وفي ألواح إرم قد سجل المؤرخون أن هذه الفكرة أتت لهم عندما رأوا أن الماشية تعيش أطول سنين من المحاصيل المخزنة.

ثم أخرج زفيره، ومضى:

لقد أرهقني هذا، هيا بنا نعود إلى فص بيان الأيسر من أجل أن نجلب قوت يومنا، فقد أهدرنا الكثير من الوقت، ونرى أحوال المتاجر.

ذهبا إلى المتجر، وجلس يعلمه كيفية المقايضة وعمل الزيوت حيث كان متجره مخصصاً لبيع الزيوت الطبيعية ومنها للطعام وأخرى للعلاج.

قام (ثائر) بالصعود إلى أعلى البيت، رأى أجمل ماقد رآته عيناه أضواء في شوارع بيان كلوحة فنية تزين بها أرض رملية، سابح في تفكيره وخيالاته شوارع مضاءة بالمصابيح الخلابة وأمور وجوده في هذا المكان الذي يستطيع ألا يكون أبداً ضعيفاً بلد لا تحتضر بل تلبى كل احتياجاته، نظام

يستطيع تسويق نفسه، سمع صوتًا بداخله يرشده إلى كل ما أراده الآن يقع بين أيده قطع شروده صوت كبير قائلاً:.

_ هيا أيها الشاب.

هبط بعد أن تأمل شكل الأبراج.

_ مستعد يا سيد كبير.

ثم قاما بتحضير أدواته للصيد كما أخبره أن يفعل، وقاما بحملها متجهين إلى الشاطئ الذي يوجد عليه مراكب صغيرة عليها جمع من الناس بعد أن وضع الأغراض في المركب، لاحظا وجود بواخر كبيرة، وعندما سأله عنها أخبره أنها لأغراض أخرى ستعلمها فيما بعد، وبعد مرور بعض من الوقت علم أن أحد مساعدي (كبير) على هذا المركب لم يستطع القدوم، وذلك بسبب مرضه الذي جعله جليس الفراش حيث أمر (كبير) مساعده الآخر أن يجهز المركب للإبحار حتى لا يسرقهم الوقت، وتمر بعض الدقائق وأتى (شيخان) وألقى التحية عليهم ناظرًا إلى (ثائر) قائلاً:

_ تحضر الغريب ليساعدك.

نظر (كبير) إلى (ثائر) الذي بدا على وجهه علامات اللامبالاة، ثم التف إلى (شيخان) قائلاً في حدة: اسمه (ثائر) لا غريب بينهم، سيكون خير عون، أعاد (شيخان) نظره إلى (ثائر) وعلى وجهه ملامح السخرية يتمنى هذا، ثم انصرف ويتقدم (كبير) بعض الخطوات اتجاه (ثائر) وضع يده اليسرى على كتفيه مواسياً:.

_ لا عليك.

رد عليه في هدوء..

_ لن يكون هذا أعظم ما يمر.

أوماً رأسه إيجاباً، وأبحروا بالمركب مبتعدين عن باقي المراكب الأخرى لا توجد أي علامة لمراكب أخرى، مرت الساعات واستخرجوا الشباك وألقوها مرة أخرى بعد أن وضعوا الطعام، وفعل (ثائر) هذا وذاك وكل ما يؤمر به، وسمع صوت كبير مماًزحاً..

_ كيف ترى العمل أيها الشاب؟

رمقه بنظرة الإرهاق قائلاً.

لم اصطاد يوماً ولكنى اعتقد انى سبلى حسنا مع مرور بعض الايام فقط انا لدى معلم جيد

ابتسم كبير وأخبره أن يرفع الشباك، ويحترس قدمه أن تنزلق ما كاد يكمل جملته إلا انزلقت قدم مساعده ووقع من المركب بعد أن اصطدمت رأسه بجانبه وأمواج البحر كادت تغرقه وهو يسمع صوت كبير صارخاً..

_ لا تتركه لا تترك أخيك لا تتركه أسرع.

ومد يده إليه، وسحبه خارجاً قبل أن تسحبه الأمواج إلى بعيد، وألقى بجسده على المركب، وضغط على صدره، واستعاد وعيه بعد أن أخرج الماء من فمه، وحينها قرر كبير العودة إلى الشاطئ مرة أخرى؛ ليعالج جرح رأسه الذي مازال ينزف، قطع ثائر القماش من ثوبه، ولف به رأسه إلى أن وصلوا إلى الشاطئ، وقال (كبير):

_ هَيَّا احملة على ظهرك، واتبعني.

وحمله، وركض خلف كبير إلى أن وصلا إلى متجره، وقام بفتحه ودخل ووضعه على الأرض، وجلب كبير بعض العسل، ووضعه على قطعة قماش، وقام بربط رأس مساعده بها بعد أن خلع (ثائر) قطعة القماش الأولى، ونظف جرحه، وجلب كبير بعض الفلفل، وقام بوضعه في أنفه، وقد غرق وجه ثائر بلعاب ذلك الرجل بعد أن عطس، وأفاق من غفلته غير مدرك ما حدث، اطمأن (كبير) عليه، ثم التفت إلى (ثائر) الذي جلس في إحدى أركان المتجر قائلاً له:.

_ أحسنت عملاً.

وفي ذلك الوقت رسى مركب (شيحان) على الشاطئ، ووجد مركب كبير، فذهب إليه فلم يجد أحد فيه تاركين صيدهم حيث قال في نفسه:.. لا يترك كبير صيده خلفه لا بد وأن هناك أمر ما إلى أن صمت لبرهة، ثم أردف في حدة:.

_ الغريب لا بد وأنه فعل له شيئاً ما.

ثم أسرع إلى بيت كبير فلم يجد أحد، وزاد غضبه إلى أن وجد أحد المارة وسأله أن كان قد رآه فأخبره لا يعلم، ولكنه رأى متجره منذ قليل وبه بعض الدماء، لم يكمل الرجل حديثه إلى أن أسرع إلى هناك في ظل تعجب من رآه من أهل القرية، وصل ووجد (كبير) جالساً ولا يبدو عليه شيء حيث سأله عما به لم يرد عليه، وكاد أن يسقط أرضاً إلى أن هم (ثائر) إليه،

واحتضنه وأجلسه على مقعد، اقترب منه (كبير) وسأله عما به؛ فنظر إليه في صمت إلى أن قال (كبير):

_ هيا يا نائر اذهب لإحضار أشياءنا من المركب.

أوماً نائر رأسه إيجائاً، وبعد مغادرتهم قام (شيخان) بسرد عليه ما حدث معه عندما عاد من البحر وعن حديث الرجل الذي أخبره أن هناك دماء في المتجر وعن قلقه من هذا الغريب، ابتسم قائلاً:

_ أتظنني قد كسر الدهر ظهري.

ثم ضحك وأردف بعد أن جلب له كوباً من الماء؛ ليشرب.

_ تفضل يا صديقي لتهدأ قليلاً.

ومن ثم أخبره عما حدث في البحر، وكيف أنقذ هذا الشاب حياة مساعده، وكيف داوى جروحه تظهر على ملامحه الحيرة، ولكنه أخبره أنه يتصنع ذلك، وضع كبير يده على كتفه قائلاً:

لا أحد يتصنع الغرق يا صديقي، ربما كان يمكن أن يفقد حياته إلى أن دخل المساعد قائلاً:.. سوف يذهب لمقايضة هذا ويكنى عليه أن يذهب إلى البيت اليوم، وعندما سأله عن (نائر) أخبره أنه يساعد رجال شيخان في أغراه، وسوف يأتي بحاجتنا بعد انتهائهم معهم.

نظر إليه بعد مغادرة مساعده:..

_ ألم أقل لك أن لا غريب بيننا.

ومن ثم خرج (شيخان) وذهب إلى كثيره، وجلس يفكر فيما قد حدث معه إلى أن دخلا الرجلان برفقة نائر، ووضعوا أشياءهم بعد إلقاء التحية وهم (نائر) بالمغادرة إلى أن أوقف (شيخان)، ومد يده إليه بقطعة قماش قائلاً:.

_ هذا أجر ما أحضرت لنا من أسماك.

نظر إليه (نائر) في حدة قائلاً:.

_ أنا لا أنتظر مقابلًا للمساعدة، هكذا تعلمت ولكن إن أردت كفّ عن إهانتني كلما تري وجهي.

ثم رحل في ظل وقوف (شيخان) الذي لم ينطق حرفاً آخر ما إن نظر إلى قطعة القماش التي بيده، ثم عاد إلى مكانه مرة أخرى، وصل إلى المتجر، وبدأ على وجهه الضيق فسأله (كبير) عن ما به فأخبره أن لا يوجد شيء فقط حرارة الشمس، فأخبره رغم وجودهم بالقرب من الشاطئ إلى أن حرارة الشمس هذه عظيمة مقارنة بحرارتها داخل إرم، ولما سأله عن كيفية حدوث هذا، أجابه أن هذه المدينة بنيت علي أرض لا تتعتمد عليها أشعة الشمس بل تمر من عليها فقط كنسيم الرياح، وقد أثار هذا جدل الغرباء، وحدثوا عن براعة المهندسين والفلكيون في هذا الأمر كما هو حال باطن إرم، وأردف قائلاً:

_ غداً سوف آتي لك بشباب جديدة، ولكن الآن خذ هذا الكيس، وأذهب إلى البئر، وأتي لنا ببعض الماء، فلا نريد أن يظمأ جسدنا اليوم.

أخذ منه الكيس، واتجه إلى البئر حيث وجد (سليم) واقفًا وممسكًا بيدي أمه التي كانت واقفة وتحمل في يديها القارورة وهم يقفون بعيدًا لا يستطيعون أن يقتربوا من زحام الرجال على البئر وكأنه سوف ينفذ، اقترب منهم في هدوء قائلاً:..

_ ما الذي تفعله هنا يا صديقي؟

نظر إليه الطفل قائلاً:..

_ أهلاً يا عم إني وأمي نريد أن نحصل على الماء، ولكن هناك زحام كما ترى، فلا تستطيع أُمي تجاوزهم وأنا ضئيل الحجم لا أقوى على الزحام. ابتسم له ثائر وهو يداعب شعره قائلاً:..

_ ولكنني أستطيع.

ورفع نظره إلى ضفيرة التي لم ترتفع عينيها عن محل قدمها، ثم تقدم سائلاً أن تسمح له أجابته في استحياء أن لا داعي لذلك سينفض الزحام قريباً. _ وجب علي ذلك.

ثم أخذ منها القارورة، وزاحم بينهم إلى أن عاد بالماء بعد أن قابضه بالحبوب التي كانت معه، وأعطاهما القارورة وبالمقابل قامت بإعطائه الثمرات ليقول إلى الطفل لو عرفت اسمك لناديتك به كلما أراك. رد عليه الطفل قائلاً:..

_ أدعى سليم وهذه أُمي ضعيفة.

وأردف بعد أن أدار وجهه عن أمه التي احمر وجهها خجلاً، وعندها سأله عن ثيابه ولما هي مبزرة، قطع حديثه أمه لا يجب عليه أن يتدخل في شيء لا يعنيه، فأجابه:.

_ أنها قصة طويلة، رد عليه في براءة:.

_ أنه متشوق أن يعلم ما جرى، ثم جذبته أمه من يده وهو يقول إلى اللقاء يا عم.

أطال النظر إليهم قائلاً: _ إلى اللقاء.

وعاد إلى البئر لإحضار الماء إلى المتجر، وقايضه بالثمرات التي أعطته إياها ضفيرة وبقي معه ثمرة واحدة، فلم يستغرق الأمر الكثير من الوقت ليعلم أنها مقابل مساعدته، قال في نفسه: . أنها ابنة أبيها حقاً، ثم غادر عائداً إلى المتجر، وبدأ في العمل معه وقد أظهر براعة في خلط الزيوت وتصنيعها، وقد ذهل (كبير) من عمله، وقبل الغروب أخبره أنه سوف يذهب إلى مساعده ليطمئن عليه، وإن عليه العودة إلى البيت حيث أغلق المتجر، وذهب إلى بيت مساعده عمار. طرق الباب، وفتحت زوجته، ورحبت به، ثم دخل على مساعده؛ فوجده جالس الفراش، وعندما سأله عما به فوجد أن آلام ظهره قد تمكنت منه، وعندما سأله لم لم يحضر الطبيب؟ فأخبره أنه ليس بالقربة الآن، وبعد مرور بعض من الوقت غادر وعلى وجهه ملامح الحزن على رفيقه وعلى حالته التي يرثى لها، دخلا إلى البيت منادياً على ثائر الذي كان في الدور العلوي يرى ما قد جعل البريق في عينيها من جمال

الأبراج وروعتها، نزل إليه وخبره أن ما قد رأى أروع ما قد رآه في حياته، رد عليه: .إنها أبراج إرم ثم أردف:

_ هيا عليك الراحة سوف تقوم بالأعمال جميعها خلال الأيام المقبلة بعد إصابة مساعديه وخاصة عمار الذي يعاني من ألم في ظهره.

رأى نائر عليه الحزن في الحديث، اقترب منه نائر سائلاً عن بعض من الزيوت مثل التي توجد في المتجر، هل لديك بعض من الزيوت هنا إشارة إليه بمكانها؟ ولما سألته عن السبب ذهب إلى الغرفة، وعاد بعد دقائق ومعه زجاجتان، ثم خلط إحداهما على الأخرى بنسب معينة ليتهيى ويعطي كبير إحدى الزجاجتين، قائلاً: .إن هذا الخليط سوف يخفف عنه الألم خلال يومين فقط، إنه فعال جداً، أستطيع أن أصنع بعض الخلطات من الأعشاب والزيوت للعلاج وللصحة إنه تخصص قد تعلمته منذ فترة قبل قدومي إلى هنا، ولكن لم تسنح لي الفرصة للعمل به.

_ لماذا؟

_ الوسطة.

ثم ابتسم نائر عندما رأى الحيرة على وجه كبير، وأردف: .

_ الوسطة هي أن لا تملك كفاءة للعمل، وإنما كل ماتحتاجه هو شخص ينهي لك أمورك بكلمة واحدة حتى وإن كنت غير مؤهل لذلك.

_ وإن كان كذلك فمن يتحمل المسؤولية؟

رد عليه في سداجة: .

_ سيتحدث بأربع كلمات فقط: . إنه خطأ غير مقصود.

أنهى ثائر حديثه، وجلس معه كبير؛ ليتناولوا الطعام، وفي ذلك الوقت كان (شيحان) جالسًا مع ابنته وحفيدة سليم الذي قال: .

_ هل تعلم ماذا جرى معنا اليوم يا جدي؟

_ أخبرني أيها القوي.

_ ذلك العم يا جدي لقد أحضر لنا الماء من بئر بيان، ولم تستطع أُمي إحضاره بسبب الزحام.

_ من يكون هذا؟

_ ذلك العم الذي ظل عندنا بالبيت عدة أيام.

ما إن أنهى كلامه، وقد علم (شيحان) أنه الغريب، ومن ثم أخبره أن أنهى طعامه، وذهب إلى غرفته، وقام من مكانه ودخل هو الآخر غرفته، وخرج بعد قليل نادى على ابنته، وأعطاهها قطعة القماش، وطلب منها أن تقوم بنسجها الليلة حتى تكون جاهزة بالصباح، أخذتها منه وأومأت رأسها إيجابًا، وقبل شروق الشمس تحدث إلى صديقه بعد عودتهم من الصيد، وسأله عن حال ثائر معه، فأجابه أنه يعلم ما عليه فعله وقد أثمرت جهوده، ثم غادر إلى بيته، ودخل غرفة ابنته، وجدها نائمة وبجوارها قطعة القماش الذي انتهت من تفسيرها، ظل ينظر إليها إلى أن تقدم، وأخذ الثوب، وقبلها من جبهتها قائلاً: .

_ لقد عانيتي كثيرًا أشهد لك بذلك.

بدا على وجهه الحزن حين خرج واتجه إلى غرفته، ولكنه جلس على فراشه يتذكر ما حدث معه تلك الليلة التي أتت إليه ابنته في حالة يرثى لها عندما وجد ابنته جالسة على باب البيت وظهرها يستند عليه وتجنس بالبكاء وثيابها ممزقة وجروح ملأت جسدها ناظرًا لها وملامح الرعب على وجهه وعيناه لا تصدق ما تراه، اقترب منها خطوت تلو الأخرى ويمد يديه التي ترتعش واحتضنها بقوة إلى أن فقدت وفيها، حملها ووضعها على فراشها وذهب إلى صديقه، وطلب منه أن يهتم بابنته لأنها مريضة، ومن ثم أخذ حصانه، واتجه (داباد) في ظلام الطريق الدامس، ولكن نار قلبه قد أضأ له طريقه ذلك البركان الذي يوجد داخل قلبه إذا انفجر لابتعلت حممه هذه الأرض، وتطايير دمع عينيه وهو على حصانه رأى أمامه منظر ابنته ضرب الحصان بلجامه قائلاً:.

_هيا هيا.

إلى أن وصل إلى بيت أسر، وقام بكسر الباب شاهراً سيفه قائلاً في غضب: _أسر اظهر أيها الجبان.

ولكنه لم يجد رد، ولم يجده في البيت ارتفع صوت زئيره: _أسر.

غادر إلى بيت مهران، وكسر باب بيته خرج له (مهران) في رعب وحيرة مما يراه قائلاً:.

_ماذا هناك يا سيد (شيخان)؟

لم ينه جملته إلا وقد انقض عليه صارخاً في وجهه:.

ـ أين أسر؟ ... أين اللعين؟

ولكن من شدة رعبه لم يستطع الكلام، ولكنه يطيح به في أرجاء البيت وهو يكرر سؤاله.

أجابه:.

ـ إنه في بيته مع ابنتك ضفيرة.

أطاح به شيحان بعيداً صارخاً:.

ـ ليس في بيته أين أجده أخبرني؟

ـ ما الذي حدث يا سيد (شيحان) أنا لا أفهم شيئاً؟

ظهرت ملامح الغضب على وجهه ونظراته التي كادت أن تقلع عينيه من مكانها، ولا يوجد على لسانه سوى جملة:.

ـ أين هو أخبرني؟

ليكرر مهران كلامه الممزوج بالخوف والقلق.

أمسكه شيحان من رقبته ورفع عاليًا حتى قال مهران وهو يحترق:.

ـ لا أعلم عنه شيئاً.

ولكن منظر شيحان الذي رآه من لعب سايل ووجه غاضب وعينه البارزتين قد جعله يقول كلمة واحدة:.

ـ إرم إرم.

وضعه أرضاً، ولاحظ شيحان زوجه وأولاده الذين وقفوا مذعورين وهو يغادر من البيت تاركهم وراءه ركب حصانه، وعاد إلى بيته في الصباح، ووجد كبير مع ضعيفة، وعلى وجههم القلق ومن ثم أخذهم كبير، ودخلوا إحدى الغرف.

ظل جالساً على فراشه وهو في حالة يرثى لها وتدمع عيناها مما قد فعله لابنته فقط كل ما أراد لها هو السعادة وما غيرها ولكن الكذب والخيانة تزيف لتصبح حقيقة.

سمع (شيحان) صوت أقدام خارج غرفته، وقام بمسح دموعه بعد أن تذكر ما حدث له في تلك الليلة، ونهض من مكانه، وأخذ الثوب معه وخرج قابل ابنته قائلاً:

ـ سوف أذهب الآن.

فأخبرته أنها سوف تحضر الطعام، رد عليها أن لا داعي ويخرج متجهاً إلى كتيره، قابل كبير أعطاه الثوب، وأخبره أنه لثائر، ولكن لا يجب أن يخبره أنه من أخبره حتى لا يشعر أنه مقابلاً عما فعله، بدت علامات الغرابة على وجه كبير، ولكنه رد عليه في هدوء هناك ما لا يفهمه، ولكن هذا شيء جيد، ومن ثم ذهب شيحان إلى عمله، وأتى ثائر بعد أن قاىض الأسماك، وأعطى لكبير ما فاضيه، وأعطاه الثوب طالباً أن يرتدي، وسوف يذهب إلى مساعده ويتمنى أن يتعافى، وحدثه عن اعتماده عليه اليوم في العمل لأنه سيتأخر قليلاً، هم بالعمل في حيث ذهب إلى مساعده وأعطاه الزيت، وبعدها غادر إلى متجر شيحان، وجلس معه يتحدثان عن نقص بعض الموارد في متجر

كبير إلى أن أتت ضفيرة وابنها سليم حيث ألفت التحية عليهم، وأخبرت (كبير) أنها تحتاج بعض من الزيوت من متجره، فحدثها أن نائرها هناك سوف يلبي لها ما تريد.

ردت عليه في خجل أنها ذهبت بالفعل، ولكن لم تجده هناك لذلك رحلت. ابتسم لها وهو يقول:.

_لا داعي لذلك إن نائرها ليس بغريب عنهم.

نظرت هي إلى والدها الذي أوماً رأسه إيجاباً للذهاب حتى ذهبت.

وقال كبير لصديقه في هدوء:.

_لماذا يمتلك وجه ابتك هذا القدر من الحزن؟ بالكاد أرى تفاؤل علي وجهها لن تصبر على هذا عليك مساعدته.

_أنا لا أستطيع أن أساعد نفسي على تخطي هذا، كيف لي أن أساعدها كلما أنظر إلى وجهها، أتذكر ما حدث وكأنه البارحة لن تمحى السنين هذا. قاطعه كبير:.

_هذا كان مقدر لنا من إركد، ولن نغفل عن إدارتها، ولن نغيرها.

لقد وصلت ضفيرة إلى المتجر وهي ترى نائرها وقلبها يخفق لا تعلم لماذا تشعر أنها تعرفه وقرية منه؟ ولكن كيف؟ ليقطع صمتها صوت نائرها:.

_كيف حالك يا صديقي؟

رد عليه سليم:.

_بأفضل حال.

قالت ضفيرة دون النظر في وجهه: . أنها تحتاج بعض الزيوت. فسألها عن استخدامهم، قالت بعضهم للطعام والآخر الحلوى، ذهب نائر لإحضار إحدى الزيوت الغير معروفة لضفيرة قائلاً: . هذا الزيت أفضله في الطعام، فإنه صحي للغاية، أما هذا فهو للحلوى لأنه يحتوي على الطاقة اللازمة لبناء جسد الطفل، ثم حول نظره إلى سليم، وأردف حتى يصبح قوياً مثل جده، رفعت نظرها إلى ما أحضر، ولكن ما لفت انتباهها هو ذلك الثوب الذي صنعه بالأمس، ثم نظرت صوب عينيه نظرها لأول مرة قائلةً في خجل:.

_لا أعلم إن كنت أستطيع أن أثق في كلامك.

_الثقة لا تأتي من هباء يا سيدة ضفيرة.

أخفق قلبها سريعاً بعد أن سمعت اسمها على لسانه، شعرت بأنها تعرفه جيداً، ولا تعلم ماذا حل بها؟ أردف نائر:.

_الثقة تحتاج إلى معرفة والمعرفة تحتاج الوقت هذا إن كنتِ لا تمانعين، وإن لم يعجبك الأمر عليك أن ترجعيه كما شئتِ إنها زيوت جيدة، وليست سيئة كما يعتقد البعض.

أخذت الزيوت بعد أن أدارت وجهها عنه، ولكنه أوقف سليم قائلاً بعد أن نزل على ركبتيه:.

_تفضل هذه يا سليم.

مديده وأخذ الثمرة وشكره.

_عليك أن تعدي بشيء يا صديقي ووجب عليك الإلزام به.

اندهش الطفل سائلاً عما يريد.

_عليك أن تعدي أن لا تأخذ شيئاً مقابل مساعدتك لأحد حتى تجد من يساعدك دون مقابل.

لاتزال ملامح الدهشة على وجهه وأردف:.

_عندما تكبر ستفهم ما أعنيه، ولكن الآن أريد منك أن تعدي بهذا.

_حسناً أعدك يا عم.

ومن ثم ذهب مع أمه التي احمرّ وجهها خجلاً مما صار، وهي قد علمت أنه أدرك أن هذه الثمرة كانت جزاء ما فعله معها عند البئر، وظلت هكذا حتى دخلت بيتها، وجلست لتعيد ذكريتها، وحديثه وكلامه ونطقه لاسمها، ولكن ما شئت تفكيرها هو كلامه عن الثقة تلك الثقة التي ذقت مرراتها من قبل قامت من مكانها، وأحضرت الطعام لحين يأتي والدها، وقد استخدمت ما أعطى لها من زيوت، ومر الوقت وحضر والدها، وضعت الطعام على الطاولة وما إن تذوق الطعام إلا أن قال لها مماًزحاً:.

_لقد تحسنتي.

ردت عليه في هدوء:.

_ لقد أعدته لك في ثقة يا أبي على أن ينال إعجابك، ليس هذا فقط فقد أعدت الحلوى.

وفور انتهائهم من الطعام قامت بإحضارها قال (سليم)..

_ انظر إليّ يا جدي إني قوي... إني قوي مثلك.

_ نعم إني أرى هذا عليك أن تحافظ على قوتك.

وبعد الانتهاء قام شيخان إلى غرفته، وانقضت الليلة على ضفيرة، ويلازمها بعض الأرق ليأتي أبوها صباح اليوم التالي، وارتاح قليلاً، ثم ذهب إلى متجره حيث وجد كبير في انتظاره، وما إن مرت ساعة إلا وقد أتت ابنته التي تحتاج بعض الأشياء من متجر كبير، نظر لها في عجب ثم قال..

_ اذهبي وأتي بحاجتك.

ذهب بعد أن شكرته، وكان في قلبها مزيج من السعادة والقلق مما تفعله، ولكنها لم تفصح لعقلها عما تريد حتى وصلت إلى المتجر، وظن نائر أنها هنا حتى تعيد الزيوت، وبالفعل قام بسؤالها، ردت عليه في خجل وذكرته أن الثقة تحتاج إلى الوقت لم يمر سوى يوم واحد، ابتسم نائر في بساطة بعد أن أدرك أنه سوف يراها كثيراً الأيام المقبلة تلك الأيام التي ظلت تمر يوماً بعد يوم وهو يرى وجهها، وتمنى أن يرى ابتسامتها ذات مرة إلى أن عاد مساعداً كبير إلى العمل مرة أخرى، وأسند إلى نائر أعمال المتجر من مقايضات ومعاملات، ورأى كبير تحسن علاقة شيخان به، وأراد أن يقوي هذه العلاقة حيث قام بإرسال بعض العطور مع نائر إلى بيت شيخان، طرق الباب فتحت ضفيرة، ورأته أمامها احمرت وجنتها سائلة عما يريد

وأخبرها أنه قد أتى ببعض العطور إلى شبحان، طلبت منه الوقوف لحظات وذهبت هي وحدثت والدها، ولكنه لم يستطع الوقوف ساكنًا، وكان الشوق يلتهم قلبه ما إن نظر خلصة إلى خصرها الصغير المتدلي عليه خصلات الشعر الأسود حتى غص بصره، ونظر أسفل قدمه، وعقله حدثه كيف له أن يفعل هذا؟ ألا يحترم أهل من أكرمك، تعرق جسده وشعر بالذنب تجاه ما فعله، وعادت إليه، وأخبرته أن والدها في انتظاره، ولكنها لاحظت التغير على ملامح وجهه والتعرق في تلك اللحظات التي تركته واقفًا على باب بيتها إلى أن دخل على والدها وهو ناظر محل قدمه إلى أن رفع نظره وألقى التحية على شبحان وأعطاه العطور، قام هو بإعطاء العطور إلى ابنته، وطلب منها الذهاب، وطلب من نائر الجلوس من أجل التحدث في أمر ما حيث بدأ في الحديث:.

ـ أعذر منك أيها الشاب عما بدر مني أيامك الأولى هنا، اعذرنى فأنا لا أعرفك، ولا أعلم ما تكون حقيقتك؟
نظر إليه نائر في دهشة قائلاً:.
ـ حقيقتي.

ـ نعم ولكن المدة التي قضيتها معنا هنا قد أجبرتني على احترامك، فأنت شخص صالح، ولا يهم قط ماذا يكون ماضيك؟ وماذا تكون؟ عليك أن تتخطى هذا وأن تبادر في تغير اعتقاد من يسئوا الظن بك.
تحولت ملامح الدهشة على وجهه إلى حزن ثم يخفض رأسه، سمع من جديد:

_ارفع رأسك أيها الشاب لا داعي أن تخفضها أبدا لا ندم لا خزي فقط العزة.

رفع نائر رأسه قائلاً:.

_أحياناً كنت أتساءل لما تعاملني هكذا وأنت لم تعرفني بعد؟

أدار شيخان نظره عنه لبرهة ثم تحدث:.

_أنا لست شخصاً سيئاً كما تظن.

قاطعته في سرعة:.

_لا يا سيد شيخان أنا لم أقصد ذلك.

_لا يهم الآن ما حدث الأهم أن تتخطى هذا أن تبادر في حياتك.

ثم أردف بعد أن تبسم له:.

_هناك أشياء تحدث دون وعي منا، وهناك أشياء الغرض منها هو السعادة وإن باءت بالفشل، فلا نستسلم ولا نقسي على أنفسنا، ونبدأ من جديد في إصلاح ما أفسد.

أوماً نائر رأسه إيجاباً مصداً لكلامه، ثم استاذن بالمغادرة حيث سمح له شيخان بعد أن قايضه بما أحضر، وغادر في ظل ابتسام ضفيرة لما سمعته من دون قصد من والدها وحديثه مع نائر، دخلت عليه بعد دقائق وعلا وجهها ابتسامة خفيفة سائلة له في لطف: إن كان يرد شيئاً ما قام من مكانه، ويتقدم عدة خطوات إليها، ورفع كلتا يديه ممسكاً وجهها، ثم قبل جبهتها واتجه إلى الباب للخروج حيث وقفت ضفيرة مكانها ناظرة له مما تعلمه

من حزن وأسى داخل قلب أبيها، ولكن هذه القبلة التي لامست جبهتها قد تكون البشرى للأيام القادمة، وفي صباح اليوم التالي قد علمت أنها سترافقه إلى المتجر ومعها سليم الذي غمرته السعادة لمجرد أنه علم تواجده مع جده في العمل، وبعد مرور بعض الوقت قال جده إليه أن ذهب إلى كبير للجلوس معه قليلاً، وعندما نظرت له ابتته في دهشة أردف كلامه وهو ناظر لها قائلاً:..

_ من الجيد أن يجلس مع أناس آخرين حتى يحسن المعاملة.

بعد أن أنهى كلامه طلب من مساعده أن يذهب به إلى هناك، وعندما دخل إلى المتجر رحب به كبير في سعادة وسرور، وجالسه سائلاً عن حاله:..

_ كيف حالك أيها القوي؟

_ بخير يا جدي أمي تصنع لي الحلوى حتى أصير قويًا مثل جدي، هكذا أخبرني العم ثائر.

ثم أدار نظره هنا وهناك وأردف:..

_ أين العم ثائر لم لا أراه؟

_ إنه ذهب ليجلب بعض طلبات المتجر.

ثم أردف وهو يشير إلى الخارج:..

_ ها قد أتى.

وضع ثائر يديه على شعره مداعبًا بخفة قائلاً:..

_ كيف حالك يا سليم؟

رد عليه في حيرة:.

ـإني بخير، ولكن جدي كبير أخبرني أنك كنت تحضر بعض طلبات المتجر، ولكنني أرى يدك فارغة.

ضحك ناثر بعد أن قال:.

ـبالفعل وذلك لأنني لم أجد طلبي هناك.

ثم أردف بعد أن نظر إلى كبير:.

ـإن الزيوت التي نحتاجها غير موجودة بعد، وسوف يأتي بها خلال ثلاثين يومًا، وهذا سوف يؤثر على تجارتنا.

ـبالتأكيد ثلاثون يومًا مدة طويلة لا نستطيع أن نتحمل كل هذا.

ـلم لا أذهب أنا لإحضارها؟

ـإنك بالكاد تعرف بيان وهذه قرية صغيرة مقابل مدينة إرم غير أنك لا تعلم من أين ياتون بها؟

رد عليه في هدوء:

ـلا تقلق يا سيد كبير يمكنك الاعتماد عليّ.

صمت كبير لبرهة ثم أخبره بموافقته، ومن ثم ذهب سليم مع ناثر إلى جده حيث كان يمسك يده وهو في شدة السعادة إلى أن وصل إلى المتجر، ورأت ضفيرة يدي ابنها في يد ناثر، ارتسمت على جدران قلبها زخارف الفرح حيث وجدت تعلق ابنها به كما لو كان والده، شردت ذهنها لبرهة حتى قطعها حديث ناثر:

إني ذاهب إلى إرم بعد يومين إن احتاجت شيئاً أخبريني لأحضره معي.
رد عليه شيحان:.

ولم تذهب إلى هناك؟

هناك بعض الأغراض لا توجد عندنا، ووجب عليّ إحضارها.
سأله أن يجدها في الفصل الثالث لبيان أخبره لن تأتي إلا بعد ثلاثين يوماً وقد
يضر هذا تجارتهم. قالت ضفيرة من دون وعي:.
ولكنك ستعود أليس كذلك؟

نظر لها نائر في دهشة لا تقل عن دهشة والدها ثم أردفت:.

كما تعلم أن سليم يحتاج إلى التواجد معك إني أرى تعلقه بك.
رد عليها:.

بالتأكيد.

قال شيحان:.

حسناً هذا يجبرك على الغياب خمسة أيام، وأنا لا أريدك أن تتخلف عن
احتفالنا بسليم.

ثم أردف بعد أن وجد الحيرة على وجهه:.

إنه احتفال بعامه السابع وسوف نلتقي قبل مغادرتك.

أوماً رأسه إيجاباً، وانصرف إلى المتجر ويشغل تفكيره ما قالته ضفيرة،
وشعر أن عليه أن يفعل كل ما يستطيع من أجل أن يعيد إلى هذه العائلة ما

كانت عليه يومًا بعد ما صار معهم منذ خمس سنوات كما أخبره كبير عما حدث الآن يعلم ما مر به هذا الطفل وهو مشابه تمامًا لما مر به في صغره، دخل نائر إلى المتجر وعلى وجهه علامات السعادة سأله كبير عما به فيجيبه:.

_ لا شيء فقط أشعر أن حرارة الشمس قد انخفضت اليوم عما قبل فأنا أشعر بالتحسن.
ابتسم له قائلاً:.

_ لا بد وأن حرارة الشمس قد أثرت على عقلك أيها الشاب هيا لنكمل عملنا.

باشروا في عملهم كانت طريقة تحدث نائر مع الآخرين تثير إعجابهم حتى قال أحدهم مفازحًا: إني أرى ما تفعله، ولكن عليك أن تفرق بين التملق والاحترام.

أجابه ضاحكًا في هدوء:.

_ أنا لا أقدم التملق إلا إذا طلبه مني أحدهم، وأعجب هذا الرد كبير مما جعل ضحكاته تسمع الآخرين حتى انتهوا من عملهم، وعادوا إلى البيت وتناولوا الطعام، ووجد كبير أن نائر أراد أن يخبره بشيء حتى جلسوا متحدثين في أمور السفر والبضائع التي يجب عليه إحضارها إلى أن فاجأ كبير بسؤال من نائر:.

_ مالي أراك تتحدث عن عائلتك يا سيد كبير منذ وهلتني الأولى معك وأنا لا أرى غيرك ولا أسمع حديثًا عن غيرك.

نظر له كبير في هدوء قائلاً:..

_فما قولك في هذا؟

_أرى أنك أعظم من قابلت، ولكن هناك ما يقيد روحك عن التحرك لا أدري هل يحق لي التحدث والاستماع لك أم لا؟ ولكنني أريد أن أفعل أي شيء لأرد لك صنيعك معي، وأكون خير من تتخذني ظهر لك تضع أحمالك عليه، ولن أطلب منك شيئاً بالمقابل فقط أعطيتني مالم أشعر به طوال عمري.

أخرج كبير زفيره قائلاً:..

_إن ما فعلته معك كان على أن أفعله مع أخي قبل العديد من السنوات، ممدت إليك يدي التي لم تمتد إليه في ذلك اليوم. عندها قام كبير من على الطاولة، وجلس على مقعد بغرفة، وأتى خلفه نائير جالساً أمامه، وأنصت:..

_هناك ما لا نستطيع أن نغيره، ولا نستطيع أن نصدق أنه قد حدث حتى، ولكن رغمًا عنا أتى عندما كنت في مثل سنك، لم يكن هناك ما يزعج بالي لم أكن أهتم لما يقوله الناس ولم أهتم لما أفعله إلى أن أتى يومًا. قال له نائير في جمود ملامحه:..

_ما الذي حدث؟

أردف كبير بعد أن أرجع رأسه إلى الخلف، واسترخى:..

كان لدي أخ أصغر مني اسمه (شادر) كنا نصيد معًا كل يوم، وكنا صديقين أكثر من أخوة حيث كان يقول أبي إلينا دائمًا لا تترك يد أخيك أبدًا كانت هذه جملة لنا قبل مغادرتنا كل يوم للصيد وكانت أيامنا تشبه بعضها، ولكن أخي من كان يعشق أن يحمل على كتفه الأحمال، ويقوم بالركض بها حيث كان جسده الضخم والخدوش الناتجة من إصابته في العمل، يجعله في غاية السعادة.

وفي يوم ذهبنا إلى الصيد وقبل شروق الشمس كنا على الشاطئ، وقع الكثير من الأسماك في شبانكا، ولكن في نفس الوقت وقع أخي في شباك إحدى الفتيات (جیلان) هو اسمها تلك الفتاة التي أتت مع والديها من بلد آخر منذ فترة حيث كان لديه متجر صغير لبيع أدوات الصيد وتصليحها، وقد حكي لي أنه رآها وهو يقايض بعض احتياجات البيت، وقد ظل شاردًا لا يتحرك إلى أن لاحظت هي ذلك وقام بالاختفاء من أمامها وأتى إلي وأخبرني عنها، ولمست في كلامه الصدق والعشق. فقلت له: لا تقلق سوف تحصل عليها.. أخي الصغير أصبح عاشقًا، وظل يتردد على المتجر بحجة الإصلاح أو المقايضة فقط لكي ينظر إليها حتى أنه أخبرني.

لا أطيق الانتظار يا أخي كلما نظرت إليّ بعينيها الواسعتين أشعر أن رموش من عينيها قد اخترقت جسدي، ووصلت إلى قلبي كالسهم لم أعد أملك الوقت سوف أحدث والدها.

اعترضت على كلامه، وطلبت منه الانتظار والتمعن في الأمر حتى لا يقدم علي فعل لا يليق بما تعلمناه فوافقني، ومرت الأسابيع إلى أن حدثت أبي

عن الموضوع، وقد وافق عليه وطلب مني أن أسأل والدها أن كان لديه قبول بهذا قبل أن نقدم على هذا الشيء، وعندما فعلت أخبرني أنه سيرد لي خلال يومين، ولكن ما حيرني أنه اصطنع الدهشة، وكان هناك ما يخفيه ولكن فرحتي بأخي قد جعلتني لا أهتم بهذا وأتى الرد منه بالموافقة، وذهبنا لخطبتها ومرت الأيام حتى أتى إلي أخي وقال:.

- ستغادر جيلان مع والديها إلى إرم.

ثم صمت قليلاً، وأنا أنظر له وأكمل حديثه وسوف أذهب إلى إرم وسأجد عملاً هناك، لم أدعه أن يكمل كلامه حتى قاطعته:.

- وكيف لك أن تسمح بهذا؟

ولكنه أردف وكأنه لم يسمع ما قلت يجب أن أصنع مستقبلاً دون أحد، اقرب منه أبي وهو لا يصدق كلام ابنه قائلاً:.

- من أين أتيت بهذا الكلام؟

ولكنني أدركت أن هذا سم قد أصاب عقله، كيف له أن يتركنا وأنا أرى حديث أبي معه لا يجدي نفعاً، تقدمت إليه قائلاً:.

- نحن لا نريد إلا سعادتك يا شاطر، ولكنني فقط أريد أن أسألك إن كانت تضع على عينيك ضباباً حتى لا ترى أهلك أما أنت من تضع الضباب على عينك منذ الصغر. ونحن معا لا نفترق مهما كانت الظروف، ولن أسمح بهذا لك ما إن أنهيت كلامي إلا وبدا بالصراخ كالمجنون وهم إلى أن يخرج من البيت، قمت بمسك يده قائلاً:.

_ لا تترك يد أخيك أبدًا.

قام بإبعاد يدي، ويخبرني أنا لا أحتاجك كانت هذه الصاعقة على أسماعنا وأمي انهارت بالبكاء وأبي ظل يكرر سأفقد ابني، ونظر إلي في صرامة، وهو يقول اذهب خلفه لا تتركه أبدًا، وعندما لحقت به وجدته أبصر بالمركب وخلفه مركب أخرى بها قوم لا نعرفهم، وما إن مرت الساعات وأنا واقف مكاني أنتظره حتى يعود ويهدئ من روعه، ولكن المركب الأخرى قد أتت ولا أرى أخي معهم أسرع إليهم وأنا أسأله:.

_ أين أخي أين شادر؟

ولكنهم لم يجيبوني، فاصرخت بهم.

_ أين أخي؟

أجابني أحدهم:.

_ لقد فقدناه لقد سمعت هذه الجملة، وكأن أحدهم قد ضرب رأسي بأكبر صخرة قد رأيتها في حياتي. وأردف أنه كان هناك إعصار، وتحطم المركب وأنا أقول لهم أي إعصار، لا لا توجد أعاصير. بالقرب من بيان، ولكنه أخبرني أن الموج أحال بينهم وبينه، ونحن نسمعه ينادي على اسمك كبير ... أنقذني يا أخي لا تتركني يا كبير ... وظل يكرر اسمك ما إن سمعت هذا إلي وقد ارتيمت أرضًا لم أدر بحالي إلا بعد أيام، وقد أدركت أن أُمِّي قد ماتت قهراً على ولدها وأبي قد أهلكه المرض لا يقوى على الحركة إلا قليل، ولا يوجد على لسانه سوى:.

_ لا تترك يد أخيك أبدًا.

_لم أتحمّل أن أرى هذا ركضت إلى الشاطئ وتداخل الأفكار والكلمات داخل عقلي، لقد تركت يد أخيك، لقد تسببت في غرقه، لماذا تركته؟ وصوت أخي في عقلي لا يفارقني، أراه ينادي عليّ..

_كبير لا تتركني يا أخي أمسك رأسي من الألم لا أقوى على تحمله إلى أن رأيته رأيته من بعيد واقفاً ينادي عليّ، أسرع إلىه وقلبي يخفق وأنا أنادي باسمه..

_شادر أخي.

ووقعت على وجهي أمامه لأجد جثته ملقاة على الشاطئ أمام عيني عيناه المفتوحتان ووجهه الأزرق وملامحه التي كادت أن تختفي، قمت وأخذته في أحضاني باكيًا بصوت ينشق له الجبل، لم أتمالك نفسي من الندم، وصرت أتحدث إلى نفسي..

_لماذا تركتك يومها؟... لماذا؟..... أنا من تركتك لحفك أنا من تسبب بهذا سامحني يا أخي سامحني يا شادر.... انجديني يا أمي..... انجديني يا أمي.

اعتدل في جلسته ومسح الدموع التي ذرفت من عينيه ناظرًا إلى نائر الذي بدا الأسى عليه، ثم استطرد..

_قمت بحمله، وذهبت به إلى القرية كي أدفنه وأنا أسمع من حولي حديث القوم، لقد ترك يد أخيه، خرج أبي وينظر له نظرة واحدة، ومن ثم أقوم بدفنهما معًا جار أمي، لقد دفنا تحت تراب إرم، وتركوني وحدي حتي ألحق بهم، ولكني لا أعلم لم لم يأتيني موت إرم حتى الآن.

قال نائر في حزن:

_لهذا لم تتركني ذلك اليوم ملقى على الشاطئ.

وأردف بعد أن قام من مكانه، وجلس أمامه:.

_إن ما تحمله من عبء في قلبك قد يغمر بيان كلها، ولكنك اخترت أن تكون وحيداً كي لا يتقاسم أحد معك هذا، إن ما تحمله لا يقوى أحد على حمله في قلبه.

مرت هذه الليلة على نائر غير الليالي الأخرى، قد لمس معاناة كبيرة، ولكنه لم يقوَ على مداواة جروحه، لم يستطع النوم حتى أتى الصباح عليه، وذهب إلى المتجر ليبدأ عمله حتى يوافيه كبير، وعندما أتى اطمأن على حاله، وجلس يحدثه عن إرم وعن شعبها قائلاً:.

أنت ذاهب إلى مدينة بها مفاتن الحياة كلها في جمالها وقتها، وقد تغريك هذه المفاتن حتى تبقى بها، ولا تخرج أبداً منها كل من هناك يحاول الانضمام إلى قلب إرم الذي ينبض بالحياة على أرضها.
سأله نائر عن قلب إرم أخبره أنه سيدرك هذا عند وصوله.

سأله نائر عن عبوره إليها، وهل هناك شيء يجب عليه معرفته حتى يستطيع دخول أسوارها، ابتسم كبير متحدثاً أن لا يوجد أسوار هنا يا نائر، لا توجد لها حدود إرم لا تحتاج إلى حدود. ظهرت علامات التعجب على نائر حتى أردف كبير:.

_ لا تستطيع أن تحدد مدخلها أو مخرجها عندما تخطي قدمك داخلها
أصبحت من أهلها، وأنهى كلامه، وانتهى عملهم عند الغروب حتى عادوا
إلى البيت، جهاز ثائر عدته، وخرج كبير ومعه خنجر مرصوع بالذهب
والفضة وقدمه إلى ثائر.

_ لم أستخدم هذا قط، ولن تستخدمه أيضًا، ولكن احفظه معك حين
عودتك.
رد عليه:.

_ لا أحتاج هذا حتى أنني لا أستطيع أن أحتفظ به حتى عودتي.
أوماً كبير رأسه إيجاباً، وأعطاه كيساً، وقال له: قايض هذا بالزيوت
والمطلبات التي نحتاجها.
أمسك ثائر وفتحه وعلى وجهه الدهشة:.

_ حديد إنها قطع من الحديد يا سيد كبير.
ابتسم له كبير قائلاً: هناك في إرم المقايضة لا تقتصر على الغذاء فقط، انتبه
أن كل قطعة تمثل احتياجاتك.

ثم أغلق الكيس ودق باب البيت ودخل شيخان الذي قد أحضر معه شيئاً
مميزاً إلى ثائر، حيث قام بإعطاء ثائر ثوباً مطرزاً بالذهب قائلاً:.
_ إن هذا الثوب يخصني ارتديه على ظهرك، من ينظر لك يظنك من أهل
المدينة الكرام.

أخذ الثوب، وارتسمت البسمة علي وجهه على عكس كبير الذي ارتسم على وجهه الغضب، وذهب إلى الخارج، أحضر حصانه وأمتعته لما يلزم لحمل البضائع، ومن ثم أخفى خنجره أسفلها لأنه يعلم أنه سوف يحتاجه بالتأكيد حتى خرجا الاثنين، وركب نائر الحصان وأخبره كبير بوجهته، ثم امتطى الحصان وهو يقول أبلغا سلامي إلى سليم، وسوف أحضر له شيئاً مميزاً عند عودتي، وانطلق مسرعاً في ظل وقوف كبير الذي قال:.

_لماذا يا صديقي؟

رد عليه شيخان:.

_لا تقلق إني أثق به.

نظر له كبير في حدة قائلاً:.

_آخر مرة وثقت بأحدهم كنت لتعطيه حياتك والآن الذي تثق به تسلب منه حياته.

قال شيخان وهو يغادر:.

_إن عاد سأكافئه.

رد عليه كبير مسرعاً:.

_وإن لم يعد فماذا؟

لم يجيبه، وظل كبير واقفاً مكانه في صمت وهو يرى هذا الشاب المتجه إلى مصير لا يعلمه ولا له شأن به، ولكن إرم قد قدرته له.

الفصل الثاني

مدينة العماد

امتطى حصانه في سماء ليل إرم شاقق ظلامها إلى أن وصل لقرية صغيرة نزل من على حصانه، وجلس مستندًا إلى شجرة أخرج بعض من الطعام وبعض من الحبر وعصا الكتابة والأوراق التي قد قايسها قبل مغادرته من قرية بيان وبدأ في الكتاب..

على الطريق اتجه إلى مدينة إرم العظيمة أجمل مدن الأرض.

ثم توقف عن الكتابة للحظات، ارتسمت البسمة على وجهه قائلاً:

هو أنا كلامي أنغير كده ليه.... صدق اللي قال ... من عشر القوم.

استعاد تركيزه مرة أخرى، ثم أكمل

قيل عن هذه المدينة أن لا حدود لها.. لديها قلب قد نبض من أجل إحياء تربه رملية فهي جزء من حاضره، قد صنعت ولجأ إليها الغير لا يخشون من يعتدي عليهم.. هل هم أقوى أم بولهاء أم أن هذه الأرض قدراً قد وضع لي في عالم مجهول؟.. لا أعلم.. ولكن ما أعلمه جيداً أن هذا الشيء يبعث في نفسي الفضول لأرى بعيني ما قد سمعت عنه أمس من السيد (كبير) ذلك الرجل الذي أعطانى ما لم تعطينى الحياة إياه فكان لي والد.. ذلك الذي لم تراه عيني قط... والسيد شيخان الذي بدا لي قاضي وكأنه أراد إلزامي بكل ماحدث له أراد معاقبتي أنا.. ولكنه مع مرور الأيام أصبح أكثر لطفًا، وعاملنى خير معاملة بعد ما رأى حفيده متعلقًا بي.. ذلك الطفل الذي ولد ليحمل على كتفيه ثقلاً لا يعلم عنه شيئاً.. ذلك الطفل القوي الذي يحمل في قلبه براءة وفي روحه طهارة لم أنسهما قط ولا أجد هذا غريبًا، لابد وأنه قد ورث عن أمه تلك المرأة التي كلما أنظر إليها يشرد عقلي وأرى في عينيها

بحارًا من الألم و لا أحد يلاحظ .. كيف لسيدة في عمرها أن تكون مثل الزهرة التي ذبلت بعد أن ارتوت بماء من يد الشيطان قد لا أستطيع العودة إلى أرضي، ولكنني أستطيع أن أرجع سعادة هؤلاء كما كانت في الماضي كنت أمتلك عائلة وغادرت تاركهم خلفي، وبطريقة ما ظلوا معي أمام عيني على هذه الأرض، ولن أدع هذا يحدث مرة أخرى لن أتركهم.

نهض نائر من مكانه، ثم وضع الأوراق في إحدى حوامل البضائع التي على حصانه، وأكمل طريقه إلى المدينة إلى أن بدأ يخطو على أرضها، واتسعت حدة عينيه قائلًا في نفسه بدون وعي:.

أجمل مدن الأرض.

كانت المدينة تتسم بمساكنها العظيمة ذات الأعمدة الفخمة وأبنيتها القاهرة، طلائها من الذهب المطعم بالفضة براعة هندسية وضياء قد بدا أنه أقوى من نور الشمس، أشجارها وزيتها في كل مكان ونهرها الذي يسير داخلها، وجسورها الخشبية على نهرها المتفرع متعجبًا:.

هل هذا ممكن؟

ثم انطلق داخل المدينة على أرضها المعبدة، ترتطم بحوافر حصانه يسير وقد بدا الظلام أن يحل عليه بعد مرور يومين من سفره نزل من على حصانه سار جواره، أراد أن يستمتع وأن يملأ نظره من ذلك المنظر لم يرد أن تختفي لحظة واحدة دون أن يرى المدينة بأكملها إلى أن رأى مجموعة من القوم يسرون بزيتهم الأسود اللامع تحت ضياء أنوار المدينة، اتجه إليهم وألقى التحية، تقدم إلى أحدهم وسأله عن مكان تجار الزيوت بمدينة إرم

أخبره أحدهم أنها أغلقت يدهو أنه سيحتاج للانتظار إلى الصباح، نظر ناثر إلى الأرض بعد أن أخرج زفيره، ثم رفع نظره مرة أخرى إلى ذلك الرجل، وسأله عن مكان يستطيع أن ينتظر فيه للصباح، حدثه عن مكان قريب لا يغلق بابه أبدًا يستطيع الانتظار فيه كما يشاء، فشكره على صنيعه، وانصرف ولم يعلم أن هؤلاء القوم هم (إرم دون) التي لا تنام.

كان تفكيره طوال الطريق هو أنه يجب أن يحصل على أشياءه في أقرب وقت، ويجب أن يحترس من جمال هذه المدينة لا أحد يعلم مقدار ما سيفتن به، وظل يسير في شوارع هذه المدينة متأملًا كل مبنى وكل شجرة على ضفاف نهرها الذي لا يعلم كيف وجد في هذا المكان إلى أن وصل إلى مكان سمع فيه صوت الرجال، قام بربط حصانه ودخل وجلس على إحدى المقاعد وأمامه منضدة وحيدًا، رأى الرجال يتسامرون إلى أن سمع صوت خلفه يسأله إن كان يستطيع أن يقدم له شيئًا، فأخبره أنه سيظل هنا للصباح، وإن احتاج شيئًا سيبلغه حتى لاحظ الرجال وضحكاتهم العالية، وجد من يقف أمامه قائلاً:.

_ ما زلت هنا.

نظر إليه ناثر، وقام من مكانه مندهشًا على وجهه السعادة:.

_ مرحبًا يا....

_ أدعى نامق.

_ بالتأكيد.... تفضل بالجلوس معي.

جلس مبتسمًا قائلاً:.

كيف حالك يا صديقي؟

ثم سأله عن سبب قدومه إلى المدينة، رد عليه ولا تزال الابتسامة على وجهه أنه هنا لشراء بعض الزيوت والحبوب من بعض المتاجر.

إذن لقد وجدت عمل كنت أظنك غادرت.

ومن الذي يغادر من أرض كهذه؟

ثم ذكره بما قاله له عند لقائه أول مرة أنه سوف يرد إليه ما قدمه يومًا، وها قد اجتمعوا طلب منه أن يسمح له بإحضار شيء، أو ما نامق رأسه إيجابًا، ثم نادى على الرجل وأخبره أن يحضر له مشروبين، وظل يتسامرون عن التجارة وعن العمل وإن كان باستطاعته أن يدلّه على تجار يثق فيهم من أجل أن يحضر أشياءه، ابتسم له نامق قائلاً إنهم غداً سيذهبون إلى أحد التجار الذي لديه علاقة به في هذه المدينة كما أنه سيجعله يرى أجمل مدن الأرض، وبعد أن أنهوا حديثهم نظر نائر حوله على الزخارف والأشياء اللامعة والمصاييح المضاءة إلى أن لاحظ نامق هذا قطع شروده قائلاً:.

لم أنت مندهش إلى هذا الحد مما تراه؟

فقط أبهر عيني بهذا.

ثم أخذ رشفة من المشروب الذي أمامه، ثم قال:

_ إن هذه الأماكن والزينة لا توجد إلا على أرض إرم حتى المصاييح المضاعة تملأ بالزيت المستخرج من الحيتان بعد صيدها، وهي للمدن الأخرى من الأشياء التي من الصعب الحصول عليها. ظهرت عليه علامات الدهشة سائلاً:.

_ حيتان كيف لا يوجد حيتان في بيان؟ ضحك نامق قائلاً:.

_ وهل تظن أن قرية بيان هي من تستطيع أن تصطاد هذه الحيتان؟ ثم أردف:.

_ هناك مراكب ضخمة على شاطئها يحرون بها كل عدة أشهر حتى يأتوا لنا بما نحتاجه.. مدينة إرم تستطيع أن تلبي احتياجاته، يقوم الرجال بصيد الحيتان ويأخذون الدهن من جسدتها، ويسخنوه حتى يسيح، ويستخدمون الزيت في إضاءة المصابيح، ويأخذون لحمها من أجل الغذاء وعظامها من أجل الصناعة أو الوقود فلا يبقون منه شيئاً، ولكن هذه التجارة تقتصر على أسياذ إرم الذين يتميزون بالحجر اللامع على صدره ما يسمونه (الحجر الأزرق).

قال في مزاح:.

_ إذن صديقي من أسياذ إرم.

ارتفعت ضحكات نامق وأخذ رشفة أخرى من مشروبه قائلاً:.

_ كيف يكون هناك أسياد مالم يكن هناك ما لم يلب طلباتهم ... أنا أعمل لدى أحدهم، ولكنني لست فقيرًا ولست من الأسياد أيضًا .. لدي ما يكفيني من أجل عائلتي.

_ لم تخبرني أن لديك عائلة.

_ أنت لم تسألني قط خلال الوقت الذي نجلسه هنا .. أنا لدي عائلة زوجتي (تالا) وابني فارس سأعرفك حال أن نذهب إلى البيت.

ثم قام من مكانه، ولفت انتباه نامق ذلك الثوب الذي يرتديه خلفه، ولكنه لم يتلفظ بحرف وخرج وهم يسرون في الشوارع ونظرات ثائر هنا وهناك إلى أن وصل إلى بيت، ثم أخذ حصانه ووضع داخل فناء بيته، ورحب به بعد أن نادى على زوجته خرجت هي الأخرى، ورحبت بهم أخبرها أنه صديقه، وسوف يقتن عنده لبضع ليالي، ابتسمت وطلبت منهم دقائق لتجهيز الغرفة،

ثم جلس في الغرفة بعد انتهاء زوجته من تحضيرها، لاحظ ثائر شرود صديقه الناظر إلى الثوب على كتفه قائلاً:.

_ هل يعجبك هذا الثوب؟.

_ إنه مميز... من أين حصلت عليه؟

_ إنه للسيد شيخان قد أعطاني إياه لأبدو من أهل المدينة.

تجمدت الملامح على وجه نامق وقد استطرده:.

_ هل هناك شيء يا صديقي؟

_ لا ولكنني لا أعلم عن صدق كلام السيد شيحان ... هل سبق وأن أتى إلى هنا؟

_ لا أعلم.

دخلت زوجته بعد أن أنهت كل شيء، نهض نامق ورافقه حتى يريه الطريق إلى الغرفة التي سينام فيها، وفي صباح اليوم التالي استيقظ نائر وجلس على سريره حتى دخل عليه نامق، وأخبره بالذهاب بعد إتمام الطعام وخرج وجلس على المائدة وتناول الافطار حتى قال:.

_ أتمنى ألا قد يكون وجودي أحدث أمر ما فيه مضايقتكم.

نظرت إليه (تالا) قائلة:.

_ كيف لك أن تقول هذا؟ .. أنك ضيفنا .. أم أنك تريد أن يقول الناس أن أهل إرم لا يكرمون ضيوفهم.

رد عليها نائر بعد أن نظر إلى نامق:.

_ لا أعتقد هذا .. زوجك أول من مد إلي يده في هذه الأرض لقد ساعدني أول ما رأيته، ونظر إلي بعين الرفق عندما كنت أموت عطشاً، كنت غريباً عن هذه الأرض، ولا أجد من يقف بجواري وأرى أنه أكثر الرجال نبلاً وشهامة.

صمت نامق وعلى وجهه علامات الحيرة، ولكن لم يلاحظها أحد، ثم أنهى طعامهم، ثم سأل عن فارس بن نامق، أخبره أنه في بيت التعليم الآن، وعندما يعودون سوف يقابله، خرج من البيت إلى الفناء أحضر حصانه، وعزم على

الرحيل إلى بعض التجار سأله مازحًا: أنه سيعرفه كل شيء عن هذه المدينة، أو ما نامق رأسه إيجابًا، وظلا يسيران إلى أن ظهر أمامهما الأبراج قائلاً:

_ إن هذه المدينة أربعة طبقات الأولى هي الأبراج هي للحاكم وعائلته الذين يسكنون في تلك الأبراج الكبيرة والمغطاة بالذهب والمطرزة بالزمرد والياقوت. قاطعه سائر:.

_ لم تستخدمون الذهب والياقوت في هذه المباني وتستخدمون قطع الحديد للمقايضة؟

_ إنه القانون يمنع تداول الذهب كسلعة لأن بسببه قد أهلكت تلك الأرض من قبل وحتى يمنع حدوث هذا أصبح أقل شيء في إرم، ويستخدم فقط للزخارف غير أن التداول هنا بالمقايضة الحديد والأسلحة والأدوات الأخرى. أنا لا أفهم.

_ ببساطة يا صديقي إنه الحق في التفاخر لا أحد غير أهل تلك الأرض لديه الحق لذلك يجب أن يكونوا مختلفين عنا كثيرًا. قال ثائر:.

_ أعتقد أن الطبقة التالية هم الأثرياء صحيح.

_ لا يا صديقي بل هم أصحاب العلم من مؤرخين ومهندسين وأطباء وكيميائيون وغيرهم.

ثم أردف بعد أن وجد ملامح الدهشة على وجهه:.

_ العلم هنا من أقوى أسلحة إرم .. العلم من يجعلها قوية منيعة ذات رخاء .. قليلاً من تجده جاهلاً في هذه المدينة إلا أنا أرا التكاثر وهنا يكون مكانه خارج المدينة بالقرب من رمال (زمرا).

أما عن الطبقة التي تليها هي الأثرياء، والتي يكون منها سيدي وهؤلاء يسكنون في بيوتهم الخاصة التي تحتوي على الفضة والذهب وغيرها من مباني المدينة والطبقة الرابعة هي العمال وتجار القرى الصغيرة الذين يأتون للتبضع، ويخرجون خيرها من باطن إرم إلى القرى الأخرى.

نظر إليه نائر قائلاً:.

_ عليك التباهي يا صديقي الآن العامة ينظرون إليك وأنت تسير بجوار أحدهم، ولكن هناك من حديثك مجهول لدي، وأعتقد أنك تفسره لي في وقت لاحق.

أوماً رأسه إيجاباً، واتجه إلى أحد التجار الذي لديه معرفة به، وأخبره أنه يريد بعض الزيوت لهذا الرجل، وطلب منه أن يكرم صديقه في المعاملة؛ لأنها لن تكون المرة الأولى التي يتشرف بها بالتعامل معه.

حدثه التاجر أن كيف له ألا يكرم أصدقاء السيد نامق، ثم التفت نامق إلى نائر قائلاً:.

_ سوف أغادر الآن لأخبر سيد عملي إنني لن أرافقه اليوم، وسأعود على الفور.

أومأ رأسه إيجاباً وبعد مرور بعض الوقت عاد نامق، وسأله عن متجر لشراء شيء لسليم.

سأله عن سليم فأخبره أنه حفيد شيحان، لقد بلغ عامه السابع وهناك احتفال ينتظره وأخذته نامق بعدها إلى أحد الأماكن التي يحضر منها الهدايا لابنه بعد أن حمل البضائع على حصانه، ذهب برفقته حتى رآه شارد الذهن مرة أخرى قائلاً:.

_ ما بالك؟.. مالي أراك شارد الذهن في كثيرًا من الأوقات.

_ رد عليه لا شيء.

ثم أردف بعد أن أشار إلى النهر داخل المدينة:.

_ ألا تريد أن تسألني عن هذا النهر (أورا) الذي يمتد إلى الأبراج، ويحيطها من كل جانب وتمتد منه تفرعات في كل منطقة من المدينة إنه أعظم ما وجد في إرم، أترى المراكب هناك؟ تلك المراكب المرفهة التي تجلس بها النساء للترفيه والاستمتاع دون الشعور بما مر من وقت.

وظل يتحدثان إلى أن وصل إلى المتجر الخاص بالهدايا، ثم نظر نائر داخله يراقب الأشياء الموضوعة على الأرفف إلى أن لفت نظره مصباح صغير من الزجاج بداخله مدينة وأبراجها الملونة التي تشع نوراً في الظلام حيث قام لإحضارها، وأمسكها بيده فوجد منظره الرائع، بدأت السعادة على وجهه، وقام بمقايضتها، ووضع هذا المصباح الصغير على إحدى حوامل

الحصان وبعد الانتهاء من جولتهم عادوا إلى بيت نامق من أجل الاسترخاء قليلاً حيث أتى ابنه من بيت التعليم حيث رحب به ووضع نائراً يديه على شعره مداعباً له:.

ـ إنك تشبه أباك في الشكل، وأظن أنك تشابه في الخلق الحسن أيضاً.
سأل والده عما يكون فأخبره أنه صديقاً له، وجلس على مائدة الطعام حيث قام نائراً بمداعبة الطفل، وأخذ يخبره عن تعليمه وأصدقائه ولا بد أنه يكون في مكانه إليه حتى يفتخر به والده قائلاً:.

ـ بالتأكيد سيفخر بك ... ولكني لا أريدك يوماً ما أن تعارض رأي أبيك في الصواب.

ـ صحيحاً إنني لم أعاشر أبوك وقتاً طويلاً، ولكنني أدرك جيداً أن قلبه الدافئ سوف يرشد إلى طريق الصواب، وكيف يرفع من شأنك؟.. ربما لم تفهم كلامي، ولكنك ستدركه فيما بعد.

رد عليه الطفل:.

ـ لا يا عم أنا أفهمه.

ضحك نائراً، وقام بتقبيل جبهته، ودخل نامق عليهم الغرفة؛ ليأخذ نائراً للخروج قائلاً:.

ـ هيا يا صديقي لنحتفل بك اليوم.

خرج ومعه نامق الذي سمع صوت ابنه يقول له إلى اللقاء يا أبى وداعاً يا عم
ثائر، ابتسم له، ومر نامق على صديقه شديد، وقابله فاقترب من ثائر قائلاً في
غلظة:..

_ من هذا القوي؟

أخبره أنه صديق، ومد ثائر يديه للتحية حيث قام شديد بالضغط على يديه
بقوة، ولكنه لم يجد تغير على تعبير وجهه حيث قال:..

_ حقاً إنه قوي.

ثم أردف بعد أن ترك يديه أنه ليس ند، علت ضحكاتهم إلى أن ذهبوا إلى
مكان للجلوس وبدأ نامق في التحدث حتى وصل صاحب المكان، وطلب
ثلاثة مشروبات، وبدأ شديد في التحدث في مواضيع مختلفة حتى سأله ثائر
عن مهنته فقام شديد من مكانه، ووضع قدمه على المقعد، ورفع قبضته إلى
أعلى قائلاً بفخر:..

_ أنا شديد .. أنا قوة إرم ... إن قوة إرم في هذه القبضة.

نظر إليه ثائر مبتسماً رافع حاجبه الأيمن، لا يتلفظ بحرف إلى أن لاحظ
شديد تعابيره، وجلس في مكانه وهو يقول:..

_ أعتقد أنني بالغت قليلاً.

وأردف بعد أن سمع ضحكاتهم:..

_ أنا حداد أصنع السيوف والمطارق.

وعاد صوته إلى الغلاظة مرة أخرى فتح عينيه بقوة، واقترب منهم:.

_ تلك التي يملكها الأقوياء؛ لتهشيم رأس أحدهم وقطعه للصفيين.

نظرات دهشة على وجهه وأردف في سداجة

_ هل بالغت في ذلك أيضًا؟

أوماً نامق رأسه إيجاباً قائلاً:.

_ لا يبدو أن وراء هذه القوى شر ما.

_ إنه ما ورثته عائلتي على مر الزمان.

قطع حديثه نامق قائلاً:.

_ ماذا ستفعل الآن يا نائر؟

_ غداً في الصباح سوف أعود إلى بيان حتى لا أهدر الوقت والتجارة حتى لا

يخيب ظن السيد كبير بي، هذا مصدر رزقه، ولهذا يثق بي ويعتمد على في

أمور كثيرة.

رد عليه نامق في حيرة:.

_ أنت لم تأت من أجل شيء آخر.

_ ماذا تقصد؟

رد شديد:.

_ إنه يقصد المتعة يا صديقي، انظر حولك ستراها في كل مكان على أرض

إرم وخاصة في المراكب التي تسير داخل إرم.

ضحك وهو يقول:.

_ أرى أنك غير متزوج يا صديقي.

سأله كيف أدرك هذا ليخبره أنه يبدو عليه، ولا يحتاج لكثير من الوقت لمعرفة هذا، عندها قام شديد وأخبرهم أن حديثهم قد أثار رغبته في الذهاب، ثم قام من مكانه بعد أن أخبره أن عليه توديعه غداً، أوماً ثائر رأسه إيجاباً، غادر شديد وقام نامق بإحضار مشروباً آخر إلى ثائر الذي بدأ بالتحدث.

_ منذ أن أتيت إلى هذا المكان وأنا أشعر أنني ضائع لا أعرف أين أذهب؟ ولا أعلم مصيري، وعندما قابلتك تحسنت الأمور معي، وأدركت أنك يا صديقي تجلب لي الحظ.

أخذ رشفة من المشروب ناظراً إلى صديقه، وعلى وجهه علامات الحيرة ثم أردف:.

لم أجد صديق لي طوال حياتي، والآن وجدت صديقاً، ولكنه في مكان آخر، وأشكرك على وجودك.

ثم أخذ رشفة أخرى، وبدأ لسانه يثقل وكلماته تتباطأ ومضى:.

_ أتعلم أمراً أنا لم أختبر شيئاً، قد حدث لي في حياتي ولم أختبر وجودي هنا حتى أنني لم أختبر صداقتك، هي من أتت إليّ، ولهذا سأعود مرة أخرى إلى هنا، ولكن بعد أن أوصل أشياء السيد كبير إلى بيان.

وبدأ بالخمول إلى أن ارتمى على الطاولة، نظر نامق إليه قائلاً في حزن:.

لَمْ فعلت هذا؟ .. لَمْ أَتَيْتَ يا نائر؟

لم يعد نائر إلى بيان بعد، وقد بدأ شيحان بتحضير احتفال سليم الذي بدا سعيداً للغاية بهذا الاحتفال وأتى الضيوف واحداً تلو الآخر، ولكن غياب نائر قد أثر في نفس ضفيرة شيئاً، وعندما سألتها سليم عنه أخبرته أنها لا تعلم، وقد ذهب إلى جده.

رد عليه مبتسماً لا بد وأنه سيتأخر الليلة، ثم أكمل شيحان احتفاله في ظل نظرات الحزن على وجه كبير الذي حاول أن لا يظهرها حتى لا يفسد الاحتفال، ومر الوقت وقدم الضيوف هداياهم إلى سليم الذي لم تغمره السعادة بسبب غياب نائر حتى غادر الضيوف، وجلس كبير وشيحان وحدهما، وطلب كبير المغادرة ورد عليه شيحان:.

لا يا صديقي سنكمل احتفالنا الليلة

قال سليم:.

نعم يا جدي يجب علينا أن نتنظر العم نائر عله يطرق الباب الآن، لقد وعدني بأنه سيحضر لي شيئاً مميزاً من المدينة.

قطع حديثه شيحان قائلاً:.

إن الطريق طويل يا صغيري.

تبادلت النظرات بين شيحان وصديقه، ولاحظت ضفيرة هذا متسائلة في عقلها ما الذي يحدث بين أبيها والسيد كبير؟ وبدا كأنهم يخفون شيئاً ما قطع شرودها كلمة كبير التي قالها في حدة:.

_أنا ذاهب سائلة ضفيرة في سرعة.

_هل الطريق طويلة إلى هذا الحد أم أنه لم يجد ما ذهب لإحضاره.

وقف كبير مكانه، ونظر إلى شيخان قائلًا:.

_اسألي أبيك.

ثم غادر بنظرات ضفيرة إليه تنتقل بينهم وبين أبيها، ظهرت على وجهها علامات الدهشة، وانقضى الليل، وأتى صباح اليوم التالي سمع كبير طرقات على بابه فتح ولم يجد أحدًا، ولكنه رأى حصانه المحمل بالبضائع أمام بيته، ملأت ملامحه الدهشة وخرج من بيته ناظرًا في الطريق، ولكنه لم يرَ أحد، وبعض لحظات قال في نفسه:.. أين هو كيف وصل هذا إلى هنا؟ لا أعتقد أنه ذهب إلى السيد شيخان دون إخباري، ثم اتجه إلى حصانه وأخذ اللجام وربطه ثم ذهب مسرعًا إلى بيت شيخان، طرق الباب فتحت ضفيرة وسألها أن أتى أحدهم.

ردت عليه بالنفي ثم أخرج زفيره، وعاد إلى بيته في تعجب ضفيرة مدرِّجًا أن هناك ما حدث له ولكن كيف أتى حصانه إلى هنا؟ تساؤلات داخل عقله حاول أن يجد تفسيرًا لما حدث، ثم ذهب وأفرغ ما بداخل الحوامل وأدخلها إلى بيته، ولاحظ بعد أن عاد إلى حصانه مرة أخرى وجود خنجر ومصباح دائري صغير وبعض من الأوراق، ووجد فيهم ورقة مكتوب في أولها على الطريق متجهه إلى إرم أجمل مدن الأرض كما قيل لي، وبدأ في قراءة الورقة إلى نهايتها إلى أن وقف مكانه في حزن، وكادت عيناه أن تدمع قائلًا في نفسه:.. لم لم أمنعه؟ هل مقدرًا على كل من حولي أن يذهبوا؟ ثم

ذهب إلى بيت شيحان وعلى وجهه علامات الغضب حتى طرق الباب مرة أخرى، وفتح سليم لتهداً ملامحه حتى لا يجعل الطفل يرتعب، وسأله عن جده فأجابه أنه ليس بالبيت، وقد علم أنه بمتجره وكاد أن يذهب إليه، ولكنه خشى من أن لا يتمالك أصابه، ويفجر غضبه، وقد قام بإعطاء الورقة إلى سليم قائلاً:.

_عندما يصل جدك إلى البيت أعطه هذه الورقة.

ثم انصرف وأغلق سليم الباب وعندما سأله أمه عن الطارق أخبرها أنه جده كبير، لقد ترك هذه الورقة، وانصرف على الفور لتمد ضفيرة يدها، وتمسك بالورقة بقراءتها، وبدأت في قراءتها ما قد كتب عنها، وعن ابنها لتحمر وجنتيها خجلاً وهي تقول في نفسها:.

_لقد عاد ولكن ما جعل الابتسامة تزول عن وجهها، وارتسمت الغرابة مكانها تلك الجملة.

بطريقة ما تنقلوا معي إلى هذا المكان، ولن أدع هذا يحدث مرة أخرى، أعادت قراءة الرسالة مرة أخرى، وأدركت ما الذي يقصده؟ ولكن ما قد لفت انتباهها تلك الجملة، ولقد أعطاني السيد شيحان هذا الثوب لتتدخل كلمات في عقلها من هم الذين انتقلوا معه؟ وأي ثوباً يقصده هناك؟ ما لم أفهمه على كل حال سوف أعطى لأبي هذه الورقة حين يعود حتى يفهم ما قد كتب ثم ذهب وهي تفكر في سعادة كل كلمة قالها نائراً عنها وعن مشقتها إلى أن يدق قلبه بسرعة وهي تنظر أمامها في وعلى ملامحها الجمود،

واتسعت عيناها وتسارعت أنفاسها، وذهبت إلى غرفة والدها حيث قامت بوضع الورقة، قرأتها مرة أخرى في سرعة تجمعت في عقلها كلمات:.

— أعطني ثوبًا.

— يجعلني ثريًا.

— بماء من يدي الشيطان.

— تحركت عيناها بين جملتين.

— أعطني ثوبًا.

— بماء من يدي الشيطان.

للتذكر ما حدث قبل سنوات لتتمتم بكلمات دون وعى.

ذلك الثوب أتذكر حديثه عنه عندما كنت جالسة على الأرض لا أقوى على الحركة وأشعر بالدماء على جسدي واشتكي.

— أنا لم أرغب بك قط، ولم أعشقك أيضًا كل ما أردته هو الحصول على ثراء أبيك عندما رأيته في (داباد) وهو يحمل على حصانه الكثير من الأشياء الثمينة وعلى ظهره ذلك الثوب اللامع أدركت مدى ثراء هذا الرجل وراقبته واتبعته إلى أن وصل إلى بيان، ودخل بيته عندها رأيته، وبدأت أفكر كيف لي أن أحصل على كل ما أريد من خلالك عندها ذهبت إلى داباد، وقد علمت أن مهران ذلك السخيف صديقًا إلى أبيك، قررت أن أستغل غيابه وسداجته ليطلعني على حياته، ذلك الرجل ذات الثوب اللامع، وقد أخبرني كل شيء، وعندما علمت أنك ابنته المددلة الغالية التي تجعله يفعل كل

شيء مقابل سعادتها قررت أن أعمق علاقتي بمهران ذلك السخيف الذي ساعدني كثيراً للحصول عليك بعد أن جعلته يظن بي البساطة والنبيل، يا له من أحمق!

لم أنس ضحكاته العالية وهو يجذبني من شعري وجسدي ملقى على الأرض، ويذهب بي في كل أركان الغرفة وهو يقول:.

ـ أخبرته بنيتي للزواج بعد أن غادرت إرم من الأحمق الذي يظن أن من الممكن مغادرة المدينة تلك الأرض التي جعلتني أفكر في الثراء فقط ليذهب إلى أباك ويبلغه بما دار بيننا وقدر ظهرت ملامح السعادة على الأحمق الآخر لأنزواجك، وأتحمل طوال تلك الشهور سذاجتك وغبائك حتى حصلت على ما أريد، والآن قد انتهيت.

أفاقت وانقطعت همهماتنا بعد أن سمعت ابنها سليم يقول:.

ـ إلى من تتحدثين يا أمي.. ما بك؟ ... لم تبكي؟

أسرعت إلى غرفتها وهي تمسك الورقة غير مصدقة كيف يفعل والدها هذا؟ ما هو الغضب الذي قد يوصل الشخص لتدمير حياة أخرى، وظلت في غرفتها تبكي وهي ملقاة على فراشها عندها أتى والدها وسأل سليم عنها فأخبره بما حدث تعجب، وظهر على عينيه الحيرة طرق الباب ودخل إلى غرفتها، واقترب منها وهو يقول:.

ماذا هناك يا ابنتي الغالية؟

قطع هذا الصوت نحيبها نهضت من على فراشها، وتقدمت نحوه في هدوء وعلى ملامحها الحزن ممتزجاً بالحدة والدموع وأعطته الورقة ليقراها وبعد لحظات نظر لها قائلاً:.

_هل عاد ثائر؟

ظلت تنظر له في صمت، وهو يكرر سؤاله إلى أن قالت:.

_هل تظن أنه عاد؟

صمت ولا يعلم ماذا يقول إلى أن أردفت:.

_لماذا؟ لماذا فعلت هذا يا أبي؟ وما شأنه في هذا؟ لقد أخبرتني أنك تثق به لقد أخبرتني أنه سيكون خير عون لك، قلت لي أنه كأنك. ارتفع صوتها قليلاً:.

_هل هكذا الأمر يا سيد شبحان، يا سيد قرية بيان؟ كم شخص تريد أن تسلب منه حياته! أخبرني ألا يكفيك أنا؟

تحولت ملامحه إلى الغضب، ورفع كفه ولطمها على وجهها، ارتمت علي فراشها قائلاً:.

_إن كل ما حدث كان من أجلك، إن كل ما فعلته كان من أجل سعادتك حتى رحيل ثائر كان من أجلك أم كنتِ ترددين أن تتزوجي من زعيم. رفعت عينيها في انكسار:.

_الأمر لا يتعلق بي إنه من أجل ابني، ألم ترى كيف ارتبط وجوده به؟ ألا ترى عطفه عليه أم أن غضبك قد أعمى عينيك عن هذا؟

اقترب ومنها و أمسكها من يديها لتقف أمامه وسألها:.

_ أحببته؟

صمت ونظرت له فقط في خوف هز جسدها قائلاً:.

_ أخبريني أحببته؟

تحولت لملاحها إلى الجمود والتحدي قائلة:.

_ بلى أحببت....

لم تكن لتكمل جملتها إلا وقد لطمها على وجهها، وارتمت على الفراش مرة أخرى وهو يكرر سؤاله وإجابتها نفسها:.

_ نعم أحببته.

انهمر عليها ضرباً وهو يقول أنه زنيم كيف لك فعل هذا؟ ارتفع صوت ضرباته وصوت غضبه كيف لك أن تحبيه؟ كيف؟ إنه زنيم.

وسليم واقفاً خلف الباب سامع صوت جده وبكاء أمه إلى أن هدا الصوت نهائياً، وبعد لحظات خرج شيحان مسرعاً من بيته متجهاً إلى صديقه، طرق الباب بقوة ونادى عليه وما إن فتح الباب ما إن جذبته من يده وهو يقول:.

_ أنقذ ابنتي أتوسل إليك..

وأسرع إلى البيت، ودخل الغرفة حيث وجد سليماً يهز جسده أمه، وهو يقول:.

_ أفيقي يا أمي. أفيقي أعدي لي بعض الحلوى .. ما بك لا تجيبيني؟!
جذبه كبير من يده، وأخرجه من الغرفة، وعاد إلى ضفيرة الملقاة على
فراشها وعلى وجهها الجروح غائبة عن الوعي لا تتحرك وكبير يحاول أن
يفعل شيئاً.

_ لماذا يا شيخان؟ لماذا؟

ولكنه دون وعي واقفاً ساندًا بظهره على جدران الغرفة وعلى وجهه الرعب
والخوف الذي ملأ قلبه مما يراه..

_ ماذا فعلت بابنتي؟ ماذا فعلت بابنتي؟

جلس نائم على مقعد مكبل الأيدي يشعر بالخمول والضعف حاول أن
يرى في غرفة مظلمة بجواره مصباح صغير صامتاً، وكأنه يحاول استرجاع
ماذا حدث إلى أن سمع صوت خطوات يقترب منه زاد تركيزه، واتسعت
عيناه عندما رأى ذلك الوجه إنه نامق واقفاً أمامه، ثم أعاد النظر إلى الحالة
التي عليها، قطع هذا السكون صوت أحدهم إذا أنت مستيقظ، انتبه نائم
ونظر في نهاية الغرفة سائلاً عن المتحدث، اقترب منه صاحب الصوت عدة
خطوات دون أن تظهر ملامحه قائلاً..

_ أنا نهايتك.

_ أنا لا أفهم شيئاً .. اقترب .. اكشف عن نفسك.

اقترب منه ووقف أمامه مباشرة حتى أردف نائم..

_ ماذا هناك يا نامق؟ .. أخبرني يا صديقي.

ارتفعت ضحكاته وهو يقول:..

_ صديقك ألا ترى ما أنت عليه؟ كيف لصديق أنا يفعل هذا أم وجودك في بيان قد جعلك أحق مثلهم؟
ثم أردف متحرّكاً أمامه ذهاباً وإياباً:..

_ هل يظن شيحان أنك أيها القروي تستطيع النيل مني في مملكتي على أرضي وسط قومي لا بد بأنه فقد عقله بعدما فعلت بابنته كان عليه أن يرى ماذا حل بها أمام عينه؟

نظر إلى وجهه وعلى ملامحه الحدة حتى استطرد:..

_ أم أنك تظن أنك ستقدر على أن تجبرني لإعادة ما سلبته منه .. لا أعلم أن ما سلبته من ثراء أهم عنده من ابنته التي جعلتها كهفات التراب التي تتناثر في الرياح بعد ضربتي لها وإزلالها وإهانة شرفها.

عندها أدرك ناثر أن المتحدث أسر حاول النهوض من مقعده غضباً ولكنه لا يقوى، تختال قواه، نظر إليه أسر وعلى وجهه الابتسامة الخبيثة ومضى:..

_ لم أكن أعلم أنك مغرم بها إلى ذلك القدر.

_ ماذا تريد؟

ابتعد عنه أسر قليلاً ثم هز رأسه بالنفي قائلاً:..

_ القانون هنا يخضع لي .. أنا من أسأل، وأنت من تستمع وتجب .. ألم يخبرك سيدك؟ أنا لا أحد يجروء على الاقتراب مني .. ألم يخبرك أنك آت

إلى حنفك؟ ..ألم يخبرك مع من تعبت أم أن حبك لابتته قد أعمى عينيكَ؟.. ألا تريد؟

ثم اقترب منه:.

_ألا تريد أن تعلم ماذا فعلت بها؟

نظرات الغضب تزداد، بركان كاد أن ينفجر من رأسه، ولكنه لا يقوى على فعل شيء، يدها وقدماهما المقيدتان جعلاه عاجزاً، ولا يعير انتباهها إلى نامق الذي ظل واقفاً في إحدى أركان الغرفة لا يتلفظ بحرف فقط يكتفى بالمشاهدة وتابع حديثه:.

_لقد قمت بإهانتها وضربها وإخراجها من البيت ذليلة، وأخذت ما يملك أبيها.

_ إن كنت قوياً لهذا الحد لم لا تفك وثاقي لنعلم مدى قوتك أم أنك لا تتجرأ إلا على النساء.

ابتسم (أسر) بعد أن اقترب منه، ونظرات (ثائر) إليه لا تتوقف:.

_لما لا تتذوق بعض مما تذوقته؟

ثم لكمه في وجهه عده كلمات وبقدمه في صدره ووقع بالمقعد أرضاً، تحرك نامق من مكانه وقام بإجلاسه مرة أخرى، ومضى:.

_ لن أنهيك بتلك السهولة، سوف أجعلك تتمنى نهايتك سريع لقاء ما أتيت لأجله.

خرج من الغرفة وتبعه نامق الذي ألقى نظرتة الأخيرة على صديقه في حزن، أخبره أن يرسل الرجال ليدوقوه بعض العذاب، وبعدها يتخلصون منه ولا يحدثونه في ما حدث مرة أخرى أنه قد انتهى.
رد عليه:..

امرك يا سيد إرم.

دخل نامق الغرفة ولا يقوى على النظر في وجهه صامتًا متخشبًا لا يعلم ماذا يقول؟ قطع صمته صوت نائر سائلًا ألا يخشى على ولده؟ ألا يهتم لأجله؟ نظر إليه نامق في حزن متحدثًا أنه فعل ما فعل من أجله، لا أحد يعيش في هذه المدينة إلا وقد اتبع أحد أسيادها عندها، حدثه وعندما يبلغ ابنك سن الرشد من سيتبع؟ والده أم سيد والده.

لم يعلم ما يجيب به، ومن ثم رحل و أرسل للرجال ما قد أمر به وأثناء عودته إلى البيت مر على صديقه شديد أوقفه وسأله عن نائر، فأخبره أنه في الطريق إلى بيان، الآن ظهرت ملامح الغرابة على وجهه عندما رأى الحزن في عين صديقه حيث أخبره بما يكمن في قلبه تجاهه، وأنه بدا شخصًا صالحًا عندها طلب نامق المغادرة لأنه يشعر بالإرهاق، ثم وصل إلى البيت، ودخل إلى غرفته على غير العادة دون حديث.

لاحظ زوجته وسألته عما به أجابها أنه مرهقًا فحسب، فأخبرته أن عليه الراحة، ثم جلست بجواره ووضعت يديها على رأسه، ومال إلى صدرها، وأنصت:..

..إننا نحتاجك .. أتعرف شيئاً عندما أحضرت صديقك إلى البيت قد أعطى بعضاً التعليم إلى ابنك الذي أخبرني أن عليه أن يتبع أبيه وأن يحذو حذوه؛ لأنه سيكون يوماً ما خير سند إليه، ومنذ أن غادر وابنك لا يمل من الحديث أنه حينما يبلغ سن الرشد سوف يصير مثلك وواعد بذلك أيضاً أرى أن كلمات صديقك قد أثرت في نفسه، كادت الدمعة أن تفارق عينيه، ولكنه تمالك نفسه وأخبرها أنه سيرتاح قليلاً، وقد أظلم الغرفة وراح في نوم عميق.

صرخات تملأ أركان الغرفة، رجلان أحدهما يقوم بوضع الزيت على جسد ثائر والآخر قام بتسخين قطع حادة من الحديد واقترب من جسده وأخذ في تشريح جسده لتتفاعل المادة الخاصة بالزيت مع الآلة الحادة، واشتعلت على جلده، وارتفعت صرخاته محاولاً أن يتمالك نفسه، ولكن لا يقوى فذلك الألم قد أجبر كبريائه على الخضوع حتى فقد وعيه من شدة الألم قاموا بإفاقته مرة أخرى، وقد خارت قواه وأجلسوه على مقعد حديد بعد أن أزاحوا عنه ثيابه كاملة، وربطوا وثاقه وثبتوا جلسته لتلامس المقعد حتى لا يستطيع التحرك أشعلوا النار أسفل المقعد؛ ليبدأ الحديد بارتفاع درجة سخونته الملازمة لحمه، وخرجت منه صرخات الألم المعبرة عن تمزق القطعة ما بين العضو وفتحه الشرج أسفله تلك القطعة الرقيقة التي تتمزق من بعضها البعض كما تتمزق قطعة اللحم إلى شرائح رفيعة إلى أن فقد وعيه مرة أخرى، وأطفأ أحدهم تلك النار وفكوا وثاقه ملقى على أرضية الغرفة...

ثائر

خرج هذا الاسم منها بعد أن أفادت من نومها وأنفاسها المتسارعة والعرق يملأ وجهها نظرت إلى جانبها، ورأت أخاها مازال نائمًا، أخرجت زفيرها ونهضت من على الفراش، وخرجت من غرفتها متجهة إلى غرفه ثائر، أضاءت أنوار الغرفة متأملة في كل ركن به وكأنها متخيلة وجوده، وذهب إلى مكتبته، وجلس مكانه ومن ثم قرأت الرسالة التي تركها قبل مغادرته.

أنا مش عارف أقول إيه في البداية أنا بكتب الرسالة دي قبل ساعات من خروجي أنا مش عارف إلى عملته ده صح ولا غلط بس خلاص، أنا بدأت الطريق وعلى أول خطوة بعد ما الدنيا قفلت في وشي، لقيت طريق الهجرة غير الشرعية، أنا عارف إن ممكن الكلام ده يكون مش مضبوط وتقولوا إنه إزاي فكر في حاجة زي دي بس لما اليأس بيتملك الواحد ممكن يعمل أي حاجة، ولو كانت السبب إنه يموت أنا عارف إن الصدمة هتبقى عليكم قوية بس ده الحل الوحيد أنا أول ما أوصل هكلمكم واطمنكم عليا، ولحد ما ده يحصل عيزك ياخالي تهتم بكريم، والدنيا مش تلهيك عنه ويأريت متعرفوش ب اللي حصل قول أي حاجة إنى سفرت وهرجع له تاني أوعدك إنى مش هخيب ظنى أبداً، متقلقش عليا إنت عارف إن أنا راجل إنت اللي مربيني أوعدك إنى هحقق حلم أمى أنا سافرت عشان أحققه لأنى لو كنت فضلت هنا مش هعرف أجيب حقها وإنتي يا ندى عيزك تبقى قوية زي ما أنا عارفك، وضحككتك تملى البيت أوعى تخليها تغيب عنك أحسن لو غابت البيت هيكون قبر لو مجلكيش خبر عني خلال شهور أول عريس يخبط على بابك ويكون ابن حلال وهيصونك اقبله يا بنت خالي لأن اكيد

أنا هبقى عند أمى وهشوفها واطمنها عليكم هروح احكي لها اللي جرى
عشان تعذرني بس هيا أكيد عارفه.. عارفه وحسه بيّ وهروح لربنا عشان
ياخد لي حقي من الدنيا لما أقابله هقوله يارب أنا جيت لك .. جيت لك
عشان تخذلى حقي من الدنيا جيت لك عشان تنصرنى .. بلاش تزعلوا مني
وادعوا لى بالرحمة يمكن تكون دعواتكم السبب إن ربنا يشفع لي
ويرحمني.

ظلت ندى ممسكة بالورقة وهي تتألم مع كلمة تقرأها غير مصدقة ما حدث
كيف كان الأمر؟ وكيف صار؟ إلى أن دخل عليها والدها:
_إيه يابنتى إيه اللي مصحيكى؟.

رفعت وجهها نحوه، وظهر عليها ملامح الحزن:.

_مش عارفه يا بابا قلبي مقبوض حاسة إن فيه حاجة.

اقترب منها والدها قائلاً:.

_ أنا عارف ومش مصدق إن يقعد الشهور دي كلها وميكلمناش بس دا
معناه حاجة واحدة.

وقبل أن يكمل كلامه انهارت من البكاء نهضت من مكانها مسرعة ذاهبة
إلى أحضانها،
وأردف:.

_ أنا آسف يا بنتى ... أنا آسف بجحد.

نظرت صوب عينيه المشعة الدموع قائلة:..

_أنا موافقة.

ثم غادرت إلى غرفتها باكية، ولم تنم تلك الليلة متعاشية مع كل ذكرى قد كتبت في كتاب القدر، أفاقت من شرودها على صوت الرياح خارج شرفتها خرجت متأملة إلى السماء بعين ملائكة الخضوع قائلة:..

لو كنت عايش عايزاك تسامحني ولو كنت ... أنا مسمحاك.

_استيقظ يا نامق، استيقظ ما بك؟

أفاق مفزوعاً من نومه والعرق يملأ كامل وجهه، ينظر إلى (تالا) وعينه مفتوحتان سائلاً عن ابنه في رعب، وعندما أخبرته أنه في غرفته هداً وارتاح قليلاً، وقام مسرعاً من على فراشه قائلاً:..

اجمعي أغراضنا سوف نرحل

سألته في اندهاش عما حدث، وأخبرها أنه لا يوجد وقت ليس الآن، فقط تجمع الأغراض و لا تهدر الوقت، ثم ذهب مسرعاً إلى صديقه شديد، وطلب منه المساعدة ..حاول أن يفهم ما الذي يجري؟ ولكنه لم يدرك إلا أمراً واحداً أن نائر يحتاج إليهم وهم في طريقهم إلى تلك الغرفة، أخبره نامق أنه قد لا يستطيع أن يبقى مرة أخرى في المدينة لم يعير شديد انتباهه لما قال صديقه، ثم يصل إلى تلك الغرفة التي كان موجودة أسفل أرض المدينة ..شعر نامق بالأسى مما فعله شديد تجاهه إنه لا شيء، كيف له أن يؤدي أصدقاءه؟ دخلوا إلى الغرفة التي وجدوا بها نائر عاري ملقى على الأرض، والجروح تملأ جسده، اتسعت عين شديد حينما رآه في تلك الحالة

تجمدت ملامحه متخشباً، حاولوا أن يرفعوه حتى قال نامق في نفسه لن أخدم أحداً بعد الآن، ثم خرج ووضعوه على العربة بعد أن ستروا عورته، واتجه إلى البيت حتى يحضر تالا وابنه، وقد أحضر شديد حصانه إلى أن دخل نامق، وأحضر زوجته وابنه بعد أن وضع يديه على عينه، وطلب من زوجته الصمت، وألا تتلفظ بحرف واحد عند دخولها العربة، ظلت واضعة يدها على أعين ابنها دخلت ورأت جثمان نائر المشرح الملقى على أرضية العربة، نظرت في رعب إلى زوجها الذي حدثها أنه سيعلمها بكل شيء، ولكن يجب أن يذهبوا الآن .. وركب العربة متجهين إلى الشمال، فأخبره شديد أنه سيذهب إلى قرية (حرث)، وعندما سأله نامق عن معرفته بقوم هناك لم يعير له انتباه، وانطلق إلى القرية، وعندما وصل اتجه إلى أحد البيوت، وطرق الباب فتحت سيدة متقدمة بالعمر، وعندما رأتهم لم تنتظر لتعلم ما الذي حدث؟ وطلبت منهم الدخول بسرعة، وأشارت لهم قائلة: اصعدوا إلى أعلى، وضعوه في الغرفة، ثم حولت نظرها إلى تالا وأردفت: وإنّ تعالي معي إلى تلك الغرفة عليك أن تظلي بها بعض الوقت.

وعندما دخلت أغلقت الباب عليها، وصعدت إلى الطابق العلوي حيث وضعوا جثمان نائر إلى أن طلبت منهم أن يزيحوا ثيابه حتى ترى ما الذي تستطيع أن تفعله؟ تجمدت ملامحها مما تراه على ذلك الجسد.

كيف هذا؟.. هل مازال حياً؟

لم تنتظر رد أحدهم فقد أتت ببعض الزيوت لتطهير جروجه بعد أن طلبت منهم الخروج من الغرفة، وانتظارها حين تطلبهم وعندما خرجا أغلقا الباب خلفهم، نظر شديد إلى صديقه في حدة قائلاً: .
_انتظر ما ستقوله.

رجع نامق عدة خطوات إلى الخلف مصطدماً بالجدران، وأخرج زفيره قائلاً: .

_منذ أربعة سنوات عملت مع أسر بعد أن عرض علي العمل في متجره، ورأيتة يكرمني ويعطيني الكثير كان يعتمد علي في كل شيء، وخاصة تجارته التي كان يخرجها من إرم ويأتي بأخرى، وفي أحد الأيام وجدته غاضباً، ولا يعلم ماذا يفعل؟ وعندما سألته عما به أجابني: .

إنه ذلك الحاجز بينه وبين التجارة، إنه يريد أن يسلب منه مصدر الرزق، يشنى له الربح، وهذا يهدد مصدر رزق العاملين، وعندما سألته لماذا يفعل هذا؟ أخبرني أنه يريد أن يجدنا تحت أمره طوال الوقت وإلا من الممكن أن يقطع التجارة عنا، يجب أن نجد حلاً لتلك المشكلة، وبعد برهة من الصمت اقترب مني ووضع يديه على كتفي متحدثاً: . أنه لا يمكن له الوثوق إلا بي، ولهذا طلب مني شيئاً، وعندما سألته ماذا يمكن لي أن أقدم له؟ قال هذا الحاجز يحاول إبعاده عن التجارة وذلك لأنه يشعر بالأمان، يجب علينا أن نجعله يلجأ إلينا، ويأتي زاحفاً لينكسر كبرياؤه، سألته كيف ذلك؟ قال لي: . إنه يجب إحضار ابنه الصغير إلى هنا، ولما ظهر علي القلق طمأنني قائلاً حتى يستعيد رشده: . أننا لن نؤذي أحداً قط. ولن نقدم على تلك

الخطوة، ولكن مصدر رزق كل العمال الذين يعتمدون علينا، ماذا سنفعل؟ هل نشردهم خارج المتجر أم نجعلهم يتركون العمل؟ هل نخاطر بحياة هؤلاء أم نقدم على فعل بسيط لنجدتهم؟

كلامه أحاط بعقلي لا أعلم لماذا، ولكنه أقنعني وفعلت ما طلبه مني، وأخذت ابنه من بيته، وذهبت به إلى تلك الغرفة التي أحضرنا منها ثائر، وفي اليوم التالي أتى ذلك الرجل، وجلس مع أسر وأنا استرق السمع لما يقوله:.

_ماذا تريد مني؟

_لا أعلم عما تتحدث.

_حسنًا سوف أقبل بضائعك وأقايضك بما تريد.

_لا أعلم عما تتحدث وضح لي.

لأسمع صوت الرجل الممزوج بالغضب وبعدها ضحكات أسر بعد أن قال:.

_أريد زمام الأمور في يدي لا احتاجك بعد اليوم وإلا فقد لا ترى ابنك مرة أخرى.

_ذهلت مما سمعته من أسر، ولكن مع موافقة الرجل علي طلبه، انتظرت لأعلم ما الذي سأفعله؟

وعندها انتهوا من الاتفاق في كل شيء سمعته:.

_ابنك في البيت الآن اذهب، واعتني به جيدًا.

ولما غادر دخلت على أسر، وقلت له: هل أعيد الطفل إلى بيت أبيه؟ رد في هدوء: إن الطفل في بيت أبيه منذ زمن، ولم يمكث كثيرًا، ولما سألته كيف علم أنه سيوافق على مطالبه؟ أخبرني أنه شيء أكيد ألا يخاطر بحياة ابنه من أجل لا شيء قد ينفعه ولو كنت طلبت منه كل ما يملكه قد أعطاني إياه، إني لا أراوغ أحد إلا وقد علمت كيف سيتعامل مع الأمر؟ أنا لا أعبت دون علم فهذا خطر.

عندها أدركت أنه تفكير لا يمكن لأحد أن يفعله، إنه خبيث جدًا، وبعدها اعتدت على الأمر، وكل ما يريد أن يحدث أمرًا ما طلبني، وذلك بعد أن أعطاني الكثير والكثير من أجل عائلي.

كانت نظرات شديد تقلب على وجهه منها الغضب ومنها الحيرة والدهشة غير مصدق أن هذا صديقه الذي عاشه طوال سنين عمره حتى أردف: إلى أن أتى ثائر، واعتقدت أنه يبحث عن أسر بسبب ما كان يرتديه على كتفه لم أنس قط هذا الشوب.

ولم يكمل ما قاله إلا وقد أمسك به شديد في غضب ورفع قائلاً:

كيف لك أن تغدر كانت من الممكن أن أكون مكانه؟ هل كنت ستغدر بي أيضًا؟

قاطعتهم تلك السيدة عند الباب ناظرة إلى شديد وما فعله قائلة:

لقد انتهيت وأتمنى أن تكونوا اكتفيتم أيضًا ذلك الشاب يحتاج إلى الكثير من العناية.

طرح شديد صديقه أرضاً، وخرج وتبعته تلك السيدة بعد أن نظرت إلى نامق الذي بدا على وجهه الندم، وقام من مكانه ونزل على الدرج، ودخل الغرفة التي توجد بها زوجته وابنه، جلس أمامهم ووضع رأسه بين كفيه لتطلب تالا من ابنها الخروج ومشاهدة الأشجار، وبعد أن خرج اتجهت إلى زوجها في هدوء وتسأله عما به وعما صار؟

رفع وجهه إليها قائلاً في هدوء..

_ سأخبرك.

أخرج شديد زفيره بقوة:

_ لا أصدق أنه فعل هذا، ما الذي يجب عليّ فعله؟

ردت عليه تلك السيدة..

_ جميعنا نخطئ يا بني، ولكن القليل من يحاول الرجوع إلى الصواب، حاول أن تهدئ من روحك. واستنشق ذلك الهواء لتزيل الألم من روحك.

ثم أردفت بعد برهة..

_ فما مضى قد أخطأت في حق أحدهم، ولكنني لم أستطع أن أعالج الأمر، فقد أخذه طيار إرم بعيداً عني في ذلك اليوم الذي أيقنت التواجد الدائم معه والعيش برفقته فقط، لو كنت بادرت يوماً واحداً على هذا، أخبرني ماذا لو لم يفق صديقك من غفلته لكان الآن في بيته يفعل ما يفعله كل يوم، وكان ثائر في باطن إرم، ولكن هذا لم يحدث فقد تحرر من قيوده والآن واجبك الوقوف بجواره إنه يحتاجك يا بني.

قطع حديثهم فارس عندما اقترب منهم:.

_مرحبًا إن الأشجار هنا جميلة حقًا، يوجد الكثير منها أحب هذا المكان ورائحته أيضًا.

أخبرته السيدة أنه يمكن له المكوث هنا كيفما يشاء، نزل شديد على ركبتيه، وسأله عن والده فأخبره بعد أن أشار إليه بإصبعه في تلك الغرفة، نظر شديد إلى الغرفة التي تجلس فيها (تالا) مع زوجها وهي غير مصدقة لما سمعته منه، وكأنها ترى شخصًا آخر أمام عينيها قائلة:.

_من تكون؟ أنت لست زوجي.

رد عليها نامق بعد أن أمسك يديها:.

_أعلم أنني أخطأت، ولكنني عدت إلى رشدي، وتراجعت عما كنت أفعل تاركًا كل شيء خلفي فقط من أجلكم ألا يشفع هذا لي عندك، لا أستحق مسامحتك وغفرانك.

ردت عليه بعد أن جذبته يديها عنه:.

_ مسامحتك هل تتوقع مني أن أضمك إلى صدري، وأمرر يدي على رأسك لأهون عليك ما فعلته أم تريدني ألا أكرث بما حدث طالما قد عالجت الأمر.

ثم أردفت بعد قيامها من مكانها:.

_إن أردت الغفران فاذهب إلى صديقك أولاً، واطلب منه ذلك.

خرجت من الغرفة، وتركته في حالته التي يمتلكها الندم والضعف بعد تخلي عائلته وأصدقائه عنه

بعد مرور يومين خرجت تلك السيدة من الغرفة واستدعت نامق وعندما صعد أخبرته بأن صديقه استيقظ ويريد أن يراه أخذ شهيقاً، وخرجه متقدماً إلى الغرفة خطوة خطوة، وكان التردد يمتلك إحساسه رغم وجود دافع الشجاعة، دخل من الباب وجد صديقه أمامه ملقى على الفراش الضمامات تملأ جسده من أثر الجروح، نظر إليه ثائر صوب عينيه ولكن لا يقوى صديقه على النظر في عينه يقوم بإحضار مقعد وجلس جواره صامتاً وكأنه ينتظر الجزاء، قطع هذا الصمت صوت ثائر:.

_لماذا عدت؟

مر قليل من الوقت فيه ظهر العرق على جبهته، وبدا عليه التوتر حتى قال:.

_لقد تذكرت كلامك.

قاطعته في حديثه قائلاً:.

_ ارفع نظرك إلي، وحدثني وأنت تنظر في عيني.

رفع نظره ورأى وجه صديقه الذي بدا عليه الجمود حتى قال:.

_لقد تذكرت كلامك عن ابني عندما قلت لي في ذلك اليوم ألا تخشى على ولدك ألا تهتم لأمره، وتداخل الكلمات في عقلي لأسمع شديدي يقول:.. لا بد وإنك حزين من أجل ذهاب صديقك، وصوت زوجتي الذي يخبرني عن ابني أنه سيصير مثلي يوماً ما، وانظر إلى ابني الذي أراه أمامي لا أريده أن

يخطو على نفس الدرب، وكلمات تداخلت مع بعضها تشتت عقلي لم أعرف ماذا أفعل؟ أردت الراحة فذهبت إلى فراشي لأرتاح من هذا العذاب، ولكني لم أدرك أن هذه الغفلة ستكون العذاب الحقيقي رأيت ابني أمامي واقفًا في الظلام وحيدًا ينادي عليّ وبدا على وجهه الرعب والقلق وأتى أسر بشعلة صغيرة مقتربًا منه، ومد يده وأخذه إلى مكان آخر، ليس بظلام ولكنه أشبه بالجحيم قتل واختطاف وسرقة إنه عالم أسر، ترك ابنه هناك ورحل بعدها ظل ابني ينادي عليّ وأنا لا أجيبه كل ما أفعله هو الوقوف للمشاهدة لا أستطيع الكلام صوتي لا يخرج مني جسدي مكبل لا أستطيع الحراك إلى أن يئس وأنا لا أجيبه حتى تأقلم مع المكان الذي وجد فيه لأراه يتحول إلى شخص آخر بلا أخلاق بلا رحمة، تقدم علينا وأنا أقف جوار أسر حيث قال له:.

إنك تشبه أبيك كثيرًا.

نظر إليّ ابني بعين لا تعرف الخوف قائلاً:.

أنا من تعلمت هذا على يد سيدي ولائي له.

وعندما سأله أسر أن ينهي ما بدأ نظر إليّ وعيناه تحمل الشر قائلاً:.

أمرك يا سيد إرم.

استيقظت فرعًا لا أشعر بشيء من حولي، وكأني فقدت جميع حواسي، لم أدرك أن ما أفعله سيرد إليّ يومًا ما عندها، قررت أن أصلح ما أفسدت وإن كان هذا ينهي حياتي، ولكن يضمن سلامة عائلتي.

ذرفت عين نامق بعض الدموع وهو يتحدث لا يتمالك نفسه يحمل على كتفيه عبء ما فعله يمتلكه الندم والانكسار حتي أردف:.

_ لقد ساعدني شديد في إنقاذك، وهذا ما جعله يترك بيته وعمله في المدينة من أجلي وأجلك، ولكنه لم يهتم بهذا قدر اهتمامه بصدقتنا. قال نائر في هدوء:.

_ لدي بعض الأسئلة أريد جوابك عليها.

ثم أردف بعد أن أخرج نامق زفيره موافقاً على ما يطلبه:.

_ كيف علمت بأمر السيد شيحان؟

في يوم أخبرني أسر أنه يريد أن يبعث رسالة لصديقه القديم ليهدهه فيها إن ظل يبحث عنه ويبحث له الرجال سوف يحرق بيته وابنته ويحول حياته إلى جحيم وأشياء من هذا القبيل، وعندما سألته عن مكانه، وكيف يبدو؟ قد أعطاني كل ما أحتاج للتعرف عليه وخاصة هذا الثوب الذي كنت ترتديه أنت على كتفك، ذهبت إلى قرية بيان، وأدركت أنه تاجر الأسماك الشهير، وقد صادفت ورأيت شخصاً يرتدي وشاحاً أسود لامعاً، وعلى جانبه نقوش ذهبية، تأكد أنه هو لقد وجدته بالفعل، وعندما راقبت البيت وجدت طبيباً يسير جواره، تابعته وانتظرت حتى خرج من البيت من أجل أن أستطيع إلقاء الرسالة، وبعد قليل وجدتك تغادر من البيت في حالة يرثى لها، تلتفت حولك تنظر إلى الأرض، وترفع عينيك إلى السماء وكأنك ضائع لا تعرف الطريق، وعندما تبعتك ظناً مني أنك أحد أهل هذا البيت، ولكنك وقفت أمام البئر وألا تملك شيئاً، واعتقدت حينها أنك تريد الماء عندها أدركت

أنك الغريب الذي تتحدث عنه العامة منذ أيام، وأنه قد وجدوك على شاطئ بيان، وأحد هؤلاء الصيادين قد أحضرَكَ إلى بيته، تحركت إليك بعد أن رأيتك ورأيت حالتك كأنك لمست شيئاً بداخلي، وجدت نظرك لا يتحرك عن الماء الخارج من البئر، فأحببت المساعدة ومن ثم تركتك، وعدت مرة أخرى إلى بيت شيحان حتى خرج وقذفت تلك الرسالة من تلك الشرفة، ثم انتظرت إلى أن يعود، وتأكد من أنه يقرأها بالفعل حتى تأكدت من هذا، واتجهت بعدها إلى إحدى البيوت حيث وجدتكَ هناك وعدت إلى المدينة.

انتظر إلى أن أنهى كلامه.

رد عليه:.

في ذلك الوقت الذي رأيتكَ فيه شعرت أنك تختلف كثيراً عما قابلتهم عندنا ظننت أنك شخص صالح.

أخفض نامق نظره إلى الأرض خزيًا لما فعله، ولكنه رفعها ثانية عندما أردف ثائر:.

اليوم ظني صحيح.

رد في هدوء:.

ستغفر لي.

ابتسم بعد أن قال:.

وهل هناك شيء حدث حتى أغفر لك؟

تبدلت ملامحه إلى الحيرة لا يعلم هل يسعد على مسامحته أم يحزن على ما فعله في حقه؟.

مر الوقت دخل شديد مع السيدة إلى الغرفة ممازحًا:.

_ كيف حالك أيها القوي لم أكن أعلم أن بعض الخدوش ستلقي بك على الفراش، أعتقد أنني لم أقابل بعد من يفوقني قوة.
ردت عليه تلك السيدة:.

_ ما قولك في أن تصمت وتذهب وتأتي لنا بالأخشاب، وأظهر قوتك كما تشاء، أعتقد أنك ستقيم عندي لفترة، وأتمنى لا تثير غضبي.
_ أعرفك يا صديقي بالشخص الذي يفوقني قوة ولا أقوى على غضبها إنها السيدة (جيلان) التي اعتنت بك، وعالجتك أنت مدين لها.
رد نائر:.

_ بالتأكيد شكرًا لك يا سيدتي دائمًا ما يكون في طريقي قوم يساعدون كما هو الحال في بيان.

ما إن أنهى كلامه حتى أخبره نامق أنه قد أرسل الزيوت التي على حصانه إلى بيان في نفس اليوم حتى لا يسيء الظن به، وأخبره أن هذا دليل على أنه لم يصيبك مكروه، ولقد ابتهج نائر لسماعه هذا، وقال أنه يخشى على السيد كبير أن يفقد تجارته، ويكون هو السبب، وظلوا يتحدثون في ظل شروود (جيلان) لا تتكلم فقط على وجهها ملامح قد حجبها تراب السنين، والآن

قد يكون الوقت المناسب لإزالته من على وجهها، قطع شرودها حديث
ثائر وهو سائلاً:.

_متى سيقوم من مكانه؟

أخبرته أن عليه الراحة لأيام حتى تلتئم جروحه، وقد ذهبوا بعد أن أردف:.
_أنه عليه الراحة حتى يأتيه الطعام.

غادرت وعقلها مليء بالتساؤلات، وذهبت إلى الغرفة التي تجلس بها
(تالا)، وفتحت الباب قائلة:.

_هل هناك من يريد أن يساعدي؟

قامت معها وذهبت لتحضير الطعام، ولكنها كانت شاردة الذهن ولا يبدو
عليها الهدوء، أخبرتها جيلان أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأن عليها
أن تتفاعل بالخير دائماً، ومن ثم أشارت إليها بيدها خارج الشرفة قائلة:.
_انظري هنالك.

كان شديد واقفاً مع زوجها وعلى وجوههم السعادة وهم يتحدثون عن
وجودهم في حرث، وأنه يجب أن لا يجلبون المخاطر إلى جيلان، عندها
قال شديد:.

_لا تقلق من هذا الشيء إن السيدة جيلان تعلم جيداً ما تفعله غير أنها تعيش
وحدها الآن، وقد انتظرت قدوم أحد إليها؛ ليجالسها على الأحرى يا
صديقي لن تتركنا نذهب من هنا ببساطة.
رد عليه في حيرة:.

_ أنه لا يفهم كيف لسيدة مثلها مساعدتهم وهي تعلم أنها من الممكن أن تقع في مشكلة ما؟!

ثم أردف:.

من أين يعرفها ولم يخبره بشيء عنها؟

عندها قال:.

_ لا تكفي الكلمات يا صديقي، لقد عاشرتها لسنوات وكانت تحمل من الروح الحرة والفكاهة والجمال ما لم يحمله أحد في إرم، ومع ذلك لم تتزوج بعد.

اندهش نامق وقبل أن يتلفظ بحرف أردف:.

_ إنه العشق حين يتجسد في امرأة.

قالها ناظرًا إليها داخل البيت وهي تقوم بإعداد الطعام متحدة إلى تالا وعن مسامحتها لزوجها ولكنها قالت لها:.

_ أتمنى أن يعفو عنه نائر أولاً.

قامت جيلان بإعطائها الطعام للذهاب به إليه قائلة:.

_ لما لا تكتشفين ذلك بنفسك؟

ذهبت وصعدت إلى أعلى، وطرقت الباب، ودلفت في التحيات، وسألته عن حاله، ومن ثم تنتظر لحظات وكأنها تريد أن تتكلم، وضعت الطعام جواره، والتفت للمغادرة عندها أوقفها نائر قائلاً:.

_من الجيد أن يكون للشخص أصدقاء يساندونه، بالنسبة لي نامق هو الصديق الذي أهدتني به أرض إرم.

ظل يتحرك داخل تلك الغرفة المميتة من زاوية إلى أخرى، وهو يحدث أحد رجاله:.

_أرى أنك فقدت مهارتك في السيطرة علي الأمور

ثم تقدم إلى الكرسي الحديدي الذي قيد فيه نائر وهو يسمع:.

_إننا لم نخطئ يا سيد أسر، إننا ندرك ما نفعل ولكن ما لم ندركه هو الخيانة التي أتت من أقرب رجل لديك، وعندما انتظرنا أن نخبرك قد ظننت أنني أستطيع أن أصلح ذلك، ولكنني لم أجد أحد منهم في المدينة.

اقترب منه قائلاً في سخرية:.

_إنك لم تفقد مهارتك فقط، أظن أنك تفقد ذكاءك أيضاً أم أنك قد شعرت بالرخاء وأصبحت لم تصلح للعمل حتى تخبرني بما حدث خلال أيام وتعطي لنفسك أمل أنك ستجده؟!.

ثم ابتعد خطوات وأردف بعدها:.

_أريد أن أطلع عن الأشخاص الذين تعامل معهم، وتعامل هؤلاء الأشخاص مع غيرهم، وتعامل غيرهم مع غيرهم، أريد كل شيء هيا اخرج.

اتجه أسر إلى الكرسي، ووضع يده عليه بعد أن أردف:.

_ أرى أنك تحب المغامرة، ولكنك تعبت مع حدفك.

خرج متجهاً إلى بيته حتى يريح أعصابه، ودخل من الفناء الواسع ذات الأشجار الجميلة، يسير في الممر الذي يدخله من باب بيته الخشبي المطرز بالياقوت ومقبضه الفضي واضح قدمه على الأرضيات الرخامية ذات الرونق الهادئ مازاً بالأعمدة الفضية المطعممة بالذهب إلى غرفة الطعام ذات الملمس الحريري، وجلس وعلى جانبه زوجته (تينا) التي تزوجها منذ سبعة سنوات وابنه (غيث) البالغ من العمر ستة سنوات نظر إليه قائلاً:.

_ أرى الكثير من الغيوم على وجه ابني.

أجابه أنه يشعر بالحزن والأسى، وعندما سأله أسر عن السبب قال:.

_ أشعر بالحزن لأنني أريد الخروج والتعرف على من هم في عمري وأمي ترفض ذلك، وأما الأسى لأنني لا أملك أصدقاء يا أبي.

أخبره (تينا) أنه لا يجب عليه مصادقة أحد ليس معروفاً، أما خروجه فذلك لا يمكن إلا وهي معه عندها ابتسم أسر قائلاً:.

_ أنه سيوضح الأمر له.

ثم أردف بعد أن نظر ابنه إليه:.

_ من الجيد أن تخرج من البيت وترى جمال مدينتك، ولكن كيف تراها وأنت وحدك ألا يجب عليك أن تصطحب من تحبهم معك حتى يستمتعوا بما تستمتع به أم أنك لا تريد أن تسعد نظر أمك، إن كنت تحب ذلك لم لا تدعها هي من تخرج معك؟ فما قولك يا عزيزي؟.

أوماً رأسه إيجاباً على كلامه، وتبدل ملامحه إلى البسمة ثم مضى .:

وعن الأصدقاء يجب أن نعلم من هم ومن يكون أباهم حتى لا تخطئ فيما تعلمته غير أنني أريد لابني أن يكون سيداً يوماً ما، فيجب علي أصدقائه اتباعه حتى يساعدكم في يوماً ما وأنت يا عزيزي تحب مساعدة الآخرين أليس كذلك؟

رد في سعادة:.

بلى

إذاً استمع إلى كلام أمك، فهي دائماً تريد الأفضل لك، وتريدك سعيداً.

بدأت الغيوم بالزوال من على وجه غيث وأشرفت شمس سعادته بكلام أبيه، وبدأ بتناول الطعام، وبعد الانتهاء قد وعده بالخروج معاً هذا المساء، وقعد غادر بعد أن أخبر زوجته أنه سيذهب إلى والدها بعد المرور على المتجر الذي يحمل الصناعات الخشبية الفريدة والتحف الملائمة لتزين بيت بأجمل حلي والكوؤس الذهبية المطعمه بالزمرد والفضة غير أن المتجر يكتسب أفضل شيء له وهو استيلاؤه على نفوس هؤلاء من يدخلونه.

دخل إلى المتجر وجلس على مكتبه والناس تقوم بالنظر والمقايضة وهو جالس لفت انتباهه امرأة تسير في أرجاء المتجر، وتنظر هنا وهناك وبدأ على وجهها عدم الرضا لا يوجد ما يثير اهتماما، ظل يراقب خطواتها المترددة، وحركات يديها ورأسها حتى قام من مكانه، ووقف ورائها قائلاً:.

هل يوجد ما يفوق الجمال يا سيدتي؟

التفتت إليه في دهشة منتظرة أن يتحدث حينها أردف:.

إن هذا المتجر ما هو إلا تشريف من السادة عندما تخطو أقدامهم إلى متجري، هذا ما أنعم به إن كل ما تنظرين إليه بعينيك يزيد قيمة عن قيمته الحقيقية فقط لأنك ألقيتي عليه النظر.

ثم تحرك بعض الخطوات في المتجر بعد أن طلب منها إن تتبعه وأردف: تأتي إلى كل يوم من تقايضني من أجل إحدى الحلبي حتى تزيد من جمالها من أجل أن تحظى بشيء فريد يميزها عن غيرها.

قالت في كبرياء:.

إنني لا أحتاج إلى من يزيد جمالي.

ابتسم لها قائلاً:.

وهذا ما يحتاجه هذا المتجر أن تأتي أنت لتمني عليه ببعض من جمالك.

قام بمد يده وجلب سوار ويسترد:.

انظري إلى هذا ليس بالقدر الكافي لجمالك ولكنه يشوق أن يزداد بريقاً منك أنت لا تحتاجين إليها، ولكنها هي من تحتاج إليك وإذا وضعته هنا.

ثم قام بوضع السوار علي يديها وأردف:.

سطع بريقه.

قامت برفع يديها أمام عينها، وابتسمت وذهبت إلى رجل وقف في انتظارها، وأظهرت له السوار، قام بمدحها عندها التفتت إلى أسر، وأخبرته أنها تحتاج إلى المزيد، وأنها ستأتي إليه كل بضعة أيام، وقامت بمقايضته بأكثر

من قيمة السوار، وغادرت وعندها سأله المساعد عن كيفية إقناعها بتلك القطعة التي لا تتميز عن غيرها، وعندما أجابه ذهل مما سمع، وقام بمدح دهائه وانصرف إلى عمله، واتجه أسر بعدها إلى أبراج إرم بعد أن خطى على أرض المعبد ما رآ من على جسر خشبي أسفله نهر يحوط الأبراج الثلاثة ذات البنيان الشاهق المطلي بالذهب والمرصع بالياقوت يسير علي أرضيته الرخامية متجهًا إلى الفناء المزدهر المليء بالأشجار التي تمنح المكان نسيم من رياح يستشققها وهو جالس على المقعد الحريري منتظر (بدر) والد زوجته الذي يتولى إحدى مهام الحاكم الذي يترتب عليه متابعتها، والنظر في شؤون أهل إرم، مر الوقت وذهب للقاء (بدر) الذي كان بانتظاره ألقى التحية، وجلس معه وحدثه أن هناك أمرًا طرح أمس بين مجلس إرم من أجل افتتاحها على بقية العالم في الأقصى الذين لا يعلمون شيء عن طريق إرم حيث طرح إحدى الأعضاء أن يكون الافتتاح تجاري وعندها انتبه أسر للحديث وأردف:.

بدا هذا الرأي مقبولاً لدى المجلس حيث أراد أن يتعرف أولاً على تعاليم هذه البلاد وفكرها من أجل الوصول إلى موضع يتيح للمجلس صنع قراره المناسب في هذا الأمر إن كان الافتتاح على هذه البلاد سيعود بالنفع على إرم أم سيكون سبب دمار أسسها التي استقرت عليها منذ قرون فقد رأى الحاكم أن هذه فكرة جيدة للمناقشة، وأراد من المجلس دراستها من أجل الشروع في العمل،

وعند الانتهاء من حديثه سأله أسر:.

أعذر منك، ولكنني أرى أن إرم لا ينقصها شيء لا تحتاج صناعة أو تجارة أو علم، فهذه البلد منبع الحضارة التي تمنح البلاد الأخرى النفع كل ما يأتي إليها.

قاطعہ بدر قائلاً:.

وهذا ما أَراده الحاكم.

عندها بدا الاستفهام ملحوظاً على وجه أسر قام بدر من مكانه متجه إلى الشرفة، وأردف بعد أن تبعه أسر:.

إن الحاكم يريد أن يسطر إرم لتجتاح العالم كله، فإن أرضها لا تقتصر فقط على ما تراه كما تعلم أن إرم لا يوجد لا حدود تفصلها عن غيرها فهي تمتد وتمتد إلى آخر مكان على هذه الأرض، ولذلك يريد الحاكم أن يختبر الأراضي هل ستستطيع أن تمتص معالم إرم وحضارتها أم أنها ستنفرد منها أنه لا يكفي بالغرباء الذين يأتون إليها أنه يريد أن يبتلع المدن الأخرى من أجل الحفاظ على ما وصلت إليه إن كانت هي من تمد الآخرين بما يحتاجوه فذلك لن يجدي نفعاً إلا إذا أصبحوا داخل هذه الأرض وحتى يحدث هذا يجب أن يخوض الحاكم هذه الخطوة مع المجلس وعندما طرح أمر التجارة كان من أجل أن تظهر حقيقة تقبل الأمر من تلك المدن. ثم التفت إليه وأردف:.

لهذا أردت مقابلتك أنت لديك مهارتك في التجارة أريد منك أن تجمع ما تستطيع من علم بهذا الأمر ومعاملات مع التجار وسوف أزودك بما تحتاج

حتى تنجح في تلك المهمة أعلم أن الأمر سوف يستغرق سنين من أجل تحقيق ذلك، ولكن أنظر لها من جانب واحد هو جانب الحاكم.

اتجه إلى مقعده بعد أن أخبره أسر إن مثل هذا الأمر سوف يرفع من شأنهم، ويقدم الخطوات بينهم وبين الحاكم وعندها أدرك أن هذا الأمر لا يجب أن يفسد ويجب أن لا يسمح لأي شيء بالحدوث لتعكير هذه الصفقة، وعندما خرج أسر واتجه إلى بيته أخذ ابنه للتمشية قليلاً كما وعده حيث أخذه إلى إحدى الجسور التي تطل على أبراج إرم، وجلس يحدثه عن المدينة وأهمية أن يصنع لنفسه مقاماً وأن سنه الصغير لا يجب أن يكون عائقاً في تفكيره، وعندما رأى الحيرة على وجه ابنه قال:.

_ سأحدثك في أمر ما .. أنت الآن تقوم بالتعلم لتستطيع القراءة والتحدث، ماذا لو قام أحدهم بقول شيء غير مألوف لديك ماذا ستفعل حينها؟
أجابه ابنه:.

_ أنه سيأتي، ويسأل عما سمعه.

ولكن والده أخبره:.

_ صحيح ولكني أريد منك أن تكتشف ما قاله هذا الشخص بنفسك فأنا لا أريد ابني أن يكون جاهلاً بشيء لا تجعل أحدهم أن يقلل من حجمك أو يقيمك أنت تستطيع أنت تكتشف الأمر، ولهذا أريدك أن ترى شيئاً واحداً فقط أملكك تلك الأبراج.

نظر إليها الطفل، وأعاد النظر إلى والده الذي أردف:.

_عندما تصل إلى سن الرشد أريد منك أن تكون داخل هذه الأبراج أريد منك أن تضع كل آمالك فيها، وعندها ستحقق لي وأمك السعادة عندما نرى ابننا داخل أبراج إرم يساعد الناس، ويفتي في أمورهم يرى ما لا نستطيع أن نراه عندما أكون كهلاً بالتأكيد ستعتني بي وأمك أنت من أنجبت وأنت من أريده أن يكون عكازي الذي أتكى عليه أعلم أنك صغير على هذا الكلام، ولكنني أريدك أن تضع كل طموحك في هذا الأمر.

أوماً (غيث) رأسه إيجاباً، ابتسم إليه، وبعدها ذهبوا إلى البيت حيث انتظرت (تينا) زوجها حتى أتى، وقد خلد ابنها إلى النوم، وجلست مع أسر في غرفتهم تحدثه وتسأله عما أراد والدها منه، وعندما أخبرها بما حدث أكدت له أنه سيصبح له شأن عظيم بذلك، وعندما رأى فرحتها قال:.

_أتعلمين أنني لا يمكنني أن أقدم علي شيء بدونك لم أر امرأة في حياتي مثلك، أتعلمين أنني محظوظ جداً.

ردت عليه بعد أن وضعت يديها على جانب وجهه:.

_أنا المحظوظة بك يا عزيزي.

قال أسر بعد أن نهض من مكانه إلى الشرفة:.

_انظري إلى القمر أنه قتيلاً... خافت نوره لا يبدو عليلاً.. ما كنت أظنه من قبل قمراً... حتى وجدت إلى قلبك سبيلاً... همي إليّ.

مد يده إلى زوجته، وأمسكها لتميل برأسها على صدره ثم أردف:.

_همي إليّ وقدمي من ضيئك... بعض الضياء حتى ينير قليلاً.

مضت الليلة وأتى الصباح حيث قام نامق وشديد بالخروج والبحث عن عمل حتى سيستعيد صديقهم قوته، وظلوا يسيرون حتى وجدوا سيدة تقوم بالعمل في الأرض وحدها، قام شديد بالذهاب إليها، وعرض عليها العمل إن كانت تحتاج إلى أحد يساعدها فوافقت على الفور لا تظن أنها ستقوى على العمل وحدها، وقامت بالاتفاق معهم على أنها ستعطي لهم بعض من المحصول مقابل عملهم يوميًا من الصباح حتى الغروب، وستقدم لهم الطعام أيضًا، وعندما غادرت قال شديد:.

_أعلم يا صديقي أنك لا تميل إلى هذا النوع من العمل، ولكنه الذي نملكه الآن غير أنني لا أريد أن يرانا أحد هنا حيث رد صديقه أنه لا داعي لهذا الحديث، وأنه سوف يتغلب عليه ويظهر القوة في العمل.

ابتسم شديد وخبره:.

_إن كان الأمر كذلك هيا أرني ما لديك.

وبدأ العمل هما الاثنين وبينهم منافسة قوية وإن ظهر على أحدهم الإرهاق يقوم الآخر بتشجيعه، وهكذا مرت الأسابيع وعملهم يزداد متعة حتى تالا وجيلان كانوا يقومون بأعمال البيت، وبدا ناثر في التعافي وحالته بدأت بالعودة إلى ما كانت عليه حيث كانت جيلان تعتني به محاولة أن توفر له الراحة الي ان اتي يوما ودخلت عليه من اجل ازالة الضمامات وترى إلى أي مدى تحسن حيث جلست على مقعد جواره، وبدأت في إزالتها وهي تتحدث معه لتعلم عن بيان كل شيء خاصة كبير وذلك عندما سألته: من

أين اكتسب تلك القوى لتحمل كل ذلك؟ أخبرها عن تلك الشجاعة التي اكتسبها منه، وعن مأساته التي جعلت منه كالصخر، وعندها سألته:.

_هل تخطى ما حدث معه أم ماذا؟

أجابها في هدوء:.

_لا أعتقد ذلك فهو مازال يحمل نفسه مسؤولية ما حدث رغم أنني أرى أن لا أحد لديه يد في ذلك.

ألم يقل لك أن ابنة صانع الشباك هي من تسببت في كل هذا؟

خرجت منها هذه الجملة وهي لا تعي رد عليها:.

_لا لم يذكرها بسوء، وإن لم أكن مخطئ لم يذكرها كثيرًا.

توقف لحظة من الزمن ثم أردف:.

_كيف علمتي أن والدها يصنع الشباك أنا لم أتحدث في ذلك؟ وما هي المأساة التي تتحدثين عنها؟

عاد وصمت مرة أخرى متم جيلان جيلان جيلان، ظهر على ملامح وجهه الجمود ناظرًا لها قائلاً:.

_ جيلان هي أنتِ..

لقد انتهينا ستظل تلك الضمائم على جسدك بضعة أيام أخرى، وعندها ستتعافى بالكامل.

ظلت تتحدث وهو فقط ناظرًا لها لا يتلفظ بحرف حتى همت بالخروج قال:.

_سيدة جيلان لم تركتيه؟

خرجت من الغرفة، ولم تلتفت إليه حتى وعند غروب الشمس أتى صديقيه من عملهما، ودخلوا إلى الغرفة، ومازحه شديد:.

_لم أكن أعلم أن صديقي بداخله قوة جبارة أتساءل كيف لجسد مثلك يتحمل كل هذا؟! ولكني أيضًا أعلم الإجابة فتلك الشجاعة تحتاج إلى قلب قوي لا جسد، وأعتقد أيضًا أنك سبب تحرر نامق من قيوده.
ثم أردف:.

_ولكنكم مهما فعلتم لن تصبحوا بقوة شديد، كنت أتمنى أن أرى أحد الرجال ذلك اليوم، كنت سأحوله إلى كيس بطاطا.
ابتسم نائر وهو يقول:.

_إنه من الأفضل أن نخشى غضبك، فلا نريد أن نحصل على خسائر جسدية.
رد نامق عليه:.

_لا تقلق حيال ذلك وإن حدث ما عليّ سوى أن أحضر له السيدة لتقف أمامه، ويعود إلى رشده أو أقول طفل رضيع.
نظر شديد إلى الشرفة ثم أدار وجهه إلى نامق قائلاً في سداجة:.

_هل كنت تتحدث يا صديقي؟
أو ما نامق رأسه بالنفي ضاحكًا ثم أردف:.

من الأفضل أن لا يتذوق أحد مطرقتي، فلا نعلم إلى متى سيبقي حيًا هل تذكر يا صديق ما حدث من قبل مع تلك السيدة؟ صمت قليلًا ثم قال نامق:.

سيدة الحصان.

لا يا صديقي بل تلك السيدة التي أتت مع رجل، وكان يريد سيفًا. نعم ذلك الرجل كان سيصبح في بطن إرم إلا أن رأيت تلك السيدة. سأله نائر عما حدث يجيب بعد أن أخرج زفيره:.

كنت أعمل في يوم لم يكن جيدًا معي كان الضيق يملكني، وكان عليّ مقايضة بعض المعدات إلى أحد الاتباع، ولم أكن انتهيت منها بعد ظللت أعمل حتى أستطيع أن أعطيه ما يحتاجه، وقد تأخرت على الموعد إلى أن دخل أحد الرجال، وظهر عليه أنه من تجار المدن ونظرته إلى المكان وإليّ. اعتقدت أنه هنا ليطالبني بشيء، عندما تقدم إليّ عدة خطوات قال: أنت أيها الحداد.

نبرة صوته قد أثارت غضبي، هجمت عليه وقمت بإمساكه من رقبته، ورفعته إلى أعلى، وأنا أقول له:.

إني طلبت المزيد من الوقت حتى انتهى أم أنك تريد أن تثير غضبي. وقد بدا على الرجل الاختناق حيث قال:.

أخبروني أنك أمهر الحدادين هنا.

أنزلته أرضاً بعدما أدركه أنه يريد شيئاً من صنيعي، وأنا أعتذر منه وأرى ملامح الدهشة على وجهه مما رأى قبل قليل وما حدث الآن وبعد أن هدأ أخبرته أنني أتمنى ألا أكون قد أثرت غضبه ثم سألته عما يريد فأجابني بأنه يريد شيئاً فريداً لا مثيل له شيئاً خاصاً حتى يتميز به، ويدل على قوته، التفث وأعطيته ظهري لأحضر له شيئاً ليجربه، وعندما أعطيته إياه ظل ممسكاً به، ويلوح به وأنا أعزز في قوته إن هذا السيف قوي كالصخر وحاد كالشعرة لا يحمله إلا الأقوياء مثلك سيدي، ولكنه لم يستطع أن يتحكم به فأخبرني أن أت له بشيء آخر، ذهبت وأحضرت له ما طلب، ولكنه لم يستطع أن يتعامل معه، فقال لي:.

_ هل لديك شيء أخف وزن من هذا؟

فأجبت بسخرية:.

_ هل تريد سيفاً أم عصي رد علي؟.

_ ألا تعرف من أكون إياك أن تتحدث معي هكذا؟.

التفت وأعطيته ظهري وأنا أخبره أن لدي عمل لأقوم به، ولا يشغل بالي من تكون؟ ما تطلبه ليس هنا، ولكنه لم يكتفِ بهذا حيث سمعته يقول:.

_ إياك أن تدبر لي ظهرك، وأنا أحدثك أيها الحداد.

قلت له في هدوء بعد أن التفت إليه: أرى أنك نسيت أين كنت منذ دقائق في المرة القادمة لن أضعك أرضاً، سأركلك للخارج عندها تقدم نحوي قائلاً:.

كيف تجرؤ أيها الحداد؟

قمت برفعه من رقبته مرة أخرى، وهمت بأن ألقيه أرضاً إلا أن دخلت تلك السيدة ورأيتهما وهي تنظر إلى ذلك الرجل، شرد عقلي مما رأيته، ونسيت أن هناك أحدهم مرفوع إلى أعلى، وكاد أن يختنق إلى أن قطع شرودي صوتها العذب وهي تقول:.

ماذا تفعل أنزله الآن؟

أخفضت يدي ببطء، وأنا لا أحيل عيني عنها، ذهب معه بعد أن أخذت عقلي بجمالها.

بعد أن أنهى حديثه قال له ناثر في مزاح:.

أرى أن النساء تؤثر عليك يا صديقي، لقد نسيت ما قاله الرجل وكدت لأن تخنقه وأنت لا تدري كل ذلك لمجرد أنك سمعت بعض الكلمات منها أتخيل ما ستفعله إذا جلست معها بعض الوقت.

حدثه نامق في لطف:.

إنه على استعداد أن يخاطر بحياته من أجل امرأة حتى وإن كانت.....

ثم أردف بعد صمته لبرهة:.

لم لا تخبره يا شديد؟

ولكن لا يجب أن يعلم أحد بهذا.

ارتسمت البسمة على وجهه نائر.

انتظر.

كنت ذاهب إلى نامق حيث لفت انتباهي حصان لم يكن على طبيعته، وقفت لبرهة أنظر له ودون أن أشعر اقتربت منه قليلاً، وفجأة سمعت صهيله هو يرفع حوافره الأمامية للأعلى، وكاد أن يضرب تلك السيدة التي كانت تستند على الجدار أمامه وقفت أمامها وأمسكت قدميه وأنا أقاوم وأحاول أن أتحكم به حتى لا ينزل بهم على رأس تلك السيدة، وكلما أسمع صوتها وهي تتغيث تزداد قوتي وتحكمي بالحصان حتى أبعدته عنها وهي خلفي هم الحصان بالهجوم مرة أخرى، وقمت أنا بمسك لجامه والركوب فوقه ومحاولة إمطائه ظل يترفع إلى أعلى وينخفض محاولاً إيقاعي أرضاً، وأنا أسحب لجامه إلى أعلى حتى أرهقه، ولكنه لم يكن بالأمر الهين، وبعد مرور بعض الوقت قد تعب من مماطلتي له حتى هدأ، ونظرت إلى تلك السيدة التي بدا عليها القلق والدهشة في نفس الوقت، ثم نزلت من عليه قائلاً:

الآن أصبح لا خوف منه هيا اصعدي.

ولكنها رفضت بشدة، فأخبرتها أن لا تقلق من شيء، وقمت وأمسكت يدها وأنا أخبرها أن سأقوم بإيصالها إلى البيت، عندها نظرت وشعرت بأن عينها قد أصابت قلبي بسهم مسموم، وعندما صعدت وابتسمت شعرت بزلزال من تحتي، ولكنني أدركت أن قدمي هي التي ترتعش، ظللت أسير

أمامها وأنا ممسك اللجام على وجهه وهي ممسكة بالآخر حيث أحبت
أن أسمع صوتها عندها تظاهرت أنني أتحدث إلى الحصان:.

على مهلك لم تسرع هكذا؟

لأرى نظرة الدهشة على وجه تلك السيدة، ثم أعيد نظري إليه قائلاً مرة
أخرى:.

أندري أنك أجمل ما رأيت، وبالرغم من ذلك تحمل في عينيك قسوة لا
أعرف لم؟

لأنظر إلى السيدة فأجدها تبتسم ثم أكملت:.

وبما أنني وجدتك وحدك لم لا أكون معك أم أن هناك من يشغل تفكيرك؟
لتقطعني السيدة وتخبرني أنه قد وصلنا إلى بيتها، ولكنني قلت لها لما هذه
السرعة لم أحصل على رد بعد لأجد أحدهم تقدم نحوي، وأخذ بيد تلك
السيدة وأنزلها من على الحصان، وسألها عني وعما حدث فأخبرته أن
الحصان كاد أن ينهي عليها، ولكنني من أنقذتها وهي من طلبت مني أن
أوصلها إلى البيت، كنت أسمع حديثهم وكاد عقلي أن ينفجر لا أفهم إلى
أن تقدم الرجل قائلاً:.

أشكرك على إنقاذ زوجتي.

وبعدها طلب مني الدخول ليرحب بي ولكنني رفضت، وقلت له أن لدي
عمل لأقوم به وعندما غادرت نظرت إلى الحصان للمرة الأخيرة مدرك
جوابه على سؤالي.

ضحك نائر عاليًا وهو يقول:.

_ ما بالك يا شديد ألا توفق أبدًا في مثل تلك الأمور؟

يبدو أنني متسرع قليلًا في ذلك الأمر يجب عليّ التريث قليلًا حتى لا أصدم كل مرة، وذلك سيكون أفضل لي حتى أبحث عن الفتاة الملائمة لشخص مثلي.

قال نامق:.

_ ولكنك لن تجدها يا صديقي.

ثم أردف:.

_ إنك تريد فتاة قوية تستطيع أن تحمل السيف وكأنها تحمل ريشة .. عنيدة .. لا تخشى مواجهة الرجال .. أرى أنك تريد محاربًا لا فتاة.

_ لا يا صديقي إنها فتاة عندما أجدها أنصحك ألا اغلبها.

قال نائر:.

_ سوف تجدها يا شديد إن كلاً منا له من يشبهه وإن كان عدوًا لك في البداية.

_ هل تقصد أنك وجدت من يشبهك فكلامك يدل على شيء مجهول.

صمت نائر في لحظات، ثم نظر إلى صديقه قائلاً:.

_ هل تصدق أشياء قد تراه عيناك وقد تكون غير ممكن؟

نظر كلا منهما إلى الآخر ثم أردف:.

_ نعم وجدتها في ما مضى وتركتها و الآن أرى ما أدركه إني أريدها سعيدة معي أو بدوني، لا أعرف إن كنت ظلمتها أو أنجيتها من شخص مثلي لا يعرف من أبيه، ولا يرى أمه، فقط سمع عنها شخصاً قيل له في الماضي إنك لا تعيش في الواقع، وأجبر على التعايش معه حتى وإن كان تحت تراب أرض، شخص حصل على نصيبه من المعاناة إلا أنها ظلت معي لم تكتفِ بإشعال النار في قلبي وكأنه مازال رطباً ورغم هذا كان سعيداً عندما ينغلق مع عائلته الصغيرة التي لم تتقبل مساره في الحياة، فقط عندما يجالسهم يشعر بامتلاكه عالم داخل العالم الذي يعيش فيه، وعندما ترك ذلك العالم باحثاً عن ذاته التي لم تخلق في تلك الأرض عازماً عودته مرة أخرى، ولكن قد قدر له مسار مجهول لم يتوقع أبداً حدوث شيء مثله لا يعلم ما الغاية منه؟ ولا يعلم هل سيعود منه أم لا؟

ثم نظر إلى الشرفة وأردف:.

_والآن أرى عائلتي أمامي، ولا أقوى علي ضمهم إلى صدري، فأنا الغريب.

قال له نامق في حيرة:.

_هل لي أن أسألك عن شيء، وأتمنى أن لا تسيء الظن بي.

رد عليه شديد في سرعة:.

_لا أعتقد أنك تريد هذا يا نامق، ليس من المهم أبداً ماذا يكون؟ أنظر إليه وإلى ما أصبح عليه.

ثم نظر إلى الأرض وأردف..

_ سحقا لعادات إرم.

رد عليه..

_ أعذر مما سأقوله، ولكن عليك أن تعلم أن من عاداتنا التي أَلفناها من أهل

إرم أن نحترس من....

ثم صمت لبرهة محاولاً يسكت لسانه...

_ قطع صمته كلمة زنيم التي خرجت من نائِر، ارتسمت الدهشة على

وجوههم وأردف بعدها..

لست أول من يريد أن يدعوني بهذا اللقب، والآن دعني أوضح لك أمراً

بسيطاً.

ثم أعتدل في جلسته قائلاً..

_ لم يختَر أحد حياته، ولم يكن لأحد منا فرصة لإنكار شيء، ولكن ما

نتحكم به ونصنعه هو المصير، ولهذا أحاول أن أصنع مصيراً بعيداً عن والد

ترك ابنه وزوجته التي تعامل معها على أنها متعة لا أكثر تلك المرأة التي

عانت قبل مماتها ليس فقط من ألم قد شرخ صدرها بل من إنكار ذاتها.

ارتسمت ملامح الدهشة على وجه نامق حينها قال..

_ إن هذا يذكرني بما فعله.

قطع نائِر حديثه قائلاً..

ـ آسر أليس كذلك؟

ثم أردف بعد أن أخرج زفيره:ـ

ـ منذ أن دخلت إرم ورأيت بها اختلاف كبير عن بيان ليس فقط البيوت والمناظر الخلابة والأبراج، إنهم العامة أرى أن بعضهم لا يتمسك بالعادات التي أخبرتموني عنها وحديثكم عن الخداع والخيانة هما الشيطان الذي يتمثل فيه الظلام الذي إن رحل أصبحت هذه الأرض نعيم، وعلى الرغم من ذلك فهناك من هم مثل السيد كبير الذي علمني وأواني ومد لي يده رغم سوء ظن أحدهم بي.

ثم صمت لبرهة وأخذ شهيقاً وأخرجه:ـ

ـ وضفيرة تلك الفتاة التي تمثل اللين فيها الممتزج بالقوة وذلك الصبر الذي كلٌ عندها وطاقتها التي لن تنفذ أبداً طالما تتنفس ويخرج الهواء منها كأعصار يمحي متاعب الحياة التي أجبرتها على مصير لم تقبله.

لاحظ وهو يتحدث نظرة نامق إليه ويتلعثم في الحديث حتى ذكر صديقيه ومساعدتهما له رغم أن لا صلة له بهم، وعندما أنهى حديثه أخبره شديداً أن لا يوجد كمال في أي مكان، ويجب عليهم أن يطاردوه حتى لو حصلوا على جزء بسيط منه، وأتمم نامق على حديثه ووصفه إرم تلك المدينة الجميلة ذات قوة العلم الذي جعل أهل هذه الأرض يعيشون فما يعيشونه الآن من ازدهار وتقدم حتى إن تلك الأرض اكتفت فتريد أن تمد باقي المدن بما زاد عليها في شتى العلوم فهي قلب نابض، ولهذا مستقبل إرم في أيدي أطفال هذه الأرض عليهم يستطيعون أن يشفوا بعض بقع المرض

الذي بدأ بالاستحواذ على نفوس أثرياء إرم وانتشاره كوباء، ولهذا قد اختار الحاكم صفوة من أهل العلم الذي لم يتمكن الوباء منهم، وذلك لمشاورتهم في قراراته ومعاملاته مع أهل إرم حتى لا يضعف أو يحكمه الهوى فتصبح أفعاله على حساب فئة من العامة ولمصلحة فئة أخرى كما حدث قبل، وقد التئمت جروح هذه الأرض عندما شهدت دماء على أرضها، ولم تميز تلك الدماء لرجال كانوا أم نساء وأطفالهم وضعفها كأنها تريد أن تخبرهم أن يتوقفوا عن تلك الانتهاكات حتى ساد العنف وأصبحت أرض قاحلة لسنوات حتى أتى أول حاكم حقيقي لها، ووضع الأحكام التي لا تؤثر بالسلب حتى لا يضر أحد غيره كالنفي وإبعاده عن أهله وبيته وأرضه، ويمنع عليه العودة وإن فعل دفن حيًا دون نزول قطرة دماء واحدة؛ لتسترد الأرض ما أمدته إياه من طوال حياته على أرضها لا يوجد أحد مكبلًا بها كل أهلها أحرار لا قيود لا عقوبات فقط الجزاء.

بعد أن انتبه نائر إلى الحديث وتناقضه مع كل ما يفعله أسر سألته:.

_كيف يحدث لنا كل هذا؟ ماذا ستفعل إرم إن اعتدى على أهلها شخص؟ كيف تقتص الجذور المفسدة، أخبرني أم إنكم تصنعون الوهم.

رد عليه في هدوء:.

_لا يا صديقي نحن لا نصنع الوهم بل نسعى لتحقيق الحلم من كان يظن أن هناك مدينة أهلها، يستخدمون الذهب والفضة للبناء، وأبسط حقوق أهلها هو الشراء أنت لا تعمم شخص واحدًا بكل أهل إرم، وإن كنت تسألني عما يحدث لنا سأقول لك إن الجزاء يا صديقي هذه المرة في أيدي

إرم، أنا أحصد ما زرعت سابقاً وشديد كذلك فعل أمرًا يعجزى عليه، وكذلك أنت علك فعلت شيئاً سابقاً لهذا تقدم جزاءه الآن، وأما عن أسر فعندما يبيلعك الظلام، ويمتلك قلبك الجشع وتجد من يمدحك ويساندك عندها تدمر ما تريد لا أن تكتفي بالسلب وافتراس حقوق أحدهم، فقط وإن كنت تظن أنه دليل على فساد إرم عليك، وجدت أكثر من دليل على عدل هذه الأرض وإسنادها لمن يحب أن يكون على أرضها.

ثم مضى بعد أن تحولت نبرة صوته إلى الفخر:.

انظر إلى صديقك شديد إنه دليل على كيان تلك المدينة وطباع أهلها، لم يجبر على أن يكون حداد انظر إلى علمه وعقله، ومع ذلك لم يستقض قط ما يعمل به ما يجعله سعيداً وذلك لأن المدينة لا تسيطر على العامة، ولكنهم من يسيطرون على أنفسهم، يمكنك أن تجلس طوال اليوم لا تفعل شيئاً أبداً، لن يمنحك أحد، ولن يتلفظ أحد أمامك بأنك جاهلاً بما تفعل، ولكن لا أحد سوف يعطي لك شيئاً دون مقابل حتى الحاكم نفسه يوفر الطعام لديه بما يقدمه كل يوم من أعمال وقرارات تساعد في استمرار إرم نحو التقدم، إنه لا يستطيع أن يوفر الطعام للعامة بل هم من يوفرونه لأنفسهم وإليه، هم من يزرعون ويحصدون وثيابهم من صنعهم كل ما يفعله الحاكم هو النظام حتى لا تعم الفوضى وتقديم المساعدات لتوفير ما تحتاجه تلك الأرض عن طريق التوازن بين أهل الشرق والجنوب وكل بقعة في تلك الأرض وإن أراد أن يسيطر على العامة لأقام القيود والسجون وفرض العقوبات وغيرها، ولكنه أيقن أن حرية هؤلاء من حريته وإصلاحهم من إصلاحه، ولهذا اكتفى بالجزاء من أفسد شيئاً عليه

إصلاحه، وإن لم يستطع عليه بناء من جديد، وإن كان لا يبنى عليه تقديم ما يماثله تمامًا، إنه لديه كل الحلول من ذلك الذي يرتكب جريمة وهو يعلم أنه سوف يقع في الجزاء عندها سيعيد التفكير كثيرًا قبل عمل أي شيء خاطئ إن أشعل أحدهم نار تأكد أنها ستحرقه يومًا ما في تلك الأرض، من أراد البقاء يبقى، ومن أراد الرحيل فليرحل، لا توجد حدود ل تمنعه لا أسوار حتى تبقى بالداخل أو تبقى بالخارج لقد علمني أبي كلمات:..

إياك أن تكره أرض قد احتضنت تراب أرضها يومًا تحت سمائها حتى وإن أخذت رشفة من مياه جوفها وطعام من زرعها وملابس قد صنعت بواسطة أهلها.

وهذا ما أعلمه لابني وسوف يعلمه لابنه.

قال ناثر:..

لقد لاحظت في عيني مرة خوف من الفقر وأخرى خوف من الحياة التي أعيشها وأخرى خوف من مستقبل بلا أهل تسوده الوحدة، ولكنني لم أرَ يومًا في عيني خوفًا علي مديتي.

مرت اللحظات حتى قال شديد:..

هل اشتدت حرارة الغرفة أم أنتم من تشتعلون؟

حيث أردف بعد أن نظروا إليه:..

هيا لنذهب إلى الخارج، استمع يا صديقي صوت الليل ينادينا لنتعش ونملأ صدورنا بالهواء الرطب.

ثم قام شديد وأخذ بيدي نائر، ونزل به من الدور العلوي حيث قابل جيلان، وأخبرته أنه لم يتعاف بعد، ولكنه أجابها وطمأنها أنهم سيذهبون لاستنشاق الهواء في الخارج، عندها رآهم الطفل وخرج معهم وظلوا يسرون ببطء بين الطرق الصغيرة التي تفرق بين الحقول وبعضها التي تظهر جمالها على ضي المصابيح وصفاء السماء حتى قام نائر بالسؤال عن جيلان بشكل غير مباشر، يريد أن يعلم ما الذي حدث من قبل؟ فهو لا يعتقد أن مثل تلك السيدة تستطيع أن تدمر حياة عائلة.

عندها أخرج شديد زفيره قائلاً:..

رغم ما تعيشه السيدة جيلان من عزلة عن العامة إلا أنني أرى في عينيها شوقاً للماضي مع أن هذا الذي جعل منها امرأة تعيش بأنفاسها فقط لا تشعر بالوقت لا تشعر بالحياة أنت لا تعلم كم كانت متألفة في ذلك الوقت رغم أنني كنت بعمر العشرة سنوات! ولكني كنت مدرّكاً لما يحدث معها حتى علمت ما حدث في بيان، انطفأت شعلة حياتها حتى بعد أن عادت إلى المدينة كنت أرافقها أحاول أن أخفف عنها، ولكنها لم تصمد أمام أمور كانت تريد أن تجبرها على تقبل ما حدث، ولهذا مالت إلى العزلة والوحدة عليها تستطيع أن تجازي نفسها عما حدث في الماضي.

كانت السيدة جيلان تسكن هذه القرية مع والديها، ثم انتقلت إلى المدينة لمدة من الوقت ثم إلى بيان حيث كان والدها يتاجر بالأدوات اللازمة للصيادين هناك وتصلح شباكهم حيث أخذ متجر وبيت في بداية أرض بيان، وكانت السيدة جيلان تقوم بمساعدته في التصنيع والمقايضة حيث

كانت تذهب من المتجر إلى البيت، وتعود مرة أخرى لإحضار ما يحتاجونه، ومرت الأيام إلى أن ظهر ذلك الشاب الذي يدعى شادر حيث كان بينه وبين والد السيدة جيلان بعض الأعمال والمقايضات مقابل إمداده بما يحتاج، وفي يوم وجدت السيدة أن شادر ينظر لها في شroud حتى أنها أخبرتني

أنها كانت تشعر بالاشمئزاز عندما تنظر له، حيث كان من الواضح أنه أتى من الصيد على المتجر دون الذهاب إلى بيته حتى وقد قابلها في يوم كانت تحمل فيه بعض الألياف متجهة إلى المتجر إلى أن تعثرت في الطريق وسقطت أرضاً وأسرع إليها، وحمل ما أوقعته، ومد يديه إليها حتى تنهض، وللمرة الأولى لم تكثرث إلى الحالة التي كان بها لما أظهره من شهامة، فقبلت يده ونهضت وعندما عرض عليها أن يوصلها إلى المتجر رفضت وشكرته، ثم غادرت وهو واقفاً ينظر لها حتى وصلت وسألها والدها على ما حدث معها لما تبدو عليه حيث أخبرته أنها تعثرت بالطريق، وقامت بالnehوض وإكمال طريقها، وكانت هذه المرة الأولى التي تخفي فيها شيء على والدها، وعندما أنهت عملها وذهبت إلى بيتها، جلست أمام شرفتها تنظر إلى السماء وهي تفكر فيما ظنته في ذلك الشاب، وظلت تسأل نفسها: _ ما ذلك الشعور الذي راودني أول ما التقيت به؟ وما هذا الاختلاف الذي حدث عندما نظرت إلى عينيه؟

_ هل يعقل هذا؟

ولكن الإرهاق قد أجبرها على النوم:.

ولكنني قد أدركت أن تلك الليلة كانت شرارة للإعجاب به، وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى عملها برفقة والدها، مر اليوم وكان ينقصه شيء، عندها أدركت أنه غياب شادر عندما حضر أخوه إلى المتجر، وكانت تريد أن تسأل عن سبب غيابه، ولكنها تراجعت لعدم وجود سبب للسؤال.

حيث وقفت في شروود وهي تسأل نفسها:.

هل من الممكن أنه لاحظ اشتمزازي منه ونظراتي العابسة له؟ ليت لي لم أحكم على ذلك الشاب بسبب مظهره؟

حتي أنها أخذت شهيقة، وأخرجته في حزن وهي تقول لي:.

ظللت في ذلك اليوم في حزن لا أعلم ما الذي قد فعلته؟ وما سبب كل ذلك الحزن؟ ولكن ما كنت أعلمه جيداً إن أخطأت في حق ذلك الشاب ووجب علي إصلاح ذلك.

حيث أردفت بعد أن هدأت ملامحها وأخبرتني:.

في صباح اليوم التالي عندما ذهبت إلى المتجر، وباشرت أعمالها هناك وجدته قادمًا إليهم ما إن لمحته إلى أن ابتسمت له على الفور، وبعد أن غادر وقالت إلى والدها إنها ذاهبة إلى البيت لإحضار شيء ما قد نست أمره عندها مرت بشوارع سوق بيان حتى تراه عينها مرة أخرى، خرجت من المتجر ذاهبة إلى البيت وقبل أن تدخل الباب لمحته يسير بالقرب من بيتها بخطوات بطيئة، وهو ينظر إليها في هدوء حتى ابتسمت وأسرعت بالدخول، وقامت بإحضار القارورة لتملاً الماء من البئر، وخرجت واتجهت ببطء إلى مكان البئر، وهي لا تصدق ما تفعله ما الذي حدث لها

في ليلة واحدة؟ ظلت تسير وهي تحمل القارورة بين يديها وخصرها وما إن وصلت إلى أن وجدته بجوارها وهي واقفة تنتظر أن ينفض الزحام حتى سمعت صوته جوارها:.

انتشر الظمأ بين أهل بيان عندما لا تخطو قدماك على أرضها حتى تنتفض مياه الأرض للخروج لتروي من يظماً، وعلى ما يبدو أن تلك القارورة التي تحملينها على خصرك محظوظة للغاية.

وعندما نظرت له سيدتي جيلان أردف:.

_فقط لأنك من ستضعين الماء بداخلها.

اندهشت سيدتي بما سمعته ولم تتوقع أن يخرج مثل هذا الكلام من ذلك الشاب، ونظرت أمامها مرة أخرى، وبعد لحظات أخبرته أنها تعتذر وصمت لتسمع منه كلمات إنكار لحديثها وعما تتحدث، ولكن ما حدث أنه قال:.

_لا عليك فإن طبيعة عملي في الصيد تجعلني أبدو في مثل تلك الحالة التي رأيتني بها أول مرة،

عندها تحولت ملامح سيدتي إلى الدهشة، وسألته كيف علم بالأمر؟ فأخبرها أنها ليست الوحيدة التي ترمقه بتلك النظرات.

عندها بدا قلبها يخفق شيئاً فشيئاً وهي تستمع إلى كلامه حيث رسخت في ذهنها كلمات:.

هذا ما أكون عليه وهذا ما يجعلني فخورًا إنه كياني الذي لا أنكره، ولا أخشى أن أظهره جميعًا، نعيش علي أرض واحدة جميعًا لنا نفس الدم جميعنا نملك نفس القلب الذي لا يزول ولا يؤثر عليه، تقدم العمر إلى آخر نفس نخرجه على تلك الأرض يظل ينبض.

لم أتمكن يا صديقي من تحديد ما كان يقصده، ولكن البريق الذي كان في عين سيدتي أوحى لي أنه شيء عظيم، عندها قالت:.

نظرت صوب عينيه لا أشعر بشيء حولي، ولا أدري هل انتهى من الحديث أم لا؟ ولكن تساءلت مع نفسي كيف لصياد أن يتحدث هكذا إلى أن قطع نظراتي؟ تحرّكه من أمامي وهو يخبرني أن الزحام انتهى وأن عليه الرحيل عنها أدركت يا شديد، إنني كنت مصابة بالعمى لأفتح عيني على عالمه الذي أردت أن أكون فيه.

قطع حديثهم ابن نامق حيث أخبرهم أن عليهم العودة حتى لا تغضب أمه، وعندها أخبره والده أن عليهم العودة فإن لديه عمل بالصباح وسوف يخبر ضفيرة أن ترى بيت التعليم من أجل ابنه حتى لا يتخلف عنه شيء، وبعد مرور الأيام سوف يحاول أن يجد بيت آخر ليعيش فيه، فلم يعد شيء له في المدينة، وعندها اتفق شديد مع رأيها، وأخبرهم عن نيته في المكوث في هذا المكان جوار ضفيرة حتى لا تكون وحيدة فقد وجدت لها ابن قويًا، وأنا وجدت لي أم عظيمة ما إن انتهت إلى أن نفى تأثير هذا الكلام، وأخبرهم بعودتهم إلى المدينة قريبًا، ولكن نامق قام بتذكيره بأن أسر لن يمر ما حدث

هكذا، ولا يمكننا المخاطرة بالرجوع ما دام هو على قيد الحياة لترسم
الدهشة على وجوه صديقيه
عندها قال ناثر:.

قانون إرم يسير على أهله لا على الغرباء مثلي.
عم الصمت وانعقد لسانهم وأردف:.

_ قبل مجيئي إلى هنا كنت أريد الرحيل من أرضي حتى أهرب من عواقب
قد رمتها الحياة على كتفي، ومحاولاً بدء حياة جديدة حتى أثبت ذاتي،
ولكن لم أكن أعلم أن تلك العواقب مقدرة لي لا يمكنني الهروب منها
وتجاهلها ببساطة كان على التعامل معها، والآن جاءت لي تلك الفرصة
التي يجب أن أغتتمها والآن أصبحت هذه الأرض مكاني الذي أسكن به
مع عائلتي من جديد، ولن أسمح بتهديدها وتفتيتها لمجرد تصور شخص
مريض إنه يستطيع أن يفعل ما يشاء ربما يظن أن كل شيء مباح له، لن أوفر
له هذا إن طال شيء لا يدوم يا صديقي.

ثم نظر إلى نامق الذي بدا على وجهه القلق والحيرة حتى ابتسم له قائلاً:.

_ لا تقلق يا صديقي لن أورطك في شيء، يكفي ما فعلته من أجلي
ومخاطرتك بكل شيء يكفي ما نلته بسببي.

ثم وضع يديه اليمنى على كتفه وأردف:.

ستعود إلى مدينتك وتحقق ما ترغب لابنك سيكون عظيمًا، ويأخذ يد من
يريد المساعدة ليصبح أفضل، تأكد من هذا يا صديقي.

قال الطفل في سرعة:.

وهذا ما قالته أمي.

نظروا إليه حتى أردف:.

_ قالت أمي إننا سنمكث هنا وسوف تلحقني بمكان ما التعلم، وأنت يا أبي سوف توفر لي ذلك حتى أبلغ من العمر الثامن عشر، وبعدها أصبح أحد رجال إرم، ولكنها طلبت مني الاجتهاد لأن ذلك الشيء ليس بالسهل الحصول عليه، وطلبت مني أن أعدها بذلك، وعندما سألتها وماذا عن مدينتي؟ قالت لي إني سأعود إليها، ولكن عندما أكون مستعدًا لإحداث فرق، وقالت إنك يا أبي أحدثت فرقًا عظيمًا في حياتنا، وأيضًا ذكرتني أنني قلت في يومًا ما إني أريد أن أكون مثل أبي أشابهه في كل شيء، وعندما سألتها ما الذي فعله أبي؟

اتسعت عينيه لا إراديا حتي أردف ابنه:.

_ قالت إنك من اهديت لنا تلك الحياة، وإنك الوحيد الذي يقوى على إعادتها مرة أخرى، لم أفهم الكثير من كلامها، ولكنني أدركت كم أنت عظيم يا أبي!

بعد أن أنهى فارس كلامه أخرج أبيه زفيره، وارتسمت البسمة على وجهه حتى سمع صوت شديد

إن إرم قد أهده شئنا فريداً فقد أحسن الاختيار، ومن ثم نظر إلى فارس وسأله عما يرد أن يصبح عندما يبلغ سن الرشد فقال:.

_ لا أعلم بعد، ولكنني فكرت أن أصبح تاجرًا شهيرًا حتي أصبح ثريًا،
ولكنني أدركت أن من الممكن أن يزول كل الثراء يومًا ما، وبعدها فكرت
بأن أصبح فارس قويًا ولكنني لن أستطيع أن أتحرك خارج إرم سيكون عليّ
المكوث فيها ولن أحقق رغبة أُمي.

ثم صمت لبرهة وكأنه يفكر في هدوء حيث قال:..

_ نعم لقد أدركت ما أريد أن اصبح عليه عندما أكبر أني أريد أن أصبح ذا
علم وفير حتي أكون حرًا لا يقيدني شيء، قد لا أصبح ثريًا، ولكن العلم لا
يزول أبدًا أليس كذلك؟

نظر نائر إلى والده، ونزل على ركبتيه مبتسمًا ووضع كلتا يديه على فارس
قائلًا:..

_ رغم حداثة سنك إلا أنك تملك عقلًا راشدًا، ويوما ما سوف تصل إلى ما
تريد، وستجعل والديك فخورين بك ستجعلنا كلنا فخورين، وأعلم أن
هذا ليس بالسهل، ولكنك تشابه أباك لديك من القوة ما تجعلك تصنع ما
تريد وقت ما تريد، ولا تستهين بالصغيرة فإن مدينة إرم من شيد بناءها
رجال بسطاء، وإن قابلتك عواقب في مسار حياتك انظر إلى والدك واستمد
منه القوة والإذاعة؛ فهو خير عون لك وأريدك دايماً أن تتذكر أن لا
تعارضت.

قطع حديثه الطفل:..

_ لا تعارض رأي أيبك إلا في الصواب.

ـ نعم يا عم نأثر إني أتذكر كلامك وأشكرك على هذا.

ليرد عليه:ـ

ـ لا تشكرني بل اشكر أبيك.

ذهب إلى أبيه، واحتضنه:ـ

ـ شكرًا لك يا أبي إني أحبك.

قام نأثر من مكانه ناظرًا إلى نامق وملامح الفخر والسعادة على وجهه وقد عزم على إعادة حياتهم كما كانت.

وصلوا إلى البيت حيث كانت جيلان جالسة في انتظارهم، وقاموا بالدخول ليجدوها أمامهم وعلى وجهها الحدة ويلمح نظرها شديد الذي قام بالتخفي وراء نأثر من شدة القلق، لتقول لهم:ـ

أرى أن الفتیان لم يطبقوا ما قلت أم أنكم لم تسمعوا جيدًا؟!

ثم نهضت واقتربت منهم وتشير إلى شديد الذي اعتذر منها على تأخره حتى أشارت إليه بالخروج من خلف صديقه، ووقف جارههم كالطفل الصغير حتى قال نأثر مبتسمًا:ـ

ـ أعتذر منك يا سيدتي فأنا من آخرتهم، لقد طال الحديث بنا ولا أظنك ستعاقبين مريضه.

صمتت لبرهة ثم أخبرتهم أن يذهبوا إلى فراشهم ما إن سمع شديد هذا هم منطلقًا إلى أعلى تاركًا أصدقاءه خلفه، ودخل نامق الي غرفة التي تجلس بها زوجته ووجدها مستيقظة وبدا عليها الابتسامة الصافية غير المصطنعة

التي دائماً ما يبشر بها زوجها، وقام ابنه بالنوم فور ما وجد الفراش وجلس جوارها وهو يتأمل في وجهها وكأنه أول مرة يراها حتى إنه وضع يده على وجهها وظل يلمسه وهو يقول:.

_ عندما كنت صغيراً قبل وفاة أبي أخبرني أن الزوجة نصيب قد أعطته إرم لمن يستحق إن كنت غير صالح فلن تجد نصيبك من إرم، وإن كنت كذلك فأقبل على عطايا إرم، والآن أعلم جدياً كلام أبي، وأرى أنني لست بهذا السوء فقط لأنك جواري كنت أخشى مما فعلت أن ينقلب عليّ، كنت أخشى أن يأتي يوماً وتحرمني إرم منك ومن ابني، كنت أخشى أن أضل الطريق، ولكنك أثبتت لي أن الطريق دائماً موجود لمن أراد أن يعثر عليه لن يضل عنه أحد.

وضعت يديها على يده التي ما زالت على وجهه في هدوء:.

_ كلنا نخطئ يا نامق، ولكن يجب علينا أن لا نسمح بهذا الخطأ أن يسحبنا إلى السراب يجب علينا أن ننقذ أرواحنا حتى لا يمتلكها اللون الاسود فتعمى العين عما كانت ترى.

حركت وجهها يميناً ويساراً لتشعر بدفع يديه ثم أردفت:.

_ عندما كنت تجلس وحيداً شارد الذهن كنت أشعر بأنك تحتاج إلى شيء كانت ملامحك كالطفل الصغير الذي يحتاج إلى أمه فكنت أذهب إليك، وأجلس جارك وأضمك إلى صدري، وأحرك يدي على خصلات شعرك حتى أشعر أنك قد استسلمت إلى الهدوء كنت أفعل هذا ليس من أجلك فقط بل من أجلي أنا أيضاً كنت بحاجة إلى الاطمئنان.

ثم وضعت كلتا يديها علي وجهه وهي تقول:.

_حتى عندما كنا نتشاجر كنت أرى فيك أبي كنت أرى فيك أماني حتى أنني لا أتذكر سوى كلامك معي بعد وفاة أبي واحتضانك لي، وضمي بقوة إلى أضلاعك وأنت تقول أنك لن تجعلني أشعر يومًا بأن أبيك قد رحل عندها كنت اهدأ وأحاول أن أعيد الأمور إلى طبيعتها، وعندما كنت تبتسم كنت أرى السعادة في عينك تأتي، وتطلب مني الصفع عنك عما حدث كنت وقتها أطمئن وأثق أنني فعلت ما يتوجب علي فعله اتجاهك.

وأردفت بعد أن ارتمت بين أحضانه:.

_أنت لست زوجي فقط أنت كل حياتي أنت كل ما أملك، ولا أريد شيئًا غير هذا، وجودك يكفيني يا عزيزي.

لمعت عين نامق، وكاد أن يبكي سرورًا، ولكنه خشي أن يقطع حديثها، وعندما سكنت وضع يديه على شعرها وظل يحرك يديه علي رأسها قائلاً:.

_إن ظللت أتحدث عن فضلك عليّ وعما قدمته إليّ طوال عمري أحتاج إلى أعمار أهل إرم كلها حتى أوفي جزءًا بسيطًا مما أعطيتني.

ومضت هذه الليلة، وبدأ صباح جديد مشرق يملؤه الأمل عندما ذهب نامق وصديقه إلى العمل، وانقضى نصف نهارهم وجلسوا ليرتاحوا قليلًا بعد أن أحضرت مالكة الأرض بعض الطعام وأخبر شديد صديقه بأن هذا المكان يروق له، وأنه يريد أن يظلا طويلاً؛ ليرد عليه نامق:.

_لماذا لا تخبر صديقك بهذا؟

أخرج شديد زفيره:.

_ لا تلقي باللوم عليه إنه تحمل الكثير، ورأى الفطيع ألا تتذكر حاله تلك الليلة.

_ إني أخشى عليه لا أكثر فهو لا يعلم مع من يتعامل.

_ أعلم ما تقصده وأعلم أيضًا أن أسر لديه من يسانده وما يجعله لا يستهان به.

_ ليس هذا ما أخشاه فقط.

ظهر على وجه شديد التعجب وسأله عما يقصده:.

_ إني أخشى من أن يتغير الحال الذي عليه، ويصير عدوانيًا وتعمى عينيه عما يفعل ولا يرى أمامه سوى الانتقام بعدما لاقى على أيدي رجال أسر العذاب وهذا كافيًا بأن يجعله مختلفًا حتى وإن لم يظهر هذا فأنت لا تعلم ما الذي أراه في عينيه كلما نظرت إليه وأنت عليم بما يحكمنا وإن فعل شيء سيصيبه شيء لا نعلم عاقبته أريد منه فقط أن يتخطى هذا الشيء، وإن كان للانتقام وسيلة للراحة ما كان ليترك أحد فرصة إلا وانقض على عدوه يجب أن نسعى إلى إبعاد تلك الفكرة عنه مهما كلف الأمر.

_ اهدأ يا صديقي ما الذي يجعلك واثقًا أن هناك شيئًا ما أظن أن كل ما قاله كان بدافع الحزن فقط مثلما حدث معنا أظنك تبالغ في قليلًا، وأظن أيضًا أنه سوف يعود إلى رشده قريبًا:.

_ أتمنى ما تقول.

وبعد أن تناولا الطعام تحدث نامق عن رغبته في الذهاب إلى المدينة ليوم،
وعندها ارتسمت الصرامة على وجه شديد قائلاً:.

_ هل أصابتك حرارة الشمس لتفقدك عقلك أم ماذا؟ يمكنك أن تعرض
نفسك إلى أمر كهذا لا أو تعرضنا إلى خطر إن شاهدك أحدهم وتبعك إلى
هنا، ما الذي حدث لكلامك عن ثائر؟

_ لا تقلق ولا تعطي للنقاش القيمة الكبيرة فأنا لذي بعض الناس الذين أثق
فيهم وأعلم جيداً ما الذي سأفعله؟

_ لماذا تريد الذهاب إلى المدينة على كل حال؟

_ أريد أن أعلم كل شيء يخطط له أسر أريد معرفة ما الذي يدور في عقله؟
والاطمئنان أن عيني لا تغفل ليلاً ظن مني أن رجاله سيأتون إلينا، ولن يبقوا
على شيء، أخبرني كيف أجعل عائلتي تشعر بالأمان وأنا لست كذلك
يجب أن أتعامل مع الأمر يجب أن يذهب قلقي.

أخرج شديد زفيره بعد أن هداً قائلاً:.

_ حسناً سوف أذهب معك.

_ لا لن تفعل إن ذهبنا نحن الاثنين من المحتمل أن نلفت الأنظار اتجهنا
والأهم أنني لا أريد لأحد أن يعلم بهذا أبداً، سوف أذهب صباحاً وأعود
قبل المساء إنه وقت قليل ما سأقضيه هناك ولكني معك بالعمل فقط لعدة
أيام، وعندها سأتوقف.

_ وإن حدث معك شيء ولم تعد في المساء.

قاطعها نامق قائلاً:..

_عندها ستعلم ما الذي يجب عليك فعله؟ هيا لننهي عملنا.

وقاموا وباشروا عملهم حتى اقترب الغروب الذي حل على بيت جيلان مارة من الحين والآخر لتطمئن على نائز الذي يملأ عقله الكثير من الأسئلة، ولا يعلم ما الذي عليه قوله حتى جلست وهي قامت بإزالة الضمامات فأخبرها أنه لم تسنح له فرصة لشكرها على ما فعلته، وما زالت تفعله محاولاً صنع حديث، ولكنها لم تعير له انتباه كثيراً ولاحظ أنها لا تريد التحدث إلى أن تجرأ قائلاً:..

_لم تجيئني بعد لماذا تركتبه تلك الليلة؟

أخرجت زفيرها في هدوء قائلة:..

_هناك أمور لا نملك فيها شيء، ولا نستطيع تغيير ما حدث إنه أمر إرم، وقد أصابت شاطر.

_ متأكدة أنت أن إرم من أصابته أم أصابته لعندك.

نظرت إليه جيلان في غضب، وظهر على ملامحها الضيق ولكنها تماكنت نفسها لتصمت، ولاحظ نائز ما قاله تقدم لها بالاعتذار وأسند إلى كلامه عذراً مما رأى فيه كبير رغم أن هذا قد لا يعنيه ولكن كبير يمثل له الكثير وأخبرها أنه جالس، وما وجد منه إلا الكرم ومعاملته الحسنة وكأنه ابنه الذي لا يستطيع التعايش مع هذا الوضع وحديثهم عن آماله ونجاحه وتحوله من شاب طموح إلى كهلاً يعيش منتظراً انقطاع النبضات عن قلبه

كما انقطع عنه أخيه حيث ظلت جيلان تستمع لما يروي من أحاديث حتى أخبرها بما كانت على علم به من قبل.

عندما كان بعمر العاشرة ذهب وأخوه إلى شاطئ بيان مع والدهم الذي كان لديه بعض أعمال الصيانة على قاربه وجاوره أولاده وهما يلعبان حتى تعثر شادر ووقع أرضاً وظن أخوه أنه يمزح ولكنه عندما وجدته يبكي أسرع إليه، وسأله عما به ليشير شادر على ساقه والتواء كاحله حيث قام وحمله على ظهره، واتجه به إلى والده، وعندما نظر لهم ظن بأنهما يلعبان، ولكن عند اقترابهم منه أخبره بما حدث حمل أبيه شادر، واتجه به إلى البيت وعالج كدمته وجعله يجلس الفراش بينما كان أخوه يشعر بالذنب مما حدث ويحمل نفسه المسؤولية إنه لم يرع أخيه الصغير، وقام بالاعتذار لوالده على إهماله فرد عليه في هدوء..

إنه من الجيد أنك لم تترك أخاك وأتيت لتبلغني أحسنت التصرف يا بني.

وعندما أنهى السيد كبير حديثه لي عن ذلك الأمر البسيط شعرت أنه يحمل دائماً حمل على كتفه وإن كان لا يد له فيه لابد من أن هناك أمور أخرى كهذه دائماً ما يخبرني أنه يجب على المرء تحمل كل شيء يكون طرف فيه حتى يستطيع التصرف ولا يعتمد على جهود شخص آخر قد يفشل في التعامل مع الأمر فلا تدع للحظ لك باب فهو لا شيء مقابل الجد والحقيقة التي تراها أمامك، ولهذا قد أنكر تماماً وقوع أخيه في مصيدة الحظ وتحمله مسؤولية موافقته على الزواج منك، ولقد تفاجأ تماماً عندما أخبره أن لا يتحدث إلى والدك حتى يستطيع أن ينهي الأمر على خير، ولكنه وافق من

أجل إرضائه، لم يفهم السيد كبير ما معني هذا في ذلك الوقت، ولكنه أدرك بعدها أنك من طلبتي من شادر أن يفعل هذا.

نظرت جيلان إليه وعلى ملامحها الجمود الذي لا يعلم ناثر معناه حتى أردف:.

ـ وأدرك أيضًا تأثيرك عليه وتغير الكثير من تصرفاته مع أخيه بعدما كانوا شخصًا واحدًا، أصبحوا مختلفين وإن جاز قول أعداء ظل ذلك الشعور بداخله لم يفسر عنه حتى مرت الأيام.

ومات أخوه غريبًا وتابعه والديه قهراً.

وأردف بعد أن تبدلت ملامحه إلى الحدة:.

ـ أتعرفين ذلك الشعور ذهاب كل أحبتك عماد حياتك ينهدم ولا يبقى منه شيئاً إحساس الضعف والوحدة، أظن أن الموت أكثر رفقا من الحياة مع تلك الحالة إنه الشعور ذاته الذي استحوذ علي سابقاً، وسأفعل أي شيء لتصحيح الأمر لم اختر حياتي وكذلك هو لم يكن له فرصة الاختيار.

أجيبيني هل تدركين هذا الشعور؟

خرج زفيرها في هدوء وقد ظهر عليها الإرهاق مما تسمع وأنصت ناثر:.

ـ عليك لم تدرك في تلك الفترة التي تواجدت فيها هنا أن لكل امرئ ما يحمله في قلبه ما زال أمامك الكثير لتعلمه، ولكن أريد منك أن لا توجه إلى أصابع الاتهام حتى تنعم بما تريد أن تعرف.

صمت قليلاً وهدأت ملامحه قليلاً حتى قال:.

_نحن لا نخطط المكوث هنا طويلاً يوماً ما سيعود كل شيء إلى طبيعته وأتمنى أن نعود كذلك إلى طبيعتها.

_أخبرني لم تستخدم الجمع في كلماتك هذه.

_منذ قدومنا إلى هنا ونحن في الوضع ذاته، أنا من وضعتهم في ذلك الأمر قد عانوا من أجلي وتريدين ألا أذكر أمرهم إن كنت لا أفكر إلا في نفسي ما كنت استحق التواجد بينهم، لقد أردت الهروب من الماضي، وعندما حدث قد أتتني فرصة أخرى لمواجهة، إن الهروب ليس الحل الوحيد وإن كان صائباً.

تأملت جيلان في كلماته التي فاحت منها رائحة الألم حتى نطق لسانها وسألته عما هرب منه، وماذا يقصد بكلامه؟ وعندما سمع ظل متردداً لا يعلم كيف له أن يجيب عليها؟ ولكنه أحس بالحاجة إلى التحدث معها، وقطع السكون كلمات خرجت منه دون وعي:.

_الهروب من ذاتي التي لم صنعتها.

تعجبت لكلامه وقالت:.

_أليست ذاتك تلك التي أودت بك إلى هذا الحال أم أن هناك شيئاً آخر، أخبرني قد أستطيع المساعدة، إن السيد شبحان لم أفهمه قط لثيماً يكون أم بريئاً لا أعلم لما قد يفعل هذا إلى ما يهدف، ولكن أعلم جيداً أن ما حدث كان ليحدث حتى أقرر ما سأفعل لا أحد يؤذي عائلتي ويفلت بفعلته.

أي عائلة تقصد أنهم قوم عاشرتهم لشهور فقط لا تحاول إقناعي بهذا أرى أنك تحاول أن تثبت شيئاً ما، لا أريدك أن تتخذ قراراتك في حالة من الغضب أو السعادة لا أريدك أن تعلق في السماء فتترح أرضاً فلا يدوم حال أحدهم.

قد أكون عائماً في بحر لا أعلم ماذا يكون آخره؟ يجب أن يعود كل شيء إلى طبيعته، لقد عانت بما لا تتحمله الجبال لم تجد من يساندها لم أر مدى ذلك الألم إلا عندما رأيته أمام عيني، إنه يتكرر مرة أخرى، ولن أسمح بذلك لن يشعر ابنها أنه منبوذ من قوم ينكرون ذاته لن يهرب منها سيواجه كل ذلك وما ذنبه لا أعلم والدته التي.....
ثم تلفظ بكلمات دون وعي منه:.

_ أرى في عيونها ما كنت أراه سابقاً، وما زلت لا أصدق ما أراه.
لم تهتم كل هذا القدر؟ ألا ترى تعابير وجهك إن هناك ما تخفيه والآن تعلق ضربات قلبك، اسمع دقاتها أخبرني من يكونون لك.
ليرد عليها في هدوء:.

_ سأخبرك عندما تخبريني لما تركته.
بعد أن تعافى نائر ذهب إلى داخل القرية للبحث عن عمل يقوم به وكل ما يشغل باله هو أسر وأنه لا يعلم حتى الآن كيف ستسير الأمور؟ ويخشى أن يعلم بتواجده في تلك القرية، ولا يريد أن يسبب الكثير من المشاكل لهذه العائلة ليس من السهل الهروب من قدره، ولكنه سيحاول مجاراته في ظل تفكيره وانغماسه، مر على البيوت فوجد منها ما يشبه قرية بيان ولكنها

تختلف بعض الشيء حيث لا يوجد بها الكثير من العامة في الشوارع وبعض المتاجر الخاصة بالغذاء؛ وذلك لأن هذه القرية بها السهول الواسعة وأراضي الزراعة الكثيرة التي يعتمد أهلها على الناتج من محاصيلها حيث يأتي التجار لأخذ المحاصيل إلى المدينة وتوزيعها بشكل يسد احتياجات كل قرية حولها.

ظل يسير إلى أن وصل إلى إحدى المتاجر، وسأل من بداخلها عن عمل له، وتعجب الرجل لعدم وجود الكثير مما يطلبون العمل في تلك الأرض، وخاصة إذا كان شاباً يافعاً، ولكن الرجل رحب به وسأله عما يجيده، ورد عليه ناثراً أنه يجيد المقايضة والحسابات ويستطيع أن يفعل أي شيء. أعجب الرجل بذلك وأخبره عن إمكانية السماح له بالعمل، ولكن ليس بالأجر اليومي ولكن له نسبة علي كل شيء يقايضه طوال اليوم وبعد أن اتفق ناثراً معه وأخبره الرجل عن طبيعة عمله وعن الالتزامات التي يجب أن يفعلها وكل ما يساعده في إدارة المتجر، جلس وظل يراقب ناثراً في تعاملاته وطريقة كلامه؛ فوجده حلو اللسان فائق الصبر مع العامة، واشتد الإعجاب عندما سمع كلمات قد قالها إلى أحد المقايضين وإقناعه تلك السلعة، وفي نهاية اليوم أخذ ناثراً بعض احتياجاته، وأخبر الرجل أنه سيعود غداً باكراً كي يبدأ يومه ولا يتأخر، وعندما رحل أخذ منه الطريق وقتاً طويلاً حيث أنه لمح بعض الرجال المارين في محاذاته في شكل غريب، ولما وصل كانت جيلان في انتظاره، وسألته عن سبب تأخره، فأجابها عما حدث له اليوم. فقالت له في حدة:.

_ لا يجب عليك أن تتأخر مرة أخرى مهما كان العذر لديك إن هذا من قانون هذا البيت وإن حدث هناك غرفة بالخارج قم بقضاء ليلتك فيها.
تعجب من طريقة كلامها وظن أن هذا بسبب الحديث الذي دار بينهم من قبل، ولكنه ابتسم قائلاً.

أنا لا أمانع أن أقضي ليلتي في تلك الغرفة حتى لا تنزعجين.
ثم أردف ممازحاً:

_ أخاف أن أغضب قانون هذا البيت فيدركه التهور ويسقط سقفه علينا ونحن نيام،

حاولت جيلان أن لا يتسم لما قاله، ولكنها أشارت له بالخروج ولما خرج واتجه إلى الغرفة، أتت من خلفه وهي تحمل وسادة وغطاء قائلة:.
_ إن كان هذا ما تريد فليكن، خذ تلك سوف تحتاجها بالتأكيد ولا تتأخر عن الإفطار.

أخذ ما جلبته وابتسم ثم أعطى لها ما جلبه معه من القرية ثم رحلت واستلقى، وسأل نفسه هل للتأخر عقاب إلى هذا الحد لاسيما أنني كنت بالعمل، ولكنه عقاب هادئ ومريح قليلاً، ولدي أشياء لأفعلها.
ثم نظر إلى جدران الغرفة التي بها وأردف:.

_ أشياء أهم بكثير من النوم في تلك الغرفة وغط في نوم عميق حتي أشرقت الشمس على وجهه من نافذة الغرفة، واستيقظ وذهب إلى البيت للإفطار فوجد أصدقاءه ينظرون له وعلى وجهه ابتسامة خفيفة حيث قال شديد:.

يبدو أن أحدهم قد تذوق عقاب سيدتي ليلة البارحة أتمنى أن لا يكون سبب المذاق.

ابتسم ناثر في هدوء قائلاً:.

سوف أعتاد عليه قريباً.

ثم جلس وكانت جيلان تتحاشى النظر إليه، وبعد الانتهاء خرج كل منهم إلى عمله.

وفي الطريق قال نامق:.

لقد نسيت شيئاً ما في البيت سأعود لأجلبه، وسوف ألحق بكم.

رد ناثر لا بأس بذلك، فأجابه شديد:.

لا داعي لذلك سيأتي بعد قليل، وبعد مغادرته أكملوا طريقهم وسأله شديد عن عمله وتعاملاته مع العامة، حدثه نامق أنه لم يمر إلا يوم واحد معتقداً أن كل شيء سيكون على ما يرام حتى قال شديد إن حدث معه شيء ما عليه أن يخبره، وسوف يكسر عظام من يعترض طريقه، فسأله ناثر مماًزحاً عما به لا يريد أن يفعل شيء سوى تكسير عظام أحدهم.

اعذرني أيها القوي منذ أن تركت عملي، وأنا أشعر أن قواي تختال أريد أن أكسر أحدهم وأقسمه لنصفين كما كنت أطرق بالمطرقة على الحديد.

يبدو أنك تحب عملك كثيراً من الواضح أنك ماهر للغاية في صنع المعدات.

أنا أصنع أفضل نصل في إرم كلها.

هل لديك مهارة استخدامهم كمهارة الصنع؟

تفاخر شديد قائلاً:..

قبضتي أقوى من السيف ومع ذلك أجيد استخدامه في الواقع لا أحد في إرم لا يجيد استخدام السيف.

ضحك نائر قائلاً:..

إلا أنا.

أنهوا محادثتهم بعد أن وصل شديد إلى الحقل الذي يعمل به، وأكمل نائر طريقه إلى المتجر، وبدأ في مباشرة عمله، وبعض مرور الوقت ذهب صاحب المتجر إلى الخارج وأخبره أنه سيعود قبل الغروب ما إن غادر حتى أتى رجل ضخيم على ملامحه الحدة والصرامة ظل راكباً حصانه وهو ينظر إلى نائر حتى نزل من عليه، ووقف أمام نائر صامتاً ليثير قلقه وبعض الشعور بالرهبة حتى قال الرجل:..

أريد مقايضة الشعر الموجود علي الحصان ببعض القطع الحديدية.

ابتسم له نائر وأخبره في لطف أنه هنا لا يقايضوا القطع الحديدية، ولكن لم ينصرف الرجل ولم تتبدل ملامحه فأخبره بكلمتين فقط القطع الحديدية، أجابه نائر بنفس ما قاله من قبل، ولكن الرجل ظل واقفاً ناظرًا دون حراك، ثم أعاد نفس الكلمتين أخفض نائر رأسه وأخرج زفيره ورفعها مرة أخرى قائلاً:..

أخبرتكَ من قبل.....

وقبل أن يكمل جملته قامت يد الرجل اليمنى بمسك عنقه بقوة وثائر حاول الإفلات من تلك القبضة، ولكن ظل الرجل واقفاً مكانه لا يتحرك ولم تتغير ملامحه، وقد حاول ثائر الاستغاثة ولكنه لم يستطع الكلام وكاد نفسه أن ينقطع وتخرج عيناه من مكانها إلى أن تركه الرجل ليقع أرضاً سانداً ظهره على إحدى جدران المتجر، وذهب الرجل بعد أن امتطى حصانه وحاول أن يتنفس بهدوء وهو ناظر أمامه كأنه لم يحدث شيء، وقبل الغروب جاء صاحب المتجر ووجهه شاحب اللون ويبدو عليه التوتر، فسأله عما به فأخبره بما حدث، وأنه كاد أن يفقد أنفاسه، نظر الرجل إليه في أسى حيث قال:..

ـ أعذر منك يا بني كان يجب أن أخبرك من قبل؟

تعجب ثائر مما قاله حتى أردف:..

ـ إنه (بندق) لا أحد هنا يعارضه حتى حراس الحاكم، إنه المسؤول عن نقل البضائع إلى المدينة، إن أتاك مرة أخرى فلا تقوم بمعارضته في شيء قم بما يريد فقط..

ثم عرض عليه أن يرتاح لبقية اليوم، ولكنه رفض وأخبره أنه يستطيع أن يكمل عمله لنهاية اليوم، وقد انقضى يومه وظل يشغل باله ذلك الرجل الذي تعرض له مما أثار في نفسه الشعور بالضعف حتي أنه سأل نفسه كيف له أن يقف في وجه آسر وهو لا يستطيع أن يقف في وجه رجل كهذا؟ فهو لا يملك القوة الكافية ولا يملك من العلم الكثير على تخطي هذا الأمر، ولكن وجب عليه التعلم.

عاد إلى البيت وقد رأى أن الوقت تأخر، فأتجه إلى الغرفة الصغيرة من تلقاء نفسه، وفي صباح اليوم التالي أتجه إلى البيت، وأعطى ما جلبه إلى جيلان، وجلس وكان قد بدا عليه الاختلاف، وبعد الانتهاء غادروا إلى العمل وقد سبقوا ناصق الذي سأل عنه نائر، وأخبره صديقه أنه دائماً يتأخر، ولا يمانع صاحب العمل، وقاطعه نائر بطلب لم يكن ليتوقع قدومه قائلاً:.

هل لي أن تعلمني كيفية القتال يا شديد؟
رد شديد في دهشة:.

_ هل حدث شيء ما معك؟
_ لا.

وبعد أن وجد نائر ملامح صديقه الجدية أردف مازحاً:.
_ ومن ذا الذي يجروء على فعل شيء معي وأنت بالجواري، ولكن أريد أن أتعلم شيئاً لم أجربه من قبل.
_ أم أنك تخشى.....
قاطعه سائلاً:.

_ أخشى ماذا؟
_ تخشى أن أتفوق عليك، ويصبح هناك من هو أقوى منك.
ضحك شديد قائلاً:.

_ أنت متفائل يا صديقي .. إذا نلتقي في الغروب.

_ أعتقد أنه سيكون بعد الغروب أفضل حتى أكون قد أنهيت عملي.
_ كما تشاء.

وصل شديد إلى عمله، وأكمل نائراً طريقه وهو يحدث نفسه قائلاً:
_ حق دون قوة أضيع لا يجب أن أجعل للضعف مكان في قلبي، لا أحد يستطيع أن يتنبأ بكل شيء خير فيصير له، لا أحد يعلم ما ترميه الحياة على عاتقيه، ليس كل شيء ميسر وليس صعباً أيضاً.

وصل إلى المتجر وباشر عمله بعد أن اطمأن صاحب المتجر عليه، وفي نهاية اليوم عاد وهو يسير رأى ذلك الرجل على مرمى بصره فاتخذ طريقاً آخر للعودة قائلاً في نفسه ليس اليوم .. ليس الآن وعندما وصل إلى البيت، وجد شديد واقفاً أمام الحصان ويتحسس الرأس، ثم نظر إلى جمب الحصان إلى أن تقدم إليه وبمجرد أن وقف خلفه وجده يسحب سيف من على ظهر الحصان، ووجهه اتجاه نائراً الذي بدا عليه ملامح الذعر لما فاجئه به حتى قال أن لا تغفل عن أي شيء من المتوقع حدوثه، عيناك تمر في كل اتجاه وألا تقع أرضاً ثم أردف بعد أن هدأت ملامح صديقه.

في ما مضى صنعت تلك السيوف من أجل الصيد وتوفير الاحتياجات الخاصة لكل أسرة نفس النصل يستخدم للحرق وللقطع والحصاد، ولكن بأشكاله المختلفة وكانت هذه الشرارة التي بدأت منها الغرض الآخر من السيوف، وكانت فيما مضى سبب في دمار هذه الأرض .. قتل .. اغتصاب الحقوق .. حرائق .. والكثير من أشكال الدمار قد نتجت عن شيء واحد هو استخدام السيوف .. حتى أنه فقد قيمته وهدفه الذي كان يعطي السبب

في النجاة، أصبح يسلب الحياة، ولكن عليك أن تعلم جيدًا أن الحياة دون قتال أسهل عليك من أن تقاتل من أجل الحياة، ولكنها أيضًا أوضع حياة؛ لذلك تتعلم كيف تستخدم عقلك وقوتك في وقت واحد، ولا تغرك المهارة والقوة فقط للضرورة العقل هو القوة الحقيقية .. تنظر حولك وتدبر قوة هذه الأرض، هل يكمن في علمها أم في سيفها؟ .. إن علمت الإجابة سوف أعلمك استعماله، ثم مديده إليه بالسيف وأردف:.

_ ولكن أنت من يقرر أين .. ومتي تريد استخدامه؟

أخذ منه السيف وتأمله هو في يده وظل يحركه يمينًا ويسارًا وحرك يده على نصله بهدوء حتى قال شديد:

_ احذر.

رد عليه:.

_ أنا فقط ألمسه.

_ أنا لا أقصد هذا .. احذر من العنف فإنه لا يحل دائمًا الخلافات، وإنما يزيد الأمور سوء .. لا تدع غضبك وثورتك تدفعك إلى حل الخلاف بينما، يمكنك أن تتفادى ما قد يتوالى عليك.

نظر إليه ناثر، ويرجع عدة خطوات إلى الخلف، ومن ثم يعيد نظره إلى السيف ويلوح به يمينًا ويسارًا على طول ذراعه ثم قال:.

_ متى يمكننا أن نبدأ؟

فأجابه:.

_ حالما تعيد السيف إلى مكانه، وتمسك تلك العصا هناك.

اندهش نائر ورفع حاجبه، واتجه إلى الحصان، ووضع السيف، وأمسك العصا بكلتا يديه، ووقف أمام صاحبه الذي ظل ينظر إلى وقفته واعتدال جسده ليخبره أن يقدم قدمه اليمنى قليلاً، ويرفع صدره ثم أشار بيده إلى عينيه بعد أن أمسك العصا قائلاً:.

_ لا تغفل عينك عني.

حيث قام باستخدام العصا والتلويح بها والالتفاف والرجوع والتقدم وكأنه في قتال فعلي مما أثار إعجاب صديقه ثم توقف قائلاً:.

_ إنه جزء منك لا يفارقك أبداً وإلا فارقتك حياتك .. هيا تقدم.

انطلق نائر إليه ضارباً بعصاه هنا وهناك وصديقه واقفاً يتصدى لضرباتهِ في هدوء حتى فقد نائر تركيزه فقام بضربه بالمرفق في صدره أوقعه أرضاً وتقدم إليه وهو يقول:.

_ ضرباتك قوية ولكنها تفتقر التركيز .. لا تجعل العصا تتحكم بك تحكم أنت بها.

نهض من مكانه وحاول مرة أخرى إلى أن أصابه الإرهاق حتى أخبره شديد أنه سيكون هناك تقدم ملحوظ.

تقدم شديد إلى البيت بعد أن دخل نائراً الغرفة؛ فوجد جيلان أمامه ترمقه بنظرة من الحدة قاتلة:.

_ لماذا تفعل هذا؟

_ إن أراد العيش على تلك الأرض، فعليه أن يتعلم كل شيء وكأنه من أهلها يعلم كل ما نعلمه.

_ أتريد حقاً أن يعلم ما نعلمه أم تريد أن تؤدي بحياته هو الآخر.

تبدلت ملامحه إلى الغضب وتسارعت أنفاسه وبدأ عليه الانهيار حتى ذهب مسرعاً إلى الغرفة في الدور العلوي تاركاً جيلان خلفه، في صباح اليوم التالي خرج شديد باكراً دون أن يراه أحد وسأل صديقيه عنه، ولكنها أخبرتهم أنه خرج باكراً فتعجب نامق من هذا لأنه على غير عادته، ثم نظرا إلى جيلان قائلاً:.

_ أنه دائماً ما ينتظر الطعام حتى يلتهمه بسرعة.

ثم أردف:.

_ هل حدث شيء؟

ترد عليه دون أن تنظر له:

_ لا أعلم.

خرج نامق ونائراً إلى عمله حيث قابلوا شديد في الأرض التي يعمل بها وسأله نامق عن سبب خروجه باكراً دون أن ينتظر ليجيبه في هدوء:.

_ أن لديه كثير من العمل لينجزه اليوم.

لم يصدق نامق هذا لأن تعبير وجه صديقه تقول شيئاً آخر، ولكنه لم يعلق بشيء إلا أن نظرة شديد إلى نائر قائلاً:.

_ لا تتأخر الليلة.

أوماً رأسه إيجاباً وغادر هو الآخر إلى عمله حيث أخبر نامق صديقه أنه سيذهب اليوم إلى المدينة، و سأله شديد أن كان هناك أمر يستحق ذهابه أخبره أنه يتبع حركات صديق له حتى يتحدث معه ، ويعرف منه أخبار أسر وعلى ماذا ينوي أن يفعل أخبره أن يكون حذرًا فليس هناك مجال الخطأ، وبعدها ذهب إلى المدينة متخفياً، وظل يقرب أحد متاجر أسر إلى أن ظهر صديقه وهو يغادر المتجر تبعه إلى أن أراه خلفه حتى أخبره لا يوجد بمكان واحد إلا الأصدقاء، يلتفت الرجل خلفه في سرعة، ولكنه لا يرى شيئاً وأسرع، إلى الردهة وجدتها مغلقة بدأ يطرق على الباب ويفتح أحدهم ويدخله سريعاً حتى تملكته منه الدهشة قائلاً:.

_ ألا تخشى على نفسك ما هذا الذي فعلته؟

رد نامق:.

_ هل تبعك أحد إلى هنا؟

_ لم أنتبه.

_ لقد قصدتك لأنني أدركت تماماً إنك من سيقف بجواري ما فعلته كان يجب أن أفعله منذ سنين أنا لا أخشى على نفسي إني أخشى فقط على عائلتي.

_وهل تظن أن عائلتك في مأمن الآن إنك تهوى بهم من على جبل فيما كنت تفكر أجبنني أم إنك تظن أن هذا يسير ولا يتذكره أسر إن نسيت، أنت من تقوم بأعماله أنت من تعرف عنه جرائمه لن يتركك، أخرج زفيره في هدوء قائلاً:..

_أريد منك المساعدة وإن رفض لن ألومك.

نظر إليه الرجل ثم قال بعد لحظات:..

_ماذا تريد؟

_أريد أن أعلم كل شيء عن أسر وعما يخطط له الأيام المقبلة خاصة.

_ماذا تريد أن تفعل؟

_أريد الاطمئنان فقط سوف أبدأ حياة جديدة بعيداً عن هنا ولا أريد أن يفسدها أي شيء أريدك أن تساعدني.

_حسناً.. أسر الآن منشغل بالمجالس مع اتباع الحاكم ، ويخرج من بيته صباحاً ويأتي إلى المتجر ويذهب ويعدها إلى القصر لا يد وأنه هناك أمر معين ولكنه قد أمر رجاله بالبحث عنك حتى أنه أوقف نشاط جرائمه حتى يجدك ويتخلصون منك وأنت تعلم أنه لا يوجد ما يدانون به حتى يعاقب عليه أنه من أنصار الحاكم فلا يحجر عليه أحد.

_ أخبرتك إنني لا أريد سوى الاطمئنان أريد الرحيل فحسب.

_ حسناً بعد يومين نلتقي هنا وسوف آتيك بالأخبار.

وضعه يده اليمنى على كتفه، وشكره على ذلك المعروف، ثم غادر الرجل، وظل نامق لفترة حتى لا يلاحظ أحد شيء، وذهب من بعده وهو يسير في الطريق وقبل أن يخرجوا من المدينة لمح بطرف عينيه شخص ما، وظل ينظر له طويلاً إلى أن يختفي وعاد مسرعاً قبل غروب الشمس ونهاية اليوم حتى لا يلاحظ أحد غيابه وقابل شديد، وأخبره بما حدث رد عليه إن الكلام يدل على قلق حيال ما فعل ولكنه أخبره إلى ذلك الرجل صديق له، ولا يتخلى عنه ويثق به، و خلال يومين سوف يدرك ما يجب عليه فعله سير حل أم ماذا، وقال شديد بعد أن صمت للحظات ألم تفكر فيما قاله نائر؟

حرك نامق عينيه يميناً ويساراً حتى يتأكد أن لا يوجد أحد على مقربة منه قائلاً:.

نعم فكرت في حديث نائر، ولكن أنت تعلم أن أسر يمتلك من السيطرة والقوة في إرم ما يمتلكه أحد عائلة الحاكم، إنه خبيث وذكي أيضاً يستطيع أن يفعل أي شيء دون أن تتوجه له أصابع الاتهام، وبدر الموجود بالقرب منه وأظن أن في تلك الفترة السابقة إذا أراد أن يستولي على كل شيء في إرم لفعل ذلك ولكنه حريص، فلا يريد أن يظهر إلى العامة سواء تاجراً بسيطاً حتى تداري أعمال ويكون مختبئ في الظلام يفعل كل ما يحلو له، وهذا ما يجعله غير مرئي بأفعاله المجرمة دائماً الوجه الحسن للعائلة الكريمة الحاكمة ولا تنس بدرًا إنهم من أقرب الأقربين إلى الأسرة الحاكمة.

التفت شديد إلى الأبراج قائلاً:

_ إن هذه المدينة الأجل بين كل مدن الأرض حتى أهلها يملكون مالا يملكه أي أحد يملكون ما يكفي العالم أجمع لم أفكر يوماً أني ظلمت داخلها إلا مرة وكان هذا خطأ أم كما تقول الناس جزائي.
ثم أخرج زفيره واستطرد:.

_ إن تلك الأرض لديها كل شيء علم و زرع وعلماء لديها كتبها و منهاجها، درستها المعمارية وشوارعها المعبدة ومقاييس وحسن صورتها وأجل ما يكون لتفتن من يعيش خارجها، ولكن لا يوجد ما هو كامل وجود أسر وأمثاله هو ما يجعلنا مقيدين رغم أننا نتحرك بحريه ولكن قيوداً غير مرئية وضعت داخلنا بسبب عادات أهل إرم.
ثم نظر إلى صديقه وأردف:.

_ هل من الممكن أن نتجاهل العادات يا صديقي؟

_ نحن من صنع تلك العادات ونحن من نبتغيها، ولكن كيف ذلك أن فيها قلبي وعقلي وكل شخص من أهل إرم بالنسبة إلينا فرد من العائلة، فهمت ما أعني أليس كذلك؟ كلنا نخطئ، ولم يولد أحد وهو يختار لنفسه كيف يكون كلنا سواسية قبل أن يقدم أحدهم على المواجهة عليه أن يواجه نفسه أولاً ثم يأتي إلينا تلك هي الشجاعة إنها دائرة يا صديقي لا تتوقف، و كثير يحكم على الناس من ماضيهم، ولكن ما فائدة الماضي إذ كان لا يعود بدلاً من هذا نفكر في المستقبل علنا نصلح ما أفسدت في الماضي وإن كان داخلنا لم أقل أننا مثاليون ولا يوجد ثغرة داخل صدورنا؟ ولكن على الأقل قلوبنا ما تزال تنبض بالحب ولم يمتلكه الجشع بعد.

ثم أردف بعد أن وجد الابتسامة على وجه شديد:.

_ هذا ما يجعلنا نستحق أن نوجد على أرض إرم، الرحمة تكمن في القلب
وإن كان نقطة في بحر ميت فلا تقلل من الصغيرة في أطفال إرم يسكنون
الجبال.

ثم نظرة نامق إلى السماء وقد أتى عليهم الغروب.
يبتسم وتخرج منه ضحكة خفيفة قائلاً:.

_ تدري من المضحك.

يتبته شديد له في حده حتى أردف:.

_ أننا سنبيت الليلة في الغرفة مع نائر لقد أتى الظلام.
ابتسم شديد قائلاً:.

_ كيف لي لم أنتبه؟ هيا لنعود بسرعة إلى البيت.

وهم في الطريق قد أخبره شديد أنه سيحتاج إليه الليلة خارج البيت وعندما
سأله ماذا هناك؟ أخبره أنه يريد أن يعلم نائر بعض تعاليم القتال بالسيف،
ويحتاج إلى مساعدة من فارس مثله ليوافقه، ولكنه لا يعلم لماذا؟ فيخبره
أنه شيء غامض حتى أنه لا يعلمه.

رد نامق:.

إذن هذا ما كنت تقصده بقول الليلة يا صديقي.

_ حسنًا لا بأس سنرى ما الذي لدى هذا المبدئ؟

دخل البيت فوجدت تالا تنتظره بدل من جيلان التي لم يرها في المجلس، ولكنه وقفت أمامه وعلى ملامح وجهها القدة..

_لما تأخرت هكذا؟

نظر شديد إلى صديقه، ثم اقترب منه هامساً..

_يبدو أن زوجتك تجلس كثيراً مع السيدة احذر يا صديقي لا أريد أن أفقدك.

ثم تركه وذهب إلى غرفته ففتح الباب ودخلت جيلان قائلة..

_ألم أخبرك أن لا تتأخر؟

رد شديد في هدوء..

_أعتذر منك سيدتي لقد سرقني الوقت فحسب.

ردت عليه في هدوء بعد أن صمت قليلاً..

_أسفة على ما حدث لم أكن أعني ما قلت هيا الطعام جاهز.

خرجت وجلسوا على الطاولة، يتحدثون حيث قالت تالا أنها قد ذهبت بابنها إلى دار التعليم وسط القرية وسيبدأ في الذهاب صباحاً إلى منتصف اليوم وهذا بفضل السيدة هي من تكلفه بالأمر كله بفضل أحبائها في القرية، وقد وعدتني أنها ستتابع مدى إدراك ابني في الإفصاح بنفسها حتى أنها قد وجدته جيد، وتنبئت له ما بمستقبل زهير على هذه الأرض.

قالت جيلان:.

_ بالتأكيد إني أرى فيه شيئاً عظيماً، وأظن أن كلما تقدم عمره سيزداد ذكاؤه بشكل كبير ورغبته في التعليم والمعرفة، أتذكر عندما حدثته عما يريد أن يصبح قال لا يجب أن أسعى إلى النجاح بل أسعى إلى المعرفة والعلم عندها أحقق ما أرغب ويسعى النجاح خلفي عندها تعجبت لما قاله وسألته من أين أتيت بهذا؟

فقال العم ناثر:.

_ أخبرني أن النجاح والمعرفة التي تساعد على بناء نفسه ولا عجب في ذلك فإنني أرى ناثر ذلك المتأخر دائماً متعلق به عامر و فارس يزاد تعلقه يوماً بعد يوم.

أردفت في غرابة:.

_ إني أرى هذا فكثيراً ما يحدثني عن ناثر، وأنه من يتابع العالم الآخر وكأنه ليس له وجود بالتأكيد أخذها ذلك الطفل كلامه على محمل الجد حتى لا يتأثر ويقول إنه يتجاهلك، ولكن أعتقد أنها طريقة جيدة في الحديث وغريبة أيضاً، ولكن ما أدهشني حقاً في ذلك الشاب عندما كان نائماً وأنا أدلوي جروحه اسمعه يتحدث ولكن لا أفهم كثيراً مما يقول أعتقد أنه يتألم كأنه يحمل ذنب ما شيء من هذا القبيل ولكن لم أهتم لأنني أعلم جيداً، مهممات الحديث التي تأتي عند الخلود إلى النوم والتأثر بها.

بعد أن انتهت من حديثها نظر الجميع إلى بعضهم البعض.

في ذلك الوقت المتأخر في ساعات العمل لدى نائِر قام بإغلاق المتجر والذهاب إلى البيت، ظل يسير في شوارع القرية المضيئة التي تبرز جمالها رياح خفيفة إضافة إليها الهدوء والسكينة الجميلة وكأنه أول مرة يشعر بهذا إلا أن وجد أمامه ذلك الشخص الذي اعتدى عليها من قبل ونفس الملامح التي تملأ داخله الفضول رغم خلوها من التعابير إلى أنه أخذ جنبنا حتى يسير بدون مشاكل، ولكنه وجد رجل آخر يقف أمامه وسمع صوت يقول إلى أين أنت ذاهب؟ التفت إليه في سرعة - وما أدرك - إلى أن وجد نفسه أرضاً بعد أن أمسك بندق برقبته ورفعته عاليًا، وأطاح به.

لم يحاول نائِر النهوض فقط ينظر إليه وأنفاسه متسارعة حيث قال بندق في خبث:

- أنا لا أعتدي على الضعفاء ولكني أحببت أن أعرفك بنفسي حتى لا تخطئ مرة أخرى يا ولد عندما تكون بطيئة لا تسير مع الفرسان.

حاول نائِر النهوض ولكنه تفاجأ ضربة على كتفه قد أجلسته مكانه، ونظر بندق إلى الرجل دونه كلام حتى تراجع إلى الوراء عدة خطوات وأردف:

- عيني لا تلمحك أينما ذهبت هذا أفضل لك.

شعر نائِر بالإهانة وحاول القيام وهو يسمع:

- ألا يكفي ما نلت؟

وقف أمامه قائلاً:

- شكرًا لك.

ابتسم بندق في خبث وأردف نائر:.

_ لو إنك غير موجود ما كنت علمت مدى قوتي الحقيقية.

ثم ذهب نائر في ظل وقوف بندق الذي وجد الرجل يقترب منه قائلاً:.

_ لماذا تركته يذهب؟

_ هذا ليس عملنا أننا لا نوذي الضعفاء وإنما نحميمهم بمقابل أن نزرع الخوف في نفوسهم حتى يحتاجون لنا وإلا لن يكون هناك سلطة عليهم أدرك ما سأقوله لك يومًا ما سيأتي ذلك الرجل إلى تذكر هذا.

ظل نائر يسير في الطريق بخطوات ثابتة ينظر أمامه وعينه كادت أن تخرج دموع تحمل ألم حتى أنه حدث نفسه، وكان يظن أن هذه الأرض لا مثل لها مثالية، ولكن أنها غيرها من البلاد ليته لم يهجر وطنه إلى أن وصل إلى بيت جيلان، ووجد نامق و شديد في انتظاره اقترب منهم حتى سمع شديد يقول هيا، ثم أشار إلى نامق حتى أخذ العصا وألقى إلى نائر عصي أخرى.

اقترب نامق منه ممازجًا حتى يرى ما الذي لدى ذلك المبتدأ؟

هجم نائر عليه واندفع إليه بقوة ضاربًا أعلى و أسفل و شديد مراقب حركات و تحركات يده حتى أنه وجده ارتجف في يدي نائر وهو يضرب بقوة سمع شديد أخبره بحدسه وما عليه أن يفعله

تقدم اخفض حركة مستدير اضرب من أعلى.

وأنفاسهم عالية وأحياناً يعلو صوتهم معاً حتى قام نامق بضرب عصاه حتى وقعت أرضاً مما زاد غضب نائر فتقدم إليه، ويمد يده للمساعدة على النهوض ولكنه يبعد ويدي في غضب ناظرًا إلى الأرض أخبره شديد: .
 _ أَلَمْ أَخْبِرْكَ أَنْ لَا تَجْعَلَ الْغَضَبَ مِنْ يَتَحَكَّمُ بِكَ هَذَا مَا عَلِمْتَكَ إِيَّاهُ؟ .
 _ أَعْدُكَ إِنِّي سَأَفْعَلُ مَا بَوَسَعِي .

ثم قام واستعد ويهجم عليه صديقه مرة أخرى، ونائر يتصدق إلى ضربته وهو يسمع حديث شديد انخفض حركة دفاعية هيا اندفع كما تمرنت إلى أن وقف شديد شاردًا يراقب نامق ونائر وهم يتقاتلون لتتمركز عينه على نائر وتبدل الصورة في عينيه إلى أخته (أروى) تلك الفتاة ذات العيون الواسعة والشعر البني وقوامها الرشيق القوي وهي تلتفت وتتحرك في سهولة وتضرب بقوة وتراجع الانقضاض مرة أخرى، عيناها الثقبه تركز على هدفها فحسب حتى قطع شروده صوت صهيل الحصان رأى نامق لم يتعب بعد إلى أن أخبرهم أن يوقفا مكتفياً هذا اليوم نظر إلى نامق وأردف: .
 _ مازلت بمهارتك وأنت يا نائر لا تفقد الأمل فأنت قوي وتستطيع أن تسخر قوتك لصالحك، لا عليك فقد أخبرتك سابقاً أن القوة الحقيقية في التركيز وصفاء العقل لا في السيف ومع هذا تحتاج إلى القوة في ذراعيك أنت تحتاج إلى قوة بدنية وتحتاج إلى الصبر وتحتاج أيضاً إلى التركيز لدى عمل لك.

قام شديد بإحضار فاس وقدمه إلى نائر قائلاً: .

_ أترى هذه الشجرة هناك؟

_ نعم، أراها.

ثم إعادة النظر مرة أخرى إلى شديد وأردف:.

_ أريدك أن تقطعها قبل شروق الشمس.

نظر إليه نامق في عجب، ولكنه لم يتحدث أخذ الفأس وذهب إليها بعد أن غادر صديقه إلى الداخل، وأنصت لشديد قبل دخوله إلى البيت أراك في الصباح. وقف أمام الشجرة وأنفاسه تتصاعد شيئاً فشيئاً وأمسك الفأس وضرب بها الشجرة مراراً وتكراراً دون توقف و أنفاسه ما زالت تصعد، لقد أرهقه كلياً حتى وقف ينظر إلى الشجرة، العرق الذي بلل جبهته يتساقط ويديه ترتعش وهي ممسكة بالفأس إلا أن حرك رأسه يمين ويسار غير مصدق أنه بهذا الضعف أم أن الشجرة أقوى من احتماله وقدرته وللمرة الثانية يعلم مدى قوته يرفع الراس أمامه وجهك ونظر لها حتى مرة إصبعهم على حافة الرأس متعجباً أن الفأس ليس حاداً قائلًا:.

_ في نفسه لما قد يعطيني فأس ليس حاداً لا يقطع غصن حتى ما الذي يريده؟

هدأت أنفاسه وبدأ في استعادة تركيزه، وهو لا يتحسس رأس الفأس، ثم أنظر إلى الشجرة وقد أعلم أنه يجب عليه المقاومة لن يجد من سيساعده حتى قال في نفسه:.

_ الآن أصبحت هذه الأرض حياتي أعيش فيها ولن أسمح بتهديدها لن أسمح لشخص صور له عقله المريض أنه يستطيع أن يفعل ما يريد.

ثم إعادة النظر مرة أخرى للفأس وسمع في عقله كلمات لم يعد لنا شيء في إرم إن أسر له من السلطة ما يجعله قويًا لا يؤثر به شيء ولا يخشى أحد، ولكن إن توالى عليه الضربات قد يسقط ولكنه يعاود النهوض مرة أخرى ورد عليها بقوة دون رحمة حتى تداخلت عليها كلمات شديد في عقله إن القوة الحقيقية في العقل لا في السيف لا تجعل غضبك يسيطر عليك أنت من تسيطر عليه.

عندها أخرج زفيره مبسمًا قائلاً في نفسه:.

_ الآن أدركت لما أعطاني شديد فأسأ ليس حادًا علمت الآن ما الذي يجب عليّ فعله؟ يبدأ في كتابة أسطره على أوراق إرم، ثم نظر إلى الشجرة وأمسك الفأس بقوة وهو يقول سأضعك أرضًا هذا وعد مني ثم بدأ ضربات متتالية في أماكن مختلفة حول الشجرة، لم يرتح وزاد إصراره لفعل ذلك، وفي الصباح رأى شديد أنه قد أتم مهمته.

ثم اتجه إلى خارج الغرفة حيث حدثته جيلان عن ذلك الصوت الذي سمعته ليلاً خارج البيت صوت الضربة الصراخ، وعندما صمت للحظات قالت لعلها إحدى النوافذ قد تركت أمس مع الرياح أصدرت هذا الصوت في ذلك الوقت ، وما زال نامقًا نائمًا مع ابنه في الدور العلوي و ابنه يوقظه حتى لا يتأخر عن عمله، استيقظ وتجهزوا للنزول وتبعهم شديد الذي بدأ عليه الإرهاق وكأنه لم يقض ليلة جيدة فسألته جيلان عما به أجابها أن لا شيء.

قالت له ما خطب عينيه لم تنم جيداً الليلة أخبرها بلا ولكنه مرهق قليلاً، وبعد قليل خرج من البيت على أن يقابل نائر بعد أن خرجت خلفهم حتى تطمئن عليه لم لم يحضر الإفطار؟ فقد وقفوا هم الثلاثة ينظرون وقد بدا على نائر الكثير من الإرهاق فلم تسأل حتى أنها وضعت الطعام وعادت إلى البيت.

وقالت تالا أنها ستذهب هي الأخرى برفقة ابنها لا بيت التعليم حتى لا يتأخر أومأت رأسها إيجاباً وأخبرتها إن كنت تحتاج إلى شيء، فأعلمتها أن كل شيء جيد، وعندما ذهبت مع ابنها كان يمسك يديها في غاية السعادة لأنه عائدًا إلى الدراسة مرة أخرى حيث وصلت إلى بيت التعليم وقابلت أحد المعلمين و أخبرتهم أنها تود أن تدخل ابنها التعليم نظر المعلم إلى الطفل ليجد على ملامح وجهه ملامح السعادة وعينه تتجول في كل مكان. ابتسم قائلاً:.

ـ هيا تعال معي.

بعد أن استأذن من أمه أن تنصرف وأخبرها أن تعود في منتصف النهار ذهب المعلم إلى أحد الغرف، وأجلسه على أحد المقاعد بعد أن عرف الطلاب عليه وأنه الطالب الجديد، وبدأ المعلم في شرح الدروس وسؤال الطلاب من الحين إلى الآخر وإجابتهم المنسقة وتركيزهم الملحوظ وبعدها غادر وجلسوا في انتظار معلمهم الآخر، قام أحدهم وجلس جوار فارس قائلاً:.

ـ أهلا بك أنا أدعى سيف.

فرد عليه فارس في هدوء..

_ أهلاً أنا فارس.

تتحدث قليلاً بصوت غير مسموع إلى أن أتى المعلم الآخر، وبدأ في الشرح لا نستطيع أن نضع حدوداً لتلك الأرض هنا وفي ليلة واحدة تستطيع أن تذهب من قرية إلى أخرى أو إلى المدينة ذاتها التي تستطيع أن ترى سحرها من أي مكان في القرية حيث أنشئت الأبراج على يدي أمهر البناؤون، وقد أضاف إلى مبانيها الأعمدة الشاهقة ليراها كل أهلها من حولها وأن قريتنا والقرى الأخرى من أساس هذه الأعمدة التي قد بنيت لتبدأ، ويكون شكلها الهرمي أساسها القرى التي تحتها من كل اتجاه ورأسها هي المدينة والأعمدة الشاهقة ما تسمى الأبراج، وعندما خطط البناؤون لهذا البناء العظيم كان السبب وجود باطن إرم الذي تخزن فيه احتياجاتنا في تلك الأبراج إلى تعامد الشمس عليها مما يحفظها من التلف، وذلك شيء لم يسبق له مجد وأيضاً بناء القرى حول المدينة بأبعاد متناسبة حتى تعطى الشكل الهرمي وأغراض أخرى مما يساعد على النمو بها، ولاحظوا أن كل من البنائين كانوا يعيشون في هذه المناطق عبارة عن صحراء وأرادوا أن يعمرها، الأمر ليس فقط المنظر الجميل ولكن أيضاً يحتوي على فكرة إلهام أن أساس تلك المدينة وأبراجها هي تلك القرى البسيطة حتى أصبحت أعظم مدن هذه الحياة وأن اتصال أهلها وأيضاً وصال أعمدتها، ولذلك نجد في ألواح إرم من أهم العادات هو من أساء في علمه وعمله وتكاسل عنهم لا يستحق الوجود على أرضها وهنا يكون العماد عماد العلم والعمل قبل أن يكون عماد الأرض وبالحدث عن

الأرض تمنّ إرم علينا بثلاثة بحور حولنا ولهم منافع كثيرة حيث نستمد الغذاء والأمور الأخرى التي نستخدمها في حياتنا مصابيح الإنارة و صبغ الثياب والكثير والكثير من الأشياء المهمة الأخرى التي لا تعد، فهذه البحار الثلاثة تمثل أيضًا أبراج إرم، وهناك في الغرب طريق إرم الذي يمتد بينها وبين المدن الأخرى التي تتمتع بالثقافات التي انفتحت على إرم، والتي فيها حضارات لا يذهب إليها إلا من له الشرف أن يكتب اسمه على ألواح إرم، وأنتم أبناء هذه الأرض وعندما تبلغوا عامكم الثامن عشر سنرى من سيذهب ليكتب اسمه على ألواح إرم.

ثم نظر المعلمين إلى الطلاب قائلين:.

ـ من منكم لديه الشرف أن يكون أحد هؤلاء؟

صاح الطلاب إلا أحدهم ظل ساكنًا، نظر إليه المعلم واقترب منه قائلاً في لطف:.

ـ وأنت يا فتى.

رد عليه قائلاً:.

ـ إن ذهبنا كلنا نكتب أسمائنا على ألواح إرم فمن سيكون بداخلها حتى يحرقها يوماً ما؟ سوف أصبح فارسًا حتى أحمي تلك الأبراج والأسماء التي توجد عليها حتى أجعل أهل القرية يشعرون أنهم بأمان رغم أن إرم لم تحرمننا من شيء ولكن هناك دائمًا ذلك الشر الذي يتواجد له الخير هكذا أخبرني أبي.

ابتسم إليه المعلم بعد أن رفع رأسه في فخر قائلاً:.

_ عندها سيحفر اسمك في قلوب هؤلاء الناس وليس فقط على ألواح تقرأ.
ثم أردف بعد عودته لمكانه:.

_ دائماً هناك من غايته الذي يحارب من أجل أن يحققها هناك المزارع
والصانع والفارس كل منهم أحب ما يعمل به كل منهم لم يرغب على
العمل بشيء لهذا قد نجح وساعد في ازدهار إرم، ولكن كلا على طريقته
وعما يؤمن به.

_ غداً عندما تعودون إلى هنا أريد أن أسمع منكم ما هو رغبة كل واحد
فيكم؟ وماذا أعدّ لها؟ وكيف سيتم؟ وكيف سيساعد ذلك في استمرار تلك
الأرض كما هي؟
ثم أردف:.

_ هل يريد أحدكم قول شيء قبل المغادرة؟
رفع أحدهم يده ثم قال في شجاعة:.

_ لقد طلعت شجرة صغيرة خلف بيت التعليم.
نظر إليها المعلم قائلاً:.

_ ومن ثم.

رد عليه:.

_ قال لي أبي إن افسدت شيئاً عليك إصلاحه ولكن يجب أن يكون لديك
الشجاعة للاعتراف بهذا وإلا لم تصير أبداً من أبناء الأرض.

اقترب منه المعلم بضع خطوات مبتسمًا فخورًا ثم وضع يده على كتفه قائلاً:.

_ أبلغ تحياتي إلى أبيك لوضعه هذه القيم النبيلة في قلبك.

ثم نظر إلى الطلاب وأردف:.

_ الاعتراف بالخطأ هو أول خطوة في طريق الفلاح ولكي تكتمل يجب أن تتحلى بالشجاعة حتى يطبق عليكم الجزاء.

ثم تحرك من مكانه رجع ليكون أمام الطلاب ومضى:.

_ سوف تقوم بزرع ثمانية أشجار مقابل الشجرة التي طلعتها من مكانها وذلك قبل أن تعود إلى بيتك.

خفض رأسه ناظر إلى الأرض ليكمل المعلم:.

_ ارفع راسك ليس هناك مكان الخزي فقط الفخر حتي تصبح مثلاً يحتذى به في هذه الأرض وبين أصدقائك.

وعندما رفع الطفل رأسه أخبره أن يصاحبه ثم خرج المعلم، نظر فارس إليهم سائلاً: أ أقوى على فعل تلك الرشاقة وحده؟ أجابه سيف: أنه لا يعلم.

ومن ثم خرج الطلاب بعد أن حان موعد رحيلهم وأتى كل من يأخذ ابنه حيث وقف فارس بجوار سيف ينتظر كلا منهم من يأخذه إلى أن أتى والد سيف بالعربة ليصعد بعد أن ودع فارس وبعدها بلحظات أتت تالا لتأخذ

ابنها وهم في طريق العودة ظل يحدث أمه على كل ما حدث في ذلك اليوم، وما اخبره معلمه إلى أن وصلوا الى البيت.

في نفس الوقت جلس نامق منتظر صديقه أن يأتي بآخر الأخبار وإن كان ما زال يوجد خطر أم يغادر الأرض بأكملها إلى أن أتى الرجل، وقدم له بعض الماء ومن ثم قال ناظرًا إلى كوب الماء أمام وجهه:.

_ لا أدري لا أرى منفذ لك يا نامق إن الأمور تزداد سوء، لقد كنت أنظر له من الحين إلى آخر وأرى احمرار عينيه كأنه لهيب يحرقك فقط عندما يذكر أحدهم اسمك لا أعلم لم كل هذا لا أعتقد أنه أنت السبب لا بد وأن هناك أمرًا مهم لا بد وأن هناك شيئًا آخر.

فظهرت على نامق ملامح الحيرة، وأردف الرجل:.

_ يجب أن ترحل يا صديقي نحن لا نعلم مع من نتعامل وإن حدث وعلم أنني أساعدك لا أعلم ماذا سيفعل؟ إنه بلا رحمة.

_ إلى متى ستظل تحت راعيته....

امتلك العجب وجهه ثم أردف:.

_ لا بد وأن هناك شيئًا يجب فعله حتى نتحرر ولكني سوف أرحل ولن أعود وسأبدأ حياة جديدة خارج تلك الأرض، وهذا ما قررت منذ لحظة خروجي من تلك المدينة ولكني كنت بحاجة إلى بعض الاطمئنان ولكن....

قام الرجل من مكانه قائلاً:.

_ فلا تتأخرون في فعل هذا وإلا.....

ثم صمت قليلاً ورحل دون أن يكمل حديثه، وبعدها بدقائق حدثه: مالِك؟ حقاً سترحل؟ تترك أرضك. فأجابه ان ليس أمامه خيار آخر، لقد اقترفت ذنب و جاء الجزاء عليه فحدثه أنه لن يجد مثل تلك الأرض، ولكنه لا يستطيع أن يمنعه خاصة إنه يفعل كل هذا من أجل عائلته، وذكره إن لم يكن يستحق العيش على أرض إرم ما كان يوجد بها من الأساس ما إن هدي اتجاهه للخروج إلا أن لفت انتباه رجل واقفاً على مقربة منه، وظل شاردًا إلى ذلك الرجل الذي قد رآه، واقتربت منه لتبدو على الرجل ملامح الغضب عندما وجده يبتعد أوقف هو يقول:.

_ ألا تريد استعادة مكانتك والانتقام لابنك؟!

في نهاية اليوم دخل شديد إلى البيت ووجد جيلان جالسة تتحدث معاً تالاً، ثم سأله عن نامق أخبرها أنه سيقوم ببعض الأعمال في القرية ثم يعود قد أخبرني أن أعود لوحدي حتى لا تعاقبنا السيدة، بالتأكيد يكفي شخص واحد لا يزال يعاقب كل ليلة، و سألتها تالاً سبب هذا العقاب فأجابته: كل مساء في هذه القرية يخرج مجموعة من الرجال يتفقدون الجوار، ولكنهم لا يخلو من مضايقات من يجدونه في الليل المتأخر وخاصة إن كان غريب عن القرية، فتسألها في عجب ولمَ قد يفعل ذلك؟ وما أغراضهم من هذا؟

أخرجت جيلان زفيرها قائلة:

_ إنها جماعة لها أفكارها ونصها المقدس الذي يعبر عنها و لديهم مناصرون، وإن قلت إنهم يضايقوا من يجدونه في طريقهم فهذا لا شيء مقابل حقيقتهم الأخرى التي يعلمها الحاكم وبعض العاملين في الأبراج وغيرهم، ومع ذلك يسمحون بهذا ولا يوجد نص في ألواح إرم يحرم من يستغل خوف العامة في صالحه مالم يؤذ منهم أحد فهم من يقوم بحمايتهم في القرية وحماية بضائعهم من الوصول إلى المدينة. سألتها متعجبة ممن ردت في سخرية من أنفسهم..

_ يا عزيزتي فإن وجد من يعصى كلماتهم يصبح كهفات التراب ملقاة على الأرض رغم أنهم قد ساهموا في بناء الأرض منذ زمن بعيد، وحتى يحافظوا على ما تم يجب أن تظل رهبتهم هم موجودون في جميع أرجاء إرم منهم المتخفي في القرى لا يعلم أحد عنه شيئاً، ومنهم من في حالك قريتنا معروفون بلا شك وأنا لم أقل أنه غايته التدمير والخراب، ولكن إن غايتهم هي وضع المدينة التي عانوا في بنائها تحت أيديهم وفي كل أفكار جماعة الجيد و السيئ حيث أن الجيد منها ساعد على الاستمرار والازدهار، والسيئ هو منع من ليس لديهم الأحقية للدخول مثل هذه الجماعة فلا يتزوجون إلا من بعضهم ولا يحق لأحد دخولها إلا لا بموافقتهم وذلك بعد اختبار ولائه.

_ يبدو أنني أجهل الكثير عن إرم وعن تلك الجماعة هيا أخبرني بالمزيد. انتبه كل الحاضرين وأجلسوا ناظرين إليها مرتقبين ما ستقوله..

ـ إنهم (إرم دون) وتعني عين إرم بلغة التحفة اللغة القديمة على عكس ما تتحدث به اليوم فهي ظلت تحمل بعض معاني إرم هذه الجماعة موجودة منذ بداية الازدهار كانوا جماعة من الناس أوصوا قواعد ينهجوا منها، ومن أهمها عدم خيانة الفرد للآخر داخل الجماعة والحفاظ على إرم وأهلها، وبالتالي لا نتعجب حينما نعلم أن مالك هذه الجماعة هو السيد تيم أحد حكام الأسرة المالكة.

ارتسمت الدهشة على وجه تالا على عكس شديد الذي بدأ أنه لديه من المعلومات ما يكفي حتى أردف:.

ـ ومع ذلك أن هذا الشيء يعتبر من الأشياء التي لا تلمع داخل المدينة وليس أيضا بالحقيقة ومع ذلك تكون هذه الجماعة من القوة الأساسية لأرضها فهي من تشكل العلاقات، وهي من تحمي طريق إرم وهي المسؤولة عن العلاقات التجارية بين القرى والمدينة، ولديهم من الصفات ما يميز حديثه وأسلوبهم وحتى نوع الثياب التي يرتدونها التي يوجد عليها رمزها الخاص بجماعتهم وهو عبارة عن عين يوجد بداخلها مثلث والذي يمثل الشكل الهرمي لإرم، وبالرغم من أن أرضها مستوية إلا وأنا مجاز اختيار المثلث يشير إلى مبانيها التي تبدأ القرى المكونة من طابق واحد و طابقين ويزيد الارتفاع كلما اقترب من المدينة وتنتهي عند الأبراج لتكون تلك الأبراج هي رأس الرمح، ومع ذلك لا يستطيع أحد من أهل الأرض النظر لأعلى هذا البناء والعين تشير مجازاً أنهم يرون كل شيء، ولهذا قليل من يدخل هذه الجماعة ويكون لديه غرض في السلطة، ومن لا يستحق أن يكون واحد منها وجميعهم حريصون على بعضهم، وإن تعرض أحدهم

إلى أمر ما يلزم جميع أعضاء الجماعة محاولة إخراجها منها فأجمعهم رباط واحد رغمًا أن لا يربطهم الدم، وذلك الشيء مقدس لديهم وهذا ما ساعد في إنشاء أرواح إرم والذي يوجد في نصهم أيضًا أن لا قتل فقد زهقت أرواح الكثير وذلك بسبب المعارك داخل أرضها بين أهلها والتي أدت إلى فقدان الكثير من أهل تلك الأرض منهم من كان حريصًا على بيته منهم من كان عالمًا منهم من كان المؤرخون قبل قرون فقدنا الكثير ومن بعد الوضع هذا قامت إرم بالتغلب على كل ما حصل فيها وحتى الآن لم يجروا أحد على ارتكاب جريمة قتل واحدة فلا يوجد سبب لذلك.

ثم صمت ونظرت إلى شديد الذي أخفض برأسه أرضًا قطع هذا الصمت فارس قائلاً:.

_ اليوم قام أحد الطلاب، وقال إلى المعلم أنه قد طلع الشجرة من الحديقة وقام المعلم بعد أن شكر شجاعته أنه يجب أن يقوم بزرع ثمانية شجرات جزاء له وعندها أخبرنا أنه قانون إرم.

ابتسمت له جيلان قائلة:.

_ بلى إنه قانون إرم، فالجزء هو أقوى عقاب لشعور ذلك الشخص بما شعر به من زرع هذه الشجرة وإرهاق وأيضًا هو علاج للأفعال الممثلة، فلا يوجد ما يقابضه مقابل ما فعله، ولا يوجد تكبير قد يعيد له صحابي.

قالت تالا وعلى وجهها ملامح السرور والدهشة:.

_ كيف لك أن تعلمي كل هذا؟ كيف لك أن تنعمي بكل تلك الأخبار عن جماعة إرم دون أنا؟ بالكاد أجهل وجودهم.

صمتت للحظات، ونظرت إلى أسفل وقبل أن تتحدث أتى نامق ووجدهم مجتمعين قائلًا:.

_ أعتذر على تأخري ولكن لدي أسباب فأنا لا أريد أن أنام خارجًا تلك الليلة.

رد شديد مازحًا:.

_ ألم أخبرك سابقًا ستره ماذا ستفعله بنا سيدتي؟

قامت جيلان و تالا لتحضير الطعام من أجلهم حتى أردف:.

_ كنت أخشى ما لا طاقة لي به.

ثم نظر إلى شديد الذي ارتسمت عليه علامات الضحك وسعادة حيث استطرذ:.

_ إن لم يعد ناثر من عمله خلال القليل من الوقت ستحكم على السيد أن أبيت أنا الآخر في الخارج.

في ذلك الوقت قد أنهى ناثر حساباته اليومية للمتجر وأغلقه عائداً إلى البيت هو يسير ناظرا إلى الأبراج إلى أن سمع صوت:.

_ أتعجبك الأبراج إلى هذا الحد؟

التفت ووجد بندق على أحد جانبي الطريق، سمع مرة أخرى لابد وأنها أجمل ما رأيت، ولأنها أجمل من الداخل، ثم اقترب منه بضع خطوات ألا تريد أن تدخلها يوماً ما؟ ولكن ناثر ظل ثابتاً صامتاً، وسمع هل أنت قلق هل نشعرك بالخوف لتحتد عين ناثر:.

_وهل يجب علي ذلك؟

ابتسم في خبث ويرد عليه:.

_فما رأيك؟

حتى اقترب منه ثائر ورفع حاجبه الايمن قائلاً:.

_عليك أنت أن تشعر بذلك فإن لم أشعر به أنا لن تراه في عيني إلى أن تقدم مساعد بندق.

ولكنه أشار إليه بعدم فعل شيء، ومن ثم رحل ثائر و سمع بندق من مساعده أن عليه أن يتعلم بعض الأمور، ولكن بندق أجابه أن من ينفر من الخوف مرة لا يأتيه مرة أخرى إلى أن دخلوا إلى بيت بسيط، وانحنيا أمام تيم الحاكم الثالث لأرض إرم إلى أن أشار إلى مساعد بندق بالانصراف حتى قال:.

_منذ سنوات وأنت لا تقوم بشيء مما كلفتك به .. ماذا؟ ألم تعد تستطيع أن تدبر الأمور؟ أخبرني وسوف أعفيك من مكانك وأتي بمن يستحق؟
_سيدي تيم إنه رجل ذكي وحريص ويختار أتباعه بعنايه ولا نستطيع....
قاطع تيم قائلاً:.

_لا تخبرني أبداً أننا لا نستطيع، عندما تم اختيارك كنت تستطيع أن تفعل كل شيء، والآن ماذا أن إرم لا تقوى على كل شيء؟ وعند انضمامك إليها أصبحت حياتك ملكها وليست ملك لك. فلا تخبرني بأنك لا تستطيع.
_اعتذر منك سيدي ما قصدت قوله أني أحتاج إلى بعض الوقت.

ثم صمت لبرهة وأردف..

— إن أمرت أنهيت حياته.

ظهرت علي تيم ملامح الغضب قائلاً..

— بهذه البساطة إن كان قتله بالشيء الصحيح لكنت أنهيت حياته فور

معرفتي بما فعله بتلك المرأة ولكننا لا نملك الحق في القتل.

ثم اقترب منه، وطلب أن يذكر له قانون إرم حيث قال بندق..

— من أساء استخدام علمه فلا يحق له الوجود علي أرضها.

أمره أن يعيدها ويعيدها عندها نظر تيم إليه قائلاً..

— لذا يجب عليك مغادرة إرم.

ظهرت علي بندق علامات الرعب ويتمتم بكلمات ماذا من لا...؟

أردف تيم..

— أنت أردت إساءة استخدام علمك فقد كنت تريد إنهاء حياة أحدهم وأنت

تعلم أنه لا حق لنا وليس لنا الأفضلية عن أحد، وإنما تم اختيارنا من أبناء

إرم هم منا ونحن منهم ولكن الاختلاف أنه تم اختيارنا للحفاظ على إرم

وإن كان من انفسنا.

ثم تحرك بعض الخطوات في أرجاء الغرفة..

— إننا تحكمنا قواعد القانون منذ عقود وإن اختل أحد هذه القواعد ستسقط

بقيتها من أين تعلم أنك إذا قتلت هذا الرجل سيخرج غيره بالتأكيد؛ لأنني

ببساطة أعلم عنه كل شيء ولكن إن أثبت عليه جرائمه سيمثل أمام قضاء

إِرمَ، وعندها سيكون عبرة لغيره ليست مهمتنا أن نمحى الفاسدين فقط
وأيضًا محاولة منعهم أن يصبح وكذلك عندها سيكون لكل شخص في إِرمَ
عمل اتجاه المدينة كغيره من أبنائها الصالحين.

_ بلى سيدي أصبت الرأي.

ثم اتجهت إلى الباب الخروب وفتح الباب وهو يقول:.

_ أتمنى أن تأتني بالأخبار الجيدة.

يصعد (تيم) عربته متجهة إلى المدينة و مرة بيت جيلان وهي خارجة
تحمل الطعام، ابتسم ورفع يده تحية لها ولكنها لم تنتبه له وذلك؛ لأنها
سمعت صوت من داخل غرفة ثائر:.

_ حان الوقت لتدفع ثمن ما فعلت إنه حتفك.

الفصل الثالث

زيم

اتسعت عيناها، وبعد لحظات من القلق طرقت الباب فتحة في هدوء، وقدمت الطعام سائلة أن تجالسه قليلاً، وسرعان ما أدخلها بعد أن دأري ملامح العجب من على وجهه، خشيت أن تكون قد سمعته، جلست على مقعد ناظرة إلى نائر الجالس أمامها، وسألته عن عمله، فأخبرها أن كل شيء على ما يرام خاصة مع مالك المكان فهو رجل صالح، ويسعي لإرضائه، ولهذا يتأخر بالعمل، فتمنيت منه أن لا يكون في قلبه ضئينة من البيات في الخارج، وأنها كانت تظن أن هذا سيمنعه من التأخر حتى لا يتعرض لشيء ما.

قاطعها متحدثاً عن بندق ورجاله ظهرت عليها الدهشة حيث أضاف أنه اعترض الطريق بالفعل، وعلم كيف يتعامل مع الأمر إنه لا يشغل البال كثيراً، فهناك الأهم قامت بتحذيره إنه ليس ممن يستهان بهم، فالجميع يتجنبه ولكنه أبدى لامبالاته طالما لم يفعل شيئاً يخالف تلك الأرض، فلا يخشى أحد، ولا يحبذ أن يكون ضعيفاً فاستنكرت كلماته أن لا مكان للضعف على تلك الأرض ثم أخفضت بصرها صامتة للحظات وأعادته وقالت:..

ـ ما الذي تخطط له؟

رد نائر في هدوء بأنه يحاول أن يبنى حياة جيدة قريباً سيتقل حتى لا يطول مكوثه، يكفي ما فعلته وإنقاذ حياته أخبرته أن يكف عما يقول، ويخبرها عما يريد أن يفعل حتى يقدم حياته ثمن له، انتفض من مكانه ونظر حوله في قلق حيث مضت في حديثها أن لا يكون هناك مجال للقلق تريد فقط أن

تتأكد من سلامته، وعندما جلس سألها عما تريد أن تعرف، وضعت يدها أسفل ذقنها سائدة على قدميها ليكمل حديثه عن الانتقام من ذلك المرء وإلا سوف يزيد في ظلمه وطغيانه ويجب على أحدهم أن يضع حداً، وإنما جزاء كما تفرض عليهم تلك الأرض وعندها ذكرت ضفيرة وما فعله بها.

ظل صامتا لا تخرج منه الكلمات وأضاف أن لا يجعل غضبه يعميه قد يهلك مما يقدم عليه، وقد تقع إحدى أحكام إرم عليه، وسألته عما تعني ضفيرة له فأجابها بعد أن أخرج زفيره: إنها أقرب مما يتصوره العقل لديه، وأنه سبب معاناتها من قبل، ولن يسمح بهذا مرة أخرى، ولكن تانا حذرته من التعامل مع الأمر خاصة أن أسر ليس أمراً بسيطاً وحتما إن رآه سوف يتذكره، وهذه المرة لن تكون العواقب بسيطة. فأجابها أن القدر قد منحه فرصة أخرى لتصحيح ما فعله سابقاً لمواجهة ما قد هرب منه في الماضي، ولا يظن أن القدر يخطئ أبداً، وعندما أخبرته أنهم من يصنعون أقدارهم أنكر كلامها مستندلاً على ما قد تعلمه من قبل في حياته، وأنه مكتوب منذ لحظة ولادتنا إلى موتنا فلم تدرِ عما يتحدث، ولكنه أصر على ما يقدم عليه، سألته بعد أن أخرجت زفيرها: كيف له أن يقنع أصدقاء بمساعدته؟ حدثها أنه لن يورط أحد في أمر آخر ويكفي ما نالوه بسببه، ولكنها تنهره لعدم إدراكه ما يقول وتهوره بالمغامرة وحده، ولا يعلم شيئاً عن تلك الأمور هنا حتى كيف يدخل المدينة ويخرج منها ويسير بحرية؟ إنه فعل مجنون ولكنه أصر على أن لا يقحم أحد في هذا، وعندما هدأت للحظات سألته:.

كيف ستقوم بالأمر فأعطاها إنكار بمعرفتك.

وأردف:.

_ إن أسر يمتلك من الجشع قوة كبيرة، وإنه يحب الانجذاب إلى شيء ما، ويتطلع له عندها قد يفعل أي شيء من أجله، وعندها يتقلب السحر على الساحر يجب أن يجد شيئاً ما ليس له مثيل في إرم، شيء جديد لم تمتلكه بعد أو على الأقل تسعى إرم للحصول عليه إنه السبيل الوحيد.

عندها قامت جيلان من مكانها قائلةً.

_ إنه طعامك، وغداً نرى ماذا يمكننا أن نفعل؟

تعجب من كلامها، ولكنه لم يعلق بشيء لما كل هذا الاهتمام منها، في اليوم التالي جلسوا على الإفطار وبعد الانتهاء قامت تالا بالذهاب مع ابنتها إلى بيت التعليم ومن بعدها شديد حينها سألته جيلان:.. أن يذهب هو وسوف يوفيه نامق بعد قليل.

نظر إليها ثم ذهب إلى أن ظهرت الحيرة على نامق، وسألها إن كانت تريد شيئاً ما، فطلبت منه الجلوس أولاً حتى يتحدثوا قليلاً، وظلت تنظر له في صمت حتى سألته فور جلوسه لم يذهب إلى المدينة؟ امتلكته الدهشة وسرعان ما بدل ملامحه مستنكراً لم عساه يفعل ذلك؟ ولكنها لم تعلق بشيء حتى أنه أدرك أن لا مفر حيث أخبرها أنه ذهب إلى هناك فقط للاطمئنان، وأن لديه صديق أتى له بالأخبار، ولا يريد الاختلاط في الأمر كل ما يريده هو الذهاب بعيداً والنجاة بعائلته من هذا الأمر، ولكن الأخبار التي سمعها جعلته لا يرى أن هناك مفرًا لن تسير الأمور على ما يرام كما خططت لها، ولذلك سوف يغادر الأرض بأكملها ولن يعود لأنه ليس على

استعداد بفقدان أحد منهم وما فعله مع أسر كان لا بد أن يفعله وأنه جزاء لما فعله لسنوات، وأيضًا هو حبل النجاة من مما كان يفعله عندها أخبرته أن يهدأ، ويتمهل في الحديث ولمّا لاحظ هدوء أعصابها وتبدل ملامحها للشكل الطبيعي وابتسامتها سألتها إن كان هناك شيء ما وعلمًا. تبسم فأجابته:.

_ لاني قد علمت ماذا عليك أن تفعل؟

بعد أن غادرت تالا عائدة إلى البيت دخل ابنها بيت التعليم، وجلس في مكان وسمع صوت سيف من خلفه وأشارت أن يتحرك ويجلس جواره، قام وجلس وتحدث كل منهم الآخر، وقال سيف إن أحدهم قام بزرع الأشجار لا بد من أنه ذلك المرء، ولكنه لم أره إلى أن قطع حديثه المعلم ومعه الطفل الذي اقتلع الأشجار، وطلب من الطلاب أن يقفوا ويتقدموا بانتظام واحد تلو الآخر مصافحة (زان) ذلك الطفل الشجاع الذي اعترف بخطيئته، وهم لإصلاح ما أفسد تقدم الطلاب أحدهم يقول:.. أحسنت، والآخر يقول:.. صنيعًا ما فعلت إلى أن صافحة فارس قائلاً:..

_ إنني فخور بما فعلت أتمنى أن يكون الجميع مثلك

لفت كلام فارس انتباه المعلم الذي ابتسم وافتخر بما أطرأ به زان إلى أن جلس كل طالب في مقعده، وبدأ المعلم في الحديث:..

_ إن ما فعله زان جعلني أشعر بالفخر فيكم جميعاً، ولكن تعلمون أن أكثر الفخوريين هم اثنين قد قاموا بإنشاء هذا البيت معاً، وكان لا يغلق بابه أمام أحد كان منارة للعلم وتعريف أصول تلك الأرض، وعندما أخذتهم إرم

قام الحاكم باعتبار ذلك البيت أساس التعليم في حرث والآن هم يشاهدون ما تفعلوه داخل بيتهم، وبالتأكيد هم فخورين يا زان، وفعلتك لم تفسد بقدر إصلاحها في نفوس أصدقائك، وقد لاحظت هذا من كلماتهم إليك، وكما قلنا أمس في نهاية اليوم سوف تخبروني ما تريدوا أن تصيروا. وبعدها أخرج زفيره واستطرد:.

_أخبرتكم أن إرم توحى إلى الشكل الهرمي، ومع ذلك أرضها مستوية، وقام البنائون بعمل البنيان والبيوت من طبقات متتالية، كلما اقتربت إلى الأبراج التي تسكنها الأسرة الحاكمة حتى يكتمل الشكل الهرمي، ولكنه أيضًا يوحي بشيء آخر له معنى أقوى من مجرد شكل وهو وجود بيوت العلماء والمؤرخون حول أبراج إرم، ومن ثم الأثرياء وذلك يوحي أن مقام أحدهم يكون بعلمه وليس بثرائه، عليكم أن تحذروا من أن يفتنكم الثراء على هذه الأرض رغم أن أبنيتهما من الذهب وغيرها مما تراه الأراضي الأخرى أثنى من حياتهم.

وعندما وجد في أعين الطلاب اللاوعي قال:.

_سأروي لكم رواية قد سمعتها في صغري.

ارتسمت البسمة وطلت السعادة من أعينهم حينها مضى:.

_منذ زمن بعيد كانت توجد أرض بها الخير والثراء وجميع نعم الحياة، ولكن أهل تلك الأرض انقسموا إلى ثلاثة طوائف الأغنياء والأقوياء والضعفاء الفقراء، وبالرغم من الخير الذي يكمن في تلك الأرض إلا أن استحوذ الطائفتين الأولى والثانية عليها جعل من الطائفة الثالثة رغبة في

التودد والتقرب منهم حتي ينالوا البعض من هذا الخير، ولكنه كان على حساب نفسه أو على حساب أحد آخر وأصبحت الفتنة والقتل وجميع المعاملات الغير أخلاقية مباحة حتى إنهم نظموا رياضة حتي يخرج كل شخص الغضب الذي يكمن في داخله، وقد يتسبب في موت الآخر وهم يكتفون بالمشاهدة، وكانت تسليتهم هي هؤلاء الناس إلى أن قام ثلاثة رجال بوضع حد لذلك الأمر، وكان يملكون ما لا تملكه إحدى الفقرات وهو العلم الذي أحسن في أخلاقهم وأظهر صورتهم الحسنة وتكاتلهم من أجل إصلاح تلك الأرض، وبمرور السنوات قد خلق في عقول الكثيرين العلم والتفكير حتي قاموا بصنع عالمهم الآخر حتى يكون أحسن مما كانوا يعيشون فيه إلا أن نشبت حرب قد أزهق فيها الكثير من الدماء والتي انتهت بعد سنوات من الدمار والخراب أعطتهم الأرض فرصة أخرى، و ذلك تجمع العامة حول علمهم، وبدأوا فيها الإصلاح والزراعة وتعمير هذه الأرض مرة أخرى يبدأ عصر جديد من الحياة كل ذلك حدث بفضل العلم وتناغمه في لمس القلوب وإفصاح العقل فأصبح كل منهم يخاف على أخيه يخشى من مصيبة قد تصيب أحد من أهله وجماعته فتصيبه فيما بعد.

ومرت الكثير من السنين قرون تمر إلى أن أصبحت تلك الأرض أقوى وأعظم أراضي تلك الحياة كل ذلك يحدث من رجال أدركوا قيمة العلم، وقد بدأ بثلاثة رجال بفضل ما لديهم من علم و خلق لهم الفكر والأخلاق وحكموا وأوصوا أن تتم أمجادهم عن طريق إنجاب سلالة تحمل نفس الدم والنسب النقي ليحكموا أرض قد خلقت من دماء وتحفظ فيها الدماء و يحفظ على ألواحها التاريخ هكذا نهضت، ولكن مع ذلك فلا مكان

للخير إلا إن وجد شر لم تخلص بعد لا من لعنة الجشع ولا لعنة السلطة فلا تجعلها تنال منكم.

ثم تقدم بعض الخطوات إلى الإمام قائلًا:

_ أنتم أبناء إرم أنتم أحفاد من أهدونا طريق الفلاح، أنتم من تحملون راية إرم، أنتم الضوء الذي يشتعل في ظلام دامس لا ينتهي أبدًا أنتم ما تحملون على أكتافكم مصير هذه الأرض فيعلو صوته قليلًا..

_ من أنتم؟

صاح الطلاب في حماس..

_ نحن أبناء إرم.

_ أعيدوها من أنتم؟

_ نحن أبناء إرم نحن أبناء إرم.

وقف المعلم أمامهم رافعًا رأسه فخورًا بما صنعه وتمنى أن يظل هؤلاء الطلاب الضوء الحقيقي لتلك الأرض، ثم تراجع بعض الخطوات وجلس على أحد المقاعد وطلب من كل طالب في هذه الغرفة أن يروي له من الذي يريد أن يصبح عليه عندما يكبر؟، بدأ الطلاب في سرد أحلامهم وكيف يريدون أن تتحقق واحدة تلو الأخرى سعداء، وكأنه يحدث شيء عظيم حتى أتى زان وتحدث عن رغبته في أن يصبح طبيبًا يداوي جروح وآلام غيره، وعندما سأله المعلم..

_ وكيف أعد لذلك؟

صمت قليلاً بعد ما قال والده يريد أن يصبح شيء آخر، ولكنه أصر أن يشارك.

ظهرت عليه علامات الحزن ملاحظاً المعلم ذلك، ولكنه لم يسأل ومن بعده قام سيف أتحدث عن كونه من المؤرخين سيرسل بتاريخ إرم ويكتب إنجازات أصدقائه في كتبه، ويأمل أن يجد شيئاً لم يحدث من قبل يكتب عنه ويسجل اسمه في ألواح وإرم، وأنه يسعى إلى ذلك بالقراءة والتعرف على العلماء والكتاب فمنهم أصدقاء أبيه. وتمنى حق الحديث في ذلك، ومن ثم نظر إلى فارس الذي رفق صديقه سيف مبتسماً قائلاً:.

_ ماذا سأقول؟ لقد تحدثت صديقي سيف عن كل ما أردت التحدث عنه قد أخبرنا ما كنت أود إخباركم به.

فضحك المعلم وأخبره أن لا بد هناك شيئاً مميزاً، صمت فارس للحظات وفكر ثم قال:.

_ أود أن أكمل تعليمي وأذهب إلى المدن الأخرى حتى أنشر ما تعلمته هناك حينها سأصنع الألواح الخاصة بنا.

قام المعلم مكانه وهو يتحدث:.

_ إلى الآن تحضرون أن كل واحد فيكم لديه طموحه وكيف سيسعى إليه لكن عليكم أن تأخذوا عهداً أن تحققوا هذا إنه مصيرهم.

وبعد الانتهاء خرج كل الطلاب منهم من غادر فور حضور والديه، ومنهم من انتظر حضورهم وكان زان وفارس وصديقه يقفون حيث تحدث سيف

مع زان وأخبره أنه فخور بما فعله، ويتمنى أن يكون لديه الشجاعة يومًا ما فمازحه إن كان يريد هذا فليقتلع بعض الأشجار.

ضحك فارس الذي أكد على كلامه صديقه في فخره بما فعله وتمنى أن يكونوا أصدقاء، فأخبره أن لا أحد يعلم ما يأتي، وعندها تعجب وسأله عن كان هناك سبب يجعله يقول هذا.

صمت قليلاً إلى أن أتت إحدى العربات لتصطحبه عندها ودع أصدقاءه، وجلس في العربة حزينا، حدثه الرجل إن كان هناك أمر، فسأله عن والده، فأخبره إن لديه أمور ليفعلها وأنه من سيرافقه إلى البيت.

صمت مرة أخرى ونظر أرضاً إلى أن وصل ودخل بيته ووجد الطعام على الطاولة نظ زان أمامه، ثم أخرج زفيره واتجه إلى الغرفة، وفتح بعض الكتب ليقرأ فيها وانهمك بقراءتها حتى سمع صوت إحدى العربات بالخارج، قام ونظر من الشرفة على يرى أباه، ولكنه عاد مكانه مرة أخرى ولا يعلم لم يفعل به هذا؟ عندها تذكر والدته وضحكاتها وصوتها الذي كان يملأ البيت حياة، ولكن منذ رحيلها أصبح البيت خاوي، وكأنه قد أصابته لعنة حتى أرهقه التفكير وخلد إلى النوم، في نفس الوقت الذي دخل فارس مع والدته إلى بيت جيلان قائلاً:.

_ هل لي أن أسألك شيئاً يا جدتي؟

ابتسمت له في لطف حتي أردف:.

_ لقد قابلت أحد الطلاب في دار التعليم اليوم، وتحدثت معه، وقلت له: أتمنى أن نكون أصدقاء أخبرني أنه كذلك، ولكن لا أحد يعلم ما الذي يقصده؟

أخبرته لا بد أنه حزين تعتقد أن يتحدث معه مرة أخرى رويدًا رويدًا، وسوف يصبحون أصدقاء عندها حدثته أمه أن يذهب ويبدل ثيابه، بعد أن ذهب فارس قامت تالا برؤية جيلان تصنع شيئًا ما من الحرير وحياة، ولكنها نظرت إلى هذا النوع من النسيج وجدته غريبًا على غير المعتاد من الثياب المعروفة لديها حيث قالت:.

_ لم تخبريني يا سيدة جيلان؟ كيف تعلمني كل هذا عن إرم دون؟ أخبرتها، وهي مشغلة أن أحدهم أعلمها سابقًا، ولكنها رأت في عينيها الاستنكار تستنكر لا تصدق هذا ثم سألتها إن كان هناك شيء آخر. قالت:

_ أخبرتك ما أعرفه ولا بد أن هناك أشياء أخرى لا أعرفها. ثم نظرت لها وقالت:.

_ لماذا أنت مهتمة إلى هذا الحد؟

أخبرتها أنها تهتم بمعرفة الأشياء المجهولة عنها، ردت: أنها لم تعد تهتم فقط كانت تروي ما تعرفه، ثم أقبلت وهي تعطيها قطعة من النسيج، وتسألها: لو تستطيع أن تصنعها من أجلها إنه مجرد وشاح، أخذته منها، وبعد ساعات من العمل تم تفصيل تلك القطعة ثم نظرت تالا إليه في تعجب

من عدم رؤيتها مثل ذلك الثوب من قبل ثم أدارت وجهها إليها، وسألتها لم صنعتها؟ ردت عليها: لمن يستحقه عند بداية الغروب.

أنهى نامق و شديد عملهما وعادا إلى البيت وجلسا وحدثه عن موعد مغادرته، ولكن رده كان صادمًا حيث أخبره أنه لن يغادر، تعجب شديد من كلامه:.

_ ألم تقل وقتها؟

قاطعها حينها:.

من يغادر لم يستحق يومًا العيش فيها كما أنني سعيد، ذهب ابني إلى دار تعليم وزوجتي قد وجدت من تتحدث معها سأله إن كان يتخطط لقضاء عمره هنا، ثم نهض غاضبًا متسائلًا:.

_ ما بكم؟ ما الذي دعاكم؟

وعندها خرج وأنت جيلان، و سألت عن شديد أخبرها أنه خرج منذ قليل فسألته عما حدث؟ قال يبدو أنه يملكه الغضب قليلًا، تعجبت شديد يغضب منه: هذا مستحيل، إنهم معروفون بالفكاهة، ودلفت للخارج وجدته جالسًا على الأرض مستندًا إلى إحدى الأشجار حزينًا صامتًا، قالت له:.

_ ماذا بك أيها القوي؟

لم يرد عليها للمرة الاولى التي لا ييالي بها عندها ابتسمت، وتابع:.

_ هذا لن يتغير أبدا عندما كنت صغيراً كنت تغضب تظل صامتاً ولا تتحدث مع أحد عندما كنت تأتي إليّ كأنك آتي إلى معركة وجهك كله عبوس، ولكن ملامحك كانت أجمل من هذا.

وانتظرت منه أي ردة فعل، ولكنه متخشب الملامح وأردفت:.

_كنت تأتي وتطلب مني الفخار حتى تكسره وكلما كسرت قطعة زاد ارتياحك، وقد كلفني هذا كثيراً والآن من أين آتي لك بالخير؟ وإن أتيت به لن يجدي نفعاً أنت الآن ضخم وقوي.

صمتت للحظات ثم عرضت عليه أن يطرق بعض الحديد عندها رفع رأسه قائلاً في هدوء:.

_أعتقد ذلك.

جلس نامق وعائلته يتحدثون عن تأخير السيدة وشديد وقبل أن ينهوا حديثها، فتح شديد الباب بقوة قائلاً بصوته الغليظ:.

_أين الطعام؟

فزع نامق وزوجته أما ابنهم فتح عينيه في ذهول مبتسماً إلى أن قال نامق:.

_ما بك يا رجل لقد أفرعتنا؟

جلس ودخلت بعده جيلان ورأى شديد جالساً جوار نامق ناظراً في حدة مرحلة حيث قال:.

_أعطني الخبز من أمامك.

قام وأعطاه ما طلب وبدأ يأكل، قاطعه مرة أخرى..

_أعطني الجبن.

نظر إليه في صمت ثم أعطاه ما طلب وبدأ في الأكل، ولكن شديد يقول..
أعطني، وقاطعه نامق في تعجب..

_ماذا؟ ما الذي تفعله كل الطعام أمامك؟

_أنت تعارضني إذا أنت تريد أن تتحداني.

عندها علم نامق بما يحدث فحدث.. إن تغلب عليه سوف يفعل له ما يشاء، ثم نظر كل منهم إلى الطاولة في حدة، وبدؤوا في الأكل، وكل منهم يسرع في تناول الطعام ويضع كل ما يوجد أمامه في فمه دفعة واحدة والتعجب ظاهر علي جيلان مما ترى، ولاحظت تالا فأخبرتها أنه أمر عادي، ولا يجب عليها القلق لأنهم لن يأكلوا، ونظرت إلى ابنها، ووضعت يديها على عينه، ولكنه أنزلها حتي يرى والده وهو يخطف الطعام من أيد شديد الذي يعاند في الإمساك به، ويقومان الاثنان بدفع بعضهم البعض بالكثف، وكادت الطاولة أن تقلب إلى أن شارف الطعام على الانتهاء عندها تحدث شديد، والطعام يملأ فمه..

_سنرى من سيربح؟

رد نامق في صعوبة..

_سوف تخسر تلك المرة.

اندهشت جيلان مما يفعلون وكأنهم أطفالاً، ونظرت إلى الطاولة، ولم تجد أي طعام بها ومن ثم أمسكت طبقين قائلة:.

_تفضلاً أكملوا بهذا.

رد نامق: .ولكنه ليس متبلاً.

وضعتهم من يديها ضاحكة، وسمع شديد من تالا أنه عليها أن تجهز طعام آخر وسألها والطعام مازال داخل فمه:.

_ألم تأكلوا شيئاً؟

رد الطفل:.

_لقد أكلتم عنا جميعاً ولم يبق سوى قطعة الخبز هذه.

قام شديد بخطفها منه، ووضعها داخل فمه ونظر إلى نامق، وأخبره أنه قد خسر، ولكنه أصر على أنه من هزم، وبعد قليل شربا كل منهما الماء وجلسا لا يقوى أحدهما على الحركة، أخبرتهم جيلان أن يذهبا للخارج قليلاً، حاول كل منهما النهوض ولكنه بالشيء الصعب عندها استند كل منهما على الآخر، ونهضا سوياً وكتفهما متلاصق مع بعضهما، ولما خرج عبرت (تالا) عن سعادتها مما رآته، وقامت لإحضار طعام آخر لفارس فأخبرها أنه قد امتلأت معدته مما رآه اليوم.

استيقظ زان على صوت صهيل حصان والده وأسرع إلى الشرفة كي يراه، ثم جلس ينتظر أن يدخل عليه ويمارحه، ولكنه تأخر قليلاً حتى قال في

نفسه.: إلى هذا الحد لا يشترط؟ وما إن أنهى الجملة وجده دخل عليه قائلاً.:.

_ أرى أن الفارس زان لم يأكل.

فأخبره أنه ليس جائعاً، ومن ثم دلف إلى الغرفة و جلس جواره ناظرًا إلى الكتب المتناثرة على الفراش، فسأله لمَ لست جائعاً؟ هل هناك شيء ما؟ رد عليه أن لا أحد يستطيع فقط عندما يعلمون أنه ابن السيد بندق فارس حرث، فأعاد سؤاله عن ضيقه هذا قد أخرج الطفل زفيره قائلاً.:.

_ إن عملك يشغلك عني، ولم تعد تمازحني إني حزين يا أبي.

اقترب منها ووضع يده على كتفه وأطلععه على أنه عمله الذي إذا تكاسل عنه لن يشعر العامة بالأمان، سيدرك هذا عندما يكبر ويصبح في مكانه خفض رأسه في حزن ولا يتكلم، وطلب منه أن ينهض وأردف عندما جلسا.:.

_ أنت مثل أمك عندما كانت تريد أن تحدثني في شيء كانت تصمت وتتصنع أنها تفعل شيء ما، هيا أخبرني ماذا هناك؟

_ لا أريد أن أصبح فارسًا.

صمت للحظات منتظرًا الرد من والده، ولكنه لم يحدث ثم نظر إلى عيني والده وجدها لا تتحرك من على الطعام ثم أردف.:.

_ أريد أن أصبح طبيبًا حتي أداوي الألم، هذا الأمر له حجبًا بداخلي، أخبره أنه نفس الشيء يكون فارس حرث، ويخفف الألم عمن يشعر بالخوف

ولكن الطفل أصر على أنه ليس نفس الشيء لا يتبين له نفس الأهمية يريد أن يصنع ما يحب.

قطع حديثهم دق باب البيت قام بندق وفتح وجده مساعده وجعله ينصرف حتي يقضي الليلة مع ابنه، في نفس الوقت يسير ثائر في طريق العودة إلى البيت ناظرًا حوله منتظر من كان يظهر له كالمعتاد، ولكنه لم يجد سوى الهدوء وعندما اقترب على البيت ابتسم وأدرك أن هذه نهاية قصته معه، دخل إلى الغرفة وجلس وبدأ يفكر في ما سيفعله مع أسر.

دق باب الغرفة عدة طرقات، ففتح ووجد جيلان تحمل الطعام وتعطيه إياه و تسأله أن تدخل قليلًا، ودخلت تنظر إليه جلس أمامها ونظر لها كانت ملامح وجهه شوقًا أن تخبره إن وجدت حل أو طريقة ما، ولكنه بدأ بالتهام طعامه وهي تنظر إليه دون كلام متأملة اللحية الكثيفة الذي يتساقط من عليها قليل الطعام وخصل شعره المجعدة حتى أنها طعامه، ظل صامتًا لفترة منتظرًا أن تقول شيئًا إلا أن أخرجت زفيرها بعد الانتهاء من الطعام وأخذ الأطباق وغادرت ممتنة ليلة سعيدة.

خلد زان إلى النوم بعد أن جالس والده، وفي الصباح استيقظ ووجده حضر الطعام قام بالجلوس على المائدة إلى أن أتت العربة، وركب بها بندق وعندما وصل بيت التعليم أخبره أنه سوف يصطحبه بعد الانتهاء، وبعد قليل أتت جيلان ومعها فارس بعدما أخبرته أمه أنها من ستصطحبه هذا اليوم، ودخل كل منهما وبدأ في يومهما من جديد ودروس وتعليم، وانتهى اليوم ووقف فارس جوار زان ومعهم جيلان عندها تعجب فارس وسألها

إن كان هناك شيء، أخبرته سوف تأتي العربية لتصطحبها، ظل فارس وزان واقفين إلى أن أتت العربية:.

_هل سيدتي بخير؟

لم تعلق بشيء ولكنها قامت بالدخول و معها فارس وزان الذي لم يفهم شيئاً، ظل صامتا توقفت العربية أمام بيت بندق نزل فارس وزين، ثم فتح بندق الباب وأدخلهما وطلب من الطفلين الدخول إلى الغرفة، شعر زان أن هناك أمر ما، ولكنه لا يتحدث إلى أن قطع فارس هذا الصمت إن غرفته جميلة.

ابتسم له وشكره وعاد الصمت مرة أخرى وجد فارس عدة كتب في المكان، وتحرك إليها وسأله عن كل هذه الكتب، أخبره أن هذه الكتب الخاصة بالطب أحياناً يحب أن يقرأ ما فيها فقط ليكسر الملل ليس لديه أصدقاء تقدم إليه وجلس جواره قائلاً:.

_لماذا ليس لديك أصدقاء أنت شخص جيد وشجاع؟

_ لا يحق لنا أنه نصادق ما ليس منا.

تعجب من الكلام وسأله عما يقصده، فأخبره (إرم دون) اتسعت عين فارس قائلاً:.

_ أنت من أتباع إرم دون؟

_ بلى.

_ ولم أراك حزيناً إن هذه الجماعة يحافظون على إرم عليك أن تفخر.

_ سوف أفخر عندما أكون ما أريد وليس ما يفرض عليّ.
_ لهذا تحتفظ بكتب تريد أن تصبح طبيباً وأذكر أنك قلت لنا أن ولدك لا
يوافق على هذا.
_ إن هذا سر بيننا يا فارس.
نظر له في سعادة:.
_ هذا عهد بين الأصدقاء.
_ بالتأكيد.

دخل بندق الغرفة، وقال إن جيلان تنتظره في الخارج، ودع فارس صديقه
وذهباً إلى البيت في مساء ذلك اليوم، عندما حضر نائر كعاداته متأخراً ذهبت
إليه جيلان ومعها أدوات حلقة، وطرقت على الباب دخلت ونظر إليها
بعجب وبدون مقدمات:.
_ هل انت مستعد؟

ظهرت على ملامحه علامات الاستفهام، وضعه في الثياب وما معها فسألها
عما تقصد، أخبرته أنه تاجر من أرض (تمارة) المدينة الشهيرة بصنع
الحرير ذات الخيوط اللامعة أتى ليعرض على الحاكم مقايضة يعطيه حرير
مقابل بعض مما يحتاجه من حقول إرم، ثم أشارت له بالجلوس وأمسكت
أدوات الحلقة، وبدا على ملامح نائر الدهشة مما سمع.

_ الآن إن كنت تريد أن تحقق ما تريد إن ترد حقا قد اغتصب فسترى طريقة
ما بعد أن أدخلك إلى قصر الحاكم وليس لي شأن في هذا.

الصمت مسيطر على عقله وكان له لا يسمع شيئاً..

_ هل هي بدايته؟

وبعد ساعتين ارتدى الثياب، وظهرت الابتسامة على وجه جيلان وسألها:

_ هل هناك خطب ما؟

أنت أصبحت السيد (زارا) نظر إلى نفسه ثم وجد جيلان تنظر له في شرود، وتأملها مرة أخرى إن كان هناك شيء ما، أفاقت من غفلتها في صمت، وتمتت بكلمات غير مفهومة ثم قالت:.

_ ماذا ستفعل إذا قابلت أسر؟

قال لها في هدوء:.

_ لا يستطيع التعرف عليه بعد أن اختلف المظهر وأصبح غريباً ذلك المظهر ليس لدي لحية ولا شارب مع ذلك الشنب الخفيف، ولكنها قالت:.

_ وصوتك سيتعرف عليه بالتأكيد.

قد بدلت ملامح نائر إلى الحيرة حتى واصلت:.

_ حاول أن لا تتحدث كثيراً فقط جملتان حتى لا تقع في مشكلة ما وفي الصباح ستذهب إلى قصر الحاكم.

ثم خرجت وبدل نائر ثيابه وارتمى على الفراش، ظهر ونظر إلى هذا المصباح المعلق على الحائط وكأنه يتأمل، وظل يفكر إلى أن خلد في سباته العميق.

ذهب أسر، وقابل بدر عندما أرسل إليه من أجل إخباره أن هناك أحدهم من الأراضي الأخرى مناشد الحاكم، وعندما وقفوا أشار بيديه إلى رجل، ذلك الرجل هناك، نظرة أسر إليه ثم إعادة النظر مرة أخرى إلى بدر الذي تابع حديثه أنه يعرض شيئاً ما مختلف من حيث طبيعته معتقداً أن الحاكم سيرحب بالفكرة أراد منه أسر أن يمنع دخوله للحكام اليوم، وعندما سألته عن السبب نظر و أردف لابد أن يتعامل كثيراً مع هذا الرجل بالتأكيد سيكونون أصدقاء.

قال بدر في سخرية:.

_ وإن لم أفعل ذلك الرجل هناك يمنعه من الدخول إلى الحاكم الآن وأعتقد أنه عليه أن يأتي في يوم آخر.

تحولت عيناه إلى الحدة مستنكراً من هذا الذي يمنعه لم يره في القصر من قبل وقبل أن يكمل كلامه استدعى أحد حراس القصر بدر، وأخبره أن يذهب إلى الوادي إلى أن خرج ذلك الرجل وأتبعه أسر إلى الخارج حيث وجده واقفاً يتقدم إليه قائلاً:.

_ أرى غريباً على أرض أرم.

طرقات على الباب فتح شيخان، ودخل الطبيب سأل عما حدث، أخبره:.. لقد حدث أمر ما وقد استنجد بالسيد كبير فلديه من المعرفة الكثير حدثه الطبيب يوجد بها بعض الكدمات على وجهها، ولكنها صحيحة الجسد ولكن لا تقوى على الحركة كثيراً لابد من الحصول لها على الأعشاب من أجل أن تستعيد قوتها، ولكنه يظن أن هناك مشكلة أخرى سألته شيخان عن

المشكلة، رد عليه: . أنها ترفض الكلام ويخشى أن تظل صامتة لفترة طويلة فيوتر عليها، ولا يعلم مثل تلك الحالة لم تمر عليه من قبل، و كما قال السيد كبير: . إنها تحتاج إلى الطاقة لا أستطيع مساعدتك يا سيد شيحان، ثم اتجه إلى الباب وقبل أن يخرج قال: .

_ أين كان ما حدث عليك إصلاحه؟

طرقات على الباب أيقظت نائرا، فزع جاهلاً ما يحدث فتح الباب، وأنصت إلى جيلان أن يرتدي ثيابه، ومن ثم خرج من الغرفة وذكرته بما عليه أن يفعل ويجب عليه أن يظل هادئاً مهما يحدث، إن الهدوء عامل مهماً في نجاح ما يسعى إليه، صعد إلى العربة التي يوجد بها بندق، اندهش ولكنه لم يعلق وتحركت العربة متجهة إلى المدينة حيث أخبره أنه سوف يدخل القصر لوقت قليل جداً وبعدها عليك الخروج، وبعد مرور ساعات وصل إلى قصر الحاكم ودخل وهو يسير بخطوات ثابتة وعيناه تجوب بكل مكان باحثاً عن أسر وكان قلبه يخفق يخشى أن لا يجده وفي ظل قفل مكان إلى الماء حتى يعده شخصية يقفل جوالي بعضهم البعض في ظل مرور الوقت أتى بندق وأخبره أن يخرج من القصر، تردد نائرا ولكنه خرج ووقف للحظات إلى أن سمع صوت من خلفه أرى غريباً على أرض إرم، نظر إليه دون أن يبدي أي تعبير، إنه هو على وجهه ابتسامته السخيفة ولكنه استعاد تركيزه قائلاً: .

_ مرحباً.

وعندها سأله أسر عن سبب قدومه فلم يرد عليها فقط، ظل ينظر له حينها قال له:.

_ هل أتشرف بمعرفتك؟

_ زارا.

_ من الجيد أن أرى السيدة تماره هنا في إرم.

شكره وانتظر أن يلقي أسر خيوطه حتى يعلق بها حيث سأله عن حاله وأجابه إنه أحد مساعدي الحاكم، وعرض عليه المساعدة، ولكنه أخبره أنه سيغادر، عندها أسرع أسر وسأله عما كان يريده من الحاكم فأجابه أنه ينتظر وهو ليس من عشاق الانتظار إلى أن سمع صوت بعد أن أدار وجهه عنه، وسمع رجل كريم مثلك ينتظر بينما يستطيع أن يقدم له المساعدة أن إرم مدينة جميلة، ولكن ينقصها بعض التميز لو أدركت شيء قد يميز هذه المدينة، قدم كل ما يملك من أجله، إنه يعشق هذه الارض ولا ينظر لها إلا نظرة الكمال.....

قطع حديثه نظره إليه قائلاً. كان هناك....، ولكن الحاكم أضاعها، ابتسم له أسر ابتسامة خفيفة بها كل الخبث.

_ ولكني لست الحاكم فما قولك؟

عندها أدرك ثائر أنه قد أراده أن يوقع به، و أدرك أنها الفرصة الأخيرة عندها قال في المساء يلتقي به ويحضر ما يقاوض به عند البقعة السوداء مقابل الحرير الخاص بتماره، فسأله أسر عن رأيك في القطع الحديدية وسوف يدلّه على أصدقاء لي يوفرون حاجته.

_ إِذَا إنها صفقة سأنتظر ولن أغادر حتى يأتي الحرير، ولكن من عاداتنا الغريب يضمن حقه بما لديه.

_ فليكن ذلك.

ثم أنت إحدى العربات لتصطحبه، وعندما دخل وجد بندق بداخلها واتجه إلى إحدى البيوت، وقال له بندق سيبتظرون هنا حتى الغروب وبعدها يغادرون، قال لثائر في ثقته أنه لن يغادر، عندها غضب من كلامه وأخبره أن الأمر انتهى، ولكن ثائر حدثه أنه سوف يلاقيه عند البقعة السوداء، وعندما أخذ تلك القطع الحديدية، سأعطيها له ليعيدها إلى السيد شيحان، ولما هدأت ملامح بندق أتى صوت من خارج العربة يطلبه خرج من العربة قائلاً:.

_ لا تتحرك سوف أعود لك ما أنت إلا متهور.

وعند الغروب قال أحد مساعدي أسر: كيف أن يعطي كل تلك القطع الحديدية؟ ولم يرسل في طلب الحرير بعد، رد عليه يجب مجاراته غير أنه لا يستطيع الخروج من إرم بتلك البساطة لأن تلك القطع لا يوجد لها قيمة خارج تلك الأرض، وإن حاول سيتم منعه واتهامه بالسرقة، وأنه سوف يضعه أمام عينيه ويراقبه منذ عقد الصفقة إلى رحيله، ثم دلف إلى الخارج و حمل مساعده الصندوق ذاهباً إلى المكان المنشود وفي طريقه لم يجد أحد من عين إرم بالمكان رغم وجودهم المستمر في شوارع المدينة، وقد انتابه الشعور بالقلق فلا يرى أحد في تلك البقعة عادة يتواجد بها العامة إلى إن أنت تلك العربة ينزل منها؛ لبيتسم له قائلاً:.

_ أهلا سيد زارا.

رد عليه:

_ هل لدينا اتفاق؟

وعندها صمت أسر قليلاً في تلك اللحظة بدأ قلب نائر ويخفق يخشى أنه قد تم كشفه وفشل ما يسعى إليه، ولكنه ثبت ملامحه التي كانت تعبر عن اللامبالاة هو يرى أسر يراقب تعابير وجهه حتى قال:.

_ إني سوف أعطيتك القطع الحديدية وأنت لم تعطيني شيئاً، فما رأيك؟
اقترب منه عدة خطوات وهو يقول:.

_ أظن أن القطع الحديدية أهم عندك من إرم التي تمثل لك كل شيء.
_ لا يا سيد زارا ولكني أريد فقط أن أطمئن.

التفت للعودة إلى العربة وهو يقول أنه لا أحب الانتظار هل لديهم اتفاق أم لا؟، عندها أسرع أسر وأخبره أنه ينتظر وأعطاه القطع الجديدة، ابتسم ابتسامة خفيفة قبل التفت إليه مرة أخرى قائلاً:.

_ إذن هل تضعه في العربة.

فقد إشارة إلى مساعدة أن يأخذ الصندوق ويضعه ثم مضى:.

_ غداً صباحاً نلتقي لتعرفني على إرم أسعدني التعامل معك.

التفت مرة أخرى إلى الخلف عائداً إلى العربة، وعندما صعد سمع أسر يقول:.

_ أَيْنَ سَتَذْهَبُ يَا سَيِّدَ زَارَا؟

أريدُ أنْ أرتاحَ فقد أتممتُ ما أريدُ.

انطلق (ون) خلفه مساعد أسر ليقابل حراس مدينة إرم، وقفوا بينه وبين طريقه عندما أخبرهم أنه أحد أتباع أسر تركوه يذهب، وكانت هذه المرة الأولى التي يعترض أحدهم طريقة محاولة العثور على العربية، ولكن لا يوجد لها أثر، توقفت العربية داخل الغرفة ذاتها، وخرج منها ثائر ونزل وبدا على بندق الغضب، لقد أخبره أن لا تتحدث كثيرًا كان من الممكن أن يكشف أمره، ولكن لم يعيره انتباهه ونظر إليه قائلاً: إنها تلك القطع التي طلبت منه، وحن الوقت ليفعل الصواب، والآن عليه العودة إلى (حرت)، ويتنظر حتى يرى نتيجة لما فعلت وتمنى رؤية ملامح أسر عندما يعلم ما حدث فيه:.

_ أعتقد إنك تقدم على شيء لم أر له مثيل في إرم.

ابتسم وأخبره أنها المرة الأخيرة التي سوف يراه فيها بتلك الثياب، ثم ارتداء ثيابه الأخرى، وقد حدث نفسه أنه قد فعل ما عليه، ولكن يجب أن يبدأ من جديد حياة أخرى طالما كانت حياته ورقة تطوى وترمى ويبدأ من جديد، ولكن سخريه بندق منه قد أثارت قليلاً، عندما أخبره أن عليه أن يترك إرم كلها، ولكن ثقة ثائر بما فعله منذ أن اتخذ قرار بما فعله كان وجب أن يترك إرم، ولكنه أخبره أن لا يوجد وقت كافٍ. هيا.

بعد أن نزل أحدهم من على حصانه شاهر سيفه وهو يقترب من شيحان وهو متجمد لا يسعه فعل شيء سوى النظر أنهم عين إرم إلى أن أمر بالانصراف من المكان لا شأن لهم بهذا. ولقد أتو إلى شيحان، وفي دقائق غادر الجميع إلا كبير واقف ينظر اقترب منه أحد رجال قائلًا: اذهب. ليس لك شأن بالأمر ليمنه بندق قائلًا: اتركه إنه السيد كبير، ثم لفت نظرها إلى شيحان، وأردف اليوم نرد إليك حقك، ثم أتى بالصندوق من على حصانه وقام بفتحه و الذي يحتوي على القطع الحديدية قائلًا:

_ هذه ثورتك التي سلبت منك منذ أعوام نردها إليك الآن.

نظرة إليها تبدلت ملامحه قائلًا:

_ لكنني لم أشك إليكم لتعيدوا إلي ما سلب مني.

رد بندق:

_ من أخبارك أننا من أعدناها إنه نائر ذلك الشاب الذي أرسلته إلى المدينة.

وسأله عن مكانه، رد لا يعلم، ولكنه أوصى بذلك، وهذه رسالة إلى السيد كبير، قاطعه قائلًا: رسالة لي، ومن ثم أخذها وهم أن يفتحها ليقرأ في بدايتها:

_ أنت لم تترك يدي أخيك.

أغلق الرسالة بسرعة وبدا على وجهه الدهشة، ولكنه صامت لا يعلم ماذا يقول إلى أن انصرف بندق، ومن معه عائدين إلى المدينة وتاركين أهل بيان

في حيرة من أمرهم، وضعت ضفيرة يدها علي قلبها لا تدري ما الذي يحدث وشيخان وصديقه الذي عم عليهم الصمت؟

إنه الصمت ضربت على الطاولة بإصبع واحد في ثبات، بعد مرور يومين ولم يعثر (زارا) ومن حوله الرجال في تلك الغرفة قائلاً:..

_ هذه ثاني مرة تفشلونا فيها لم تعد تصلحون لشيء إن إهمالكم وامتلاء بطونكم قد كسلكم عن عملكم.

رد أحد مساعده يا سيد أسر أن..... وقبل أن يكمل كلامه قام أسر بالتهوض بقوة وأمسكه من رقبته، قربه منه قائلاً في هدوء:..

_ لا تقول إنك ستبرر لي ما حدث أنا لا أريد أعذار لقد فشلت للمرة الثانية، ثم قام بوضع رأسه على الطاولة أسفل يده التي تضغط بقوة عليها مقترباً من أذنه حيث أردف:..

_ عندما تفشل الأحصنة عن أداء مهامها يجب على صاحبها التخلص منها، ولا يبقى لها أثر، أعتقد أنك الآن مثل هذه الأحصنة.

قام الرجل بالتوسل إليه وأنه سيعثر عليه و أن يعطي فرصة أخيرة ابتعد أسر عنه، ورفع الرجل رأسه من على الطاولة واقفاً أمامه أسر، لطمه أسر في وجهه عدة مرات بسيطة قائلاً:..

_ أعلم إنك ستفعل.

ثم أناه رجلاً يبلغه أن بدر يريده في قصر الحاكم خرج أسر ثم إلى القصر، ودخل غرفته وهو يراه جالساً على مكتبه ينتظر وصوله إلى أن دخل قام

بسؤاله في سرعة عما فعلت مع ذلك الرجل، جلس وأخبره أن لم يحدث شيئاً.

رد بدر بعد أن اخرج زفيره في هدوء:.

_ أحسنت صنعاً، تعجب أسر من كلامه وبدأ على ملامح الحيرة سائلاً عما يحدث حدثه أن لا يعلم شيئاً عن ذلك الرجل لا يعرف من يكون؟ وكيف دخل إلى القصر؟.

بدأت عين أسر في الانساع هو يترقب انتهاء بدر من كلامه ومضى أن السيد زارا هناك في الخارج جالساً مع الحاكم، إنه يتفق معه الآن على صفقة المقايضة شيء ما من قرية تماره إلى إرم، ظل بدر يتحدث كانت ملامح أسر تتحول إلى الغضب، وازدادت حدة عينه وتصاعدت أنفاسه، ولاحظ بدر هذا فتوقف عن الكلام وسأله عما به إن كان هناك خطب، أشار إليه أن يكمل كلامه حتى أردف بدر من الجيد، إنه لم يتواصل معه لعقد الصفقة، أخبره أسر في هدوء دون أن تتغير ملامحي أنه يريد أن يراه، ولكن بدر سأله عما يخصه معتقداً أنه قد عقد الصفقة الآن مع الحاكم، ولكن أسر عاد كلامه في هدوء مصراً على رؤيته، وافقه بدر وهو لا يفهم سبب هذا عندها طلب منه التقدم معه حيث ذهب إلى ساحة القصر، وجلس قليلاً منتظراً الانتهاء من جلسته مع الحاكم، وبعد مرور الوقت أتى خبر إلى بدر أنه قد خرج وهو الآن في وادي القصر، قام أسر واتجه إلى هناك في سرعة، ولم ينتظر بدر الذي نظر إليه في دهشة - وصل إلى الوادي - يترقب يمين ويسار لا يعلم عن ماذا يبحث؟ حتى بدر من خلفه وقال:.

ماذا هناك يا أسر؟ ماذا ده اكيد؟ لماذا لست على طبيعتك؟.

_أين هو؟ وعينه تترقب كل مكان في سرعة، وجد رجل وزوجته ذا لحية كثيفة وبشباب غريبة لا تشبه ما قد رآه من قبل عندها قد أخبره بدر أنه الرجل من أرض تماره، تداخلت الكلمات المصاحبة للضيق في عقله، وخرج أسر من وادي القصر الذهاب إلى متجره، ثم أخرج عمال المتجر وأمرهم أن يغلقوا عليه باب المتجر يفتحونه قبل الغروب، وعندما أغلق المتجر وقف العمال خارجًا، سمعوا من داخل صوت تكسير أو ضربات قوية، ولكن العمال لم ينتظروا خوفًا من إدراك أسر وجودهم، انصرفوا تاركين أسر الذي وقف أمام إحدى الأواني العاكسة للصورة الموجودة في المتجر. وقف صامتًا يتأمل حاله ويقول في نفسه:.

_من أنت كيف فعلت هذا من يجرؤ على أن يفعل هذا بي؟ صمت لبرهة ثم تحدث مرة أخرى:.

_من أنت؟

وجد صورته المنعكسة تحدثه قائلة:.

_هذا هو الحال عندما تمت خيانتك من قبل ذلك الأحمق، كيف فعل هذا؟ وهو يعلم مصيره وفعل ما فعل، ولهذا لن تقوى عليه بعد إن خانك من أجل صديقه ألا تعرف من أين جاء؟

ثم صمت للحظات ليستوعب ما يحدث حينها أنصت لصورته مرة أخرى.

لقد استغرقت الكثير من الوقت حتى تعرف من يكون، يبدو أن أحدهم قد تفوق عليك هذه المرة.

ظل يردد:.

_ كيف؟

إلى أن حدثته صورته مرة أخرى.

_ أما زلت لا تدرك هذا، تقبل ما حدث هذه المرة.

_ لا أحد يفعل هذا، وأفلت من يدي.

_ أرني ما لديك.

أبعد نظره عن صورته المنعكسة قائلاً:.

_ إنه أنت يا ناثر لم أكن أعلم أنك تستطيع أن تتحداني، ولكن صدقني لم تحسن التصرف كثيرًا.

وقبل الغروب فتح باب المتجر دخل العمال، وقد وجد كل شيء تلف تقريبًا وخرج أسر، وذهب إلى بيته، ويدخل غرفته في هدوء على غير عادته، وأغلق عليه الباب، وجلس لوقت طويل إلى أن تدرك زوجته (تينا) غيابه ذهبت إليه، وطرقت الباب وسمعت صوت بعد لحظات يأذن لها بالدخول، دخلت (تينا)، فوجدته هادئ لا يبدو عليه أي شيء فقط صامتًا اتجهت إليه متبسمة

_ لم تجلس وحدك؟

_ لا شيء.

اقتربت منه زوجته سائلةً:.

_ حزين بسبب ما حدث في المتجر .

فأخبرته أن لا يجب عليه القلق كل شيء سيكون على ما يرام، فلديهم ما يكفي لإصلاحه وإعادةه كما كان، فهي لا تحب أن تراه هكذا قام من مكانه، واقترب عدة خطوات منها، ووقف أمامها مباشرة قائلاً:.

_ أنا لم أخبرك كم أنت جميلة!

ابتسمت له قائلةً:.

_ دعني أرى.

ارتسمت على ملامحها النشوة بعد أن أخبرته في لطف أنها تظل كثيرًا من الأوقات تسأل إن كان شيء ما يخلو في يومها لهذا لم تشعر بتلك الأيام، ثم قام بوضع يده على رأسها وتحسس خصلات شعرها مغازلًا لها، لقد حصل على كل ما يريده لقد وهبت إليه إرم كل شيء، فلا يوجد شيء قيم مثلها وخصلات شعرها إنها من نبع الحياة ووجهها الذي ظهر عليه ملامح إرم وأرضها، عندما يتبلل ذلك الوجه من العراق وهي في الحديقة تقوم بزرع الزهور التي يحبها يراها أكثر جمالًا عندما تلمع تحت أشعة إرم، وقام بضمها إلى صدره وتميل (تينا) رأسها وكأنها تريد أن تسمعه ضربات قلبه والإحساس بنغمها ثم أردف:.

_ عندما رأيتك أدركت إن سبب وجودي على أرض إرم هو أنت، و أصبحت كل شيء كم كانت تمر علي الأيام! ولا أدري ما بها، وأريدك

أنت من تدفعين عني شرها أنتِ سند لي في الشدائد صامدة مهما كانت
الرياح التي تعصف.

ظلت (تينا) تميل مع الكلام على صدره في مرونة، وأفادت على صوت
ابنها الذي نادى عليها، ابتعدت ورأت الدموع المتجمدة في عين زوجها
تمحيها بيديها مقبلة جبهته، ومن ثم خرجت في ظل تأمله لها، وبعد أن خلد
ابنها إلى النوم، عادت إلى غرفتها ووجدته واقفاً ناظرًا إلى الخارج اتجهت
له وضمته، وشعرت بالدفء عندما التصقت به ويديها ممسكة بكتفه
الأمامي، ثم يتلفت إليها قائلاً:.

_دعي أنفاسك تمتزج بأنفاسي حتى استشوق عطر جسدك وإن مال الهوى
دعيه ينحرف اتركي الوعي اهجره وسلمي لي قلبك حتى أغزو عقلك
واجعل مساره ينعطف ويميل لي كما هي حال روحك فاقتربي مني كالقمر
بين ذراعي السماء حتى تشهد النجوم علينا ونجعل تلك الليلة أكثر جمالاً.

مرت الليلة أجمل ما تكون بين العاشقين فلا قيود تكبلهم ولا نار شوق
تحرق قلبهم، وفي صباح اليوم التالي ذهب إلى متجره ووجد أحد مساعديه
يانتظره حيث أخبره بعد جلوسه أنه قد رأى أحدهم في شوارع المدينة،
وكانت هناك عربة تسير وجد بها سيدة وابنها وقد سقط من العربة هم إليهم
رجل ملثم وعندما ساعدها انكشف وشاحه وراه أحد أتباعنا داخلاً إلى
إحدى الأماكن، وأتى لإخباري، وذهب إلى هناك لكنه لم يجد أحد إلا
صاحب المكان، وسأله إن كان هناك أحد أخبره أن أحدهم قد أتى وغادر
ولكنه لمس في هذا الرجل الكذب، و لم يستطع أن يفعل معه شي تركه،

وانتظر في الخارج لابد وأنه قد أخفى شيئاً ما، ولكن لم يحدث شيء اتجه إلى الباب، ووجد إحدى العربات على جانبه ولما تفحصها وجد تلك العشبة، وقد مد يديه إليه، أخذها أسر قائلاً: أحسنت عملاً ثم أقبل الرجل أنه قد أرسل بعض الرجال لمقايضة بعض الحقول الزراعية في حرث، وبعد انتهاء حديثه أشارت له بالخروج عندها قال في نفسه إنها نهايتك.

تحدث نامق مع صديقه في غضب

_ إنها نهايتك. لماذا تركت العرب في شوارع المدينة؟ كيف لك أن تفعل هذا سينكشف أمرنا؟

رد شديد في عصبية كيف هذا لا يوجد لها شيء يميزه؟ ولكنه حدثه ما كان عليه ذلك قامت جيلان بالصراخ عليهم حتي يصمتوا ثم واصلت أن ما حدث قد حدث ولا تظن أن هذا قد يعرضهم لشيء، لقد ترك العرب ولا يوجد شيء معها، أخبرها شديد أن هذا ليس لك شأن له به، يجب أن يغادروا من هذا البيت، سألتها في استنكار إلى أين سيذهب من الأفضل أن يصمت قليلاً.

أكد نامق علي حديث صديقه لا يجب أن يعرضوها للخطر، أشارت له أن يصمت هو الآخر، ثم أردفت يجب أن لا يشعر أحد بشيء خاصة زوجته، أما نائر فقد فعل ما عليه فعله ولن يقبل أحد منهم أن يحدث له شيء، لقد ساعدوه كما ساعدهم من قبل، ومهما حدث سيكونون صامدين جواره وإنهم سيظلون بعض الأيام في البيت ونائر أيضا سوف تكلفه ببعض الأعمال والإصلاحات في البيت حتي يبقى ولا يخرج، ومن ثم ظهر عليها

بعض الشحوب فسألها نامق عما بها أجابته أنه لا يوجد شيء فقط بعض الإرهاق وسألها أن يحضر لها شيئاً، ردت عليه: لا داعي لذلك فقط تحتاج للراحة.

ذهبت إلى غرفتها وارتمت عليه في هدوء وفي صباح اليوم التالي استيقظ نائم وقام من على الفراش عندما طرق عليه الباب من قبل صديقيه و دخلوا جالسين معه وحديثه نامق أنه لم يره في مثل تلك الحالة من قبل حتى إنه لا يجلس معهم، ابتسم له نائم ثم سأله شديد عما به إن كان أحدهم يرهق تفكيره، ضحك نائم في لطفٍ قائلاً:

لقد عشقت وأتى الهوى بالنعيم.

وعندما سأله شديد عنها أخبره منذ زمن بعيد ظهرت علامات الاستفهام على وجههم إلى أن أتى منتصف اليوم وقاموا بالدخول إلى البيت والجلوس مع بعضهم البعض والحديث والمزاح حتى أتى الغروب، سمعوا في الخارج صوت صهيل فتح نامق الباب ووجد رجال قادمين نحوه أسرع إليهم، وقام بمسك رقبة أحدهم ويرميه أرضاً وانحنى وضرب بقدمه في حركة دائرية وويليه نائم الذي ارتمى على اثنين بجسده وقف ممسكاً برقبة أحدهم حتى فقد الوعي، حينها أخرج شديد زفيره بعد أن هجم عليه بقية الرجال، ضرب أحدهم في وجهه فوق أرضاً ثم سحب قدمه وألقى به علي آخر وأمسك أحدهم وضربه برأسه بين عينيه، ورفع عاليًا وألقاه أرضاً ثم ضرب بقدمه رأسه وأبعده عن طريقه، وأتى من الخلف أحدهم وأمسكه والآخر اندفع نحوه، رفع قدمه وركله ثم أمسك برأس من

خلفه وسحبه أمامه وأوقعه أرضاً ونزل بقدمه على صدره، ونظر فوجد الجميع قد وقع أرضاً حتى أتى بندق ورجاله، وأمرهم أن يتعدوا من تلك القرية وعندها أخذتهم جيلان إلى بيتها القديم وطوال الطريق كان كل من القلق والرعب ظاهرين على تالا وكانت تخشى أن يدرك ابنها شيئاً من هذا.

في ليل سما بيان خرج أحد الصيادين إلى الصيد، واتجه إلى الشاطئ، ولكنه لاحظ إضاءة في البيت القديم بالقرية إنه بيت جيلان الذي وصلت منذ قليل ومن معها بعد أن غادروا حرث، وبدأت في وضع أغراضها ثم نظرت إلى كل مكان قد هجرته و الآن الصورة تتضح في عينها وهي تحدث نفسها تروي ما قد حدث معها وتقوم بإعادة ذكريات قد مضت.

انتهيت من الماء وعدت إلى البيت في ظل شرود وألم أشعر به في جسدي ما الذي حدث هناك لا أعلم، وضعت الماء في ذلك المكان. ثم أشارت بيدها اتجاه أحد أركان الغرفة وأردف:.

_ ارتيمت على فراشي وكلماته لا تفارق عقلي هل ارتكبت خطأ في نظرتي إليه أم أني مثل باقي أهل بيان؟ اهتممت بما رأيته أمامي لم يأت في مخيلتي أن ألوم نفسي على شيء، لم يكن خطأ أن ظننته على عكس ما يكون قد ضللت طوال هذه الليلة أفكر فيما حدث، ولا أنكر أنه امتلك القليل من تفكيري حتى انقضت الليلة، وأتى الصباح لأذهب إلى أبي، أخذت بعض الأشياء من البيت واتجهت إلى المتجر جلست أنسج بعض الشباك وأنا أنظر خارجنا من الحين إلى الآخر، أنظر قدومه حتى أراه، ولكنني لا أعلم

كيف سأعذر له عما حدث سابقاً، وبينما انتهيت من عملي وجدته هو وأخوه وسمعت قولاً: لقد حضرنا ما تم الاتفاق عليه حيث أخذ أبي وقام بمقايضته ومن ثم طلب من كبير مرافقته إلى الفصل الثالث لقلب بيان ظل صادر واقعاً خارجاً منتظرهم لم أجد أفضل من هذه الفرصة للاعتذار له، ولكن هناك شيء ما يمنعي لا أعلم ولكنني كلما اقتربت منه خطوة يخفق قلبي تساؤلات داخل عقلي هل يمكن أن يكون لا أعتقد أن يكون بهذه السرعة؟ وما الذي يوجد به ليميز عن غيري؟ ما الذي يحدث معي تساؤلات داخل عقلي إلا أنت سمعت صوته يأخذني من شرودي قائلاً:.

هل أنت بخير أراك شاحبة قليلاً أم إنك لم تعند بعد على رؤيتي؟

نظرت له بعد أن أخرجت زفيري في هدوء قائلة أستمع إلى أنا لا أعرف ماذا تقول؟ ولكنني شعرت أنني بحاجة إلى الاعتذار منك عما حدث سابقاً ما كان يجب علي أن أرمقك بتلك النظرات، أتمنى أن لا تسيء الظن بي، ولكنني لم أعتد على هذا، ابتسم إلي في هدوء متمنياً على أن أسمع له بالتقدم بعض الخطوات لم أمانع وأخبرته بأن يتقدم وأنا أنظر إليها ثم أخفض نظري إلى الأرض وعندما وقف أمامي وتفصلنا بعض خطوات أخبرني.

ما عندما كنت صغيراً كان أبي يراني فتى، وذلك لأنه يقول إني أشبه والده، ومع ذلك لم يشعر أخي بضيق من هذا وأخذها يداعبني كأني صغيرة، ولكنني لا أعلم كيف لي أن لا أصبح رجلاً وأنا أرى من هم في سني يشاركون حياتهم في العمل مع عائلتها؟! لهذا أصريت على المشاركة في

عمل أبي قليلاً حتى أدركت أنه يوجد الكثير من الأشياء يجب عليّ معرفتها لا يكفي مكوث في البيت حتى أشعر بالراحة مع إنني كنت في سن صغير إلا أنني تعلمت أن الراحة هي الشعور بالذات وإن أردت هذا فعليك العمل والاجتهاد فيما تحب وأنا لست مجبراً على هذا العمل كما ترى بتلك النظرات ولكن هذا ما يجعلني أشعر بالذات وإن كان لا يروق لك.

قاطعته قائلة بالتأكيد لا إنه شيء جميل، حينما قال:.

_ حسناً يجب عليك أن تعتدي على هذا فأنا أظن أن عينيك ستشاهدني كثيراً وأردف:.

_ كما أنني أظن أن عيني سوف تحب رؤيتك.

ثم خرج قليلاً. إلى أن أتى أبي وأخاه ثم سألني أبي إن كنت أستطيع أن أذهب ببعض الأشياء إلى البيت، فأخبرته أنه لا مانع لدي حيث كنت أسير في طريقي ببطء حتى أرى إن كنت أستطيع رؤيته أم لا، ولكنني أصريت على المرور بجانب بيته، وأنا أنظر أمامي حتي لا يشعر بشيء، لم أكن أعلم ما الذي يدور بعقلي وقتها إلا إن لمحتة من شرفة بيته يقف وجسده الأعلى عاري و يملأ جسده الخدوش والجروح الصغيرة المتناثرة على جسده المفتول إنه على عكس ما أراه دائماً نظيف بالكامل صدق أنني سأقول هذا ولكنه أثارني حقاً ثم أسرعت إلى بيتي، وأنا لا اصدق كيف لي أن افعل هذا كيف اختلس النظر وبعد فترة من المكوث رجعت إلى المتجر ولكن تجنبت المرور أمام بيته إنني اخجل من نفسي على ما فعلته حتى مر اليوم وكأنه أثقل من أبراج ارم نفسها ولكن أبي وجدني شاردة فاقدة التركيز

فسألني عم بي، ولكنني أخبرته أنني بخير، فقط أشعر بالقليل من الخمول وعندما عدنا الى البيت وجاء وقت الطعام لم أقوى على كتمان ما بصدرى أردت التحدث، ولكن كيف سأحدث بما في قلبي وما انتهينا نظرت إلى أمي وعلمت إنني أريد التحدث طالما كانت تدرك ما أوده وتقدر ما أمر به إلى ان خرج أبي من البيت وجلست مع أمي وعلى وجهي ملامح الخجل والحيرة لا أعلم ماذا أقول حتى انتابني الارتباك وأتلعثم حين أقول كلمة حتى فاجأتني أمي بقول عشقتى رفع نظري إليها في دهشة حيث تابعت حديثها:.

_ عندما كنت في عمرك عشقت أباك لم أقوى على التحدث، ولكنني وجدت أمي تقول لي هذا وأنه الأمر معك، هيا أخبرني.

لقد امتلكني الشجاعة مما رأيته من أمي وابتسامتها وكلامها حتى أتحدث ظلت تسمعني وتختفي ابتسامتها شيئاً فشيئاً ولم تتحدث إليّ إلا بسؤال عابر، وعندما انتهيت من كلامي قامت وهي تقول ارتاحي قليلاً، ثم ذهبت وأنا في حيرة من أمري لا أعلم كيف سأرتاح وأنا لا أعلم ما الذي يحدث هل أخطأت بالتحدث مع أمي أم ماذا؟ ولكنني ذهبت إلى فراشي وغلبني النعاس وفي صباح اليوم التالي كنت أنتظر من أمي أن تحدثني ولكنها لم تفعل تملك الخوف والقلق قلبي حتى إنني لم أستطيع أن أعمل مع أبي في ذلك اليوم عندما عدت للبيت بات على ملامح وجهي الحزن امتلكني خمول الليالي إلا أن آتي الليلة لا أعرف كيف حدث.

وجدت شادر قد أتى إلى بيتي وأخاه وقد سمعته يطلب من أبي الزواج بي هل يمكن أن يحدث هذا حقًا؟ جلس أبي معهم محاورهم وما كان على شادر إلى أن وافق على كل ما قاله أبي غادر وأنا مازلت مذهولة مما حدث لأدخل عرفتي وتأتيني أمي مبتسما قائلة:.

لقد حدث ما تريدين وقد أتى ولكن سوف يثبت الوقت أن كان حقًا جديرًا بك.

لم أنطق كلمة واحدة وأستمع إلى حديث أمي وهناك الكثير من الحديث لم أفهم ولكن أعتقد أنه شيء مهم لا أعلم ما هو، ولكن في تلك الليلة التي أدركت ما الذي طلبه أبي سمعتك صباحًا موته غريقًا.

إلى من تتحدث يا سيدة تاتا.

قال نامق هذه الجملة في الصباح وأشرق إشاعة إرم على وجهها، ولكنها نظرت إليه وقالت:.

— ستحتاج إلى كثير من العمل في هذا البيت اذهب أنت وشديد إلى قلب بيان وأتي ببعض من الأخشاب والأدوات وبعض أغراض البيت.

عندما ذهب نامق رفع يديه عاليًا وهو يقول أن الحرارة شديدة لم يشعر بها من قبل أخبره شديد أن المباني في إرم من كانت تخفف عنا حرارتها، ولا ينسى أن المدينة تحيط بباطن إرم.

وأضاف ممازحًا من الواضح أنه تم التأثير على عقله من هذه الحرارة.

ابتسم نامق وأخبره أن يذهب ويحضر الأخشاب وسوف يرى من الذي يمكنه فعله.

رد شديد مستكرا عن إحضارها أن يقوم هو بذلك، حدثه يبدو أن تلك الحرارة ولا قد أصابته لأنه الآن نسي من منهم القوي، اتجه بعدها شديد إلى الفص الأيمن في بيان، ووجد هناك المراكب والأخشاب وغيرها وقبل أن يسأل وجد امرأة تمسك الفأس وتقطع الأخشاب بقوة وقف ناظراً إليها دون أي حراك وهي تقطع الأخشاب وخصلات شعرها تتأرجح مع حركتها توقفت هذه المرأة تلتقط أنفاسها وضعت يديها علي وجهها، وأبعدت خصلات الشعر ثم نظرت إلى شديد سائلة عما يريد ظل شديد صامتا متخشبا عندها وضعت الفأس على كتفها وهي تقول:.

_ ما بك هل هناك شيء ما؟

تلثم في الكلام إلى أن قال:.

_ أريد بعض الأخشاب.

قالت له:.

_ تفضل إلى الداخل لنرى ما تريد.

تقدم شديد وهو لا يزال متأملها حتى لاحظت هذا، وقد ظهر عليها الضيق ابتسم إليها، وتوقف عما يفعله إلى أن سأله عن كيفية حمل تلك الأخشاب.

قال لها:.

_ لا عليك.

ثم قام برفع الألواح الخشبية على كتفه وخرج في ظل عجبها من قوته، وهو بالطريق كان بعض العامة ينظرون إليه في عجب، ولكنه لا يوجد أمام عينه سوى منظر تلك المرأة وهي تقطع الأخشاب وخصلة شعرها التي تدل على وجهها الخمري الملائم لعينيها البنية ذات الرموش الطويلة ذو الجسد المتناسق المشدود إلى أن وصل إلى البيت، وظل نامق يبحث ولكنه لا يعلم ما يريد ودخل إلى متجر شيحان، ولكنه لم يعلم أنه مالك المتجر، وقابل من يعمل هناك وأخبره بما يريد وإن كان يستطيع أن يدلّه على بعض المتاجر التي تساعد في متطلبات البيت أخبره الرجل أنه سيذهب إلى فص بيان الأوسط، وسيجد هناك ما يريد شكره وانصرف وأتى بعدها شيحان الذي كان يقضي معظم الوقت جوار ابنته التي ما زالت تعاني من الألم وحياتها البائسة الملازمة لروحها حتى أنه قد كواه الضجر لم يعتد أن يرى ابنته هكذا فيخرج من البيت ويذهب إلى عمله ويعود مرة أخرى، ولاحظ أن حفيده قد أدخله في حالة من الخمول فإنه لم يعد يري شروق ابتسامة أمه بعد وأصبح يذهب إلى المتجر ويعود كأنه شارد، وقد وجد بعض الرجال يقومون بعمل بعض الأعمال في البيت القديم ولقد أعجب بقوة رجل يحمل الأخشاب عاليا ليعطيها، لذلك الرجل الذي ينادي عليه وأخبره ان الأخشاب قد تنزلق من يدي وتسقط على رأسه، عندها أخبره شديد أنه يخشى احن تفلت يده وتمسك عنقه وظل يمزحون إلى أن خرجت جيلان، وأخبرتهم أن يسرعوا لوجود أشياء أخرى داخل البيت يجب أن يتم عملها فلا يوجد أثاث ولا طعام عندها ذهبت (تالا) لتحضر الماء من

البئر المزدهم كالعادة في منتصف اليوم وممسكة يد ابنها تقدم بعض الحبوب مقايضة بما تريده وتعود إلى بيت مارت على بيت كبير الذي عمه الهدوء والصمت منذ مغادرة (إرم دون) القرية ورقة نائر اليه والتي كتبها في أولها أنه لم يترك يدي أخيه وملء عقله التفكير عما أراد أن يثبت، وكيف له أن يعلم هذا لا أحد يصدق ما يصير في تلك الليلة التي أخبره أخاه أنه لا يريد مساعدة أحد، وأنه يستطيع الاعتماد على ذاته وأنه لا يحتاج أحد جواره متسائلاً عما حدث بينهم من الذي قد أرسخ ذلك الفكر في عقله وعندما خرج خلفه وجده ذاهباً إلى الشاطئ، ولكنه وقد أبحر بينما عينيه تراقبه يذهب كيف يصدق رسالة نائر وهو من تركه يذهب وظل الحال به تلك الأيام يزداد سوءاً أعتقد أنه فقد عقله حتى أتى ليلة قام من مكانه وفتح شرفته حتى يستنشق الهواء ولكن بصره لمح رجل واقفاً خارج بيته أمعن النظر واتسعت عيناه قائلاً:.

ـ أخي شادر.

خرج من بيته متقدماً نحوه وخطوته كانت ثقل شيئاً فشيئاً، ولا تزال علامات الدهشة على وجهه وقف أمامه وسمع صوت كيف حالك يا سيد كبير؟ بعد أن تقدم خطوات ظهرت أمامه الرؤية أنه نائر ظل يتمتم في الظلام بكلمات كيف يكون؟ ماذا هناك؟ هل هذا ممكن إلى أن قال نائر:.

ألم ترحب بي أم تريد أن تقول العامة أن أهل بيان لا تكرم ضيوفها..

وقف صامتا لا يعلم ما يقول إلا أدخله بيته جلس وهو ناظراً إلى كل ركن في البيت وبدا على وجهه سعادة إلا أن قال:.

_ في تلك الليلة التي ذهبت فيها أنت وأخوك الزواج من السيدة جيلان كلما تحدث كلمة كان يرمقك بنظرات حتى تصمت وظل يتحدث ووافق على كل ما يقوله حتى إنك لم تلاحظ موافقته السريعة على الزواج وذلك لأنه تحدث قبلها معه بأمر الزواج من ابنته دون إخبارك، عندها أخبره والدها أن يكون جديرًا بها وأن يثبت ولاءه إلى إرم دون.

عندها تعجبك كبير بما قاله حيث أردف..:

_ إن عائلة السيدة جيلان أتباع عين إرم، ومن أحكامها أن يتزوج أبناءهم من بعضهم البعض وكأننا شرط أن يكون أخاك منهم وذلك لأنه والده السيدة جيلان، قد أجبر على هذا عندما رأى تمسك ابنته به رغم عدم التحدث في الأمر أمامها، ولكن لم يريد أن يكسر قلب ابنته حتى لا يجبرها على فعل شيء لا ترغب فيه ولا يريد تحول قلبها إلى حجر تفصي عليه فيما بعد، فقد أخبره بشروطه وأولها أن يثبت ولاءه والأمر الثاني أن ينتقل إلى العيش في المدينة، وكان هناك أحد الشروط التي تجعل قلبك قاسيا حتي ينتهي الامر و يتعلم أن لا يصبح عرضة الضعف والتراجع عن قرارة تلك كانت الشروط التي وافق عليها، وفي تلك الليلة التي رحل فيها إلى مكان يسمى (بئر دون) وذلك كان أول اختبار له حيث تبعه اثنين من الجماعة و عندما ذهب إلى هناك هو يغرق في تلك المنطقة ولم يستطيع المساعدة فقط كل ما فعلوه أنهم ينظرون إليه ويسمعون كلماته التي كان يستغيث بها من موت حتمي انت لم تترك يدي أخيك لقد أخذت قرارا وأنهى حياته إنه ليس خطأك.

تبدلت ملامح كبير الغضب قام من مكانه قائلاً:

إنه خطأؤها وأبوها يجب أن أجعلهم يمرون بما مررت به.

قام نائر من مكانه وحدثه أنها لم تعلم شيئاً عن هذا إلا في تلك الليلة التي سمعت فيه عن ذهابه إلى هناك، ولم تستطع أن تفعل شيئاً، ولو علمت لكانت منعت حدوث هذا، خرجت من كبير كلمات السخرية غير مصدقا ما قيل، يرد عليه أنها لم تتزوج بعد رحيل أخيه، وظلت على هذه الحال فقط تقوم بمساعدة من يحتاج إلى العمل فيما حاول أخوه النجاح فيه، سأله كبير عن كيفية معرفته بكل هذا، صمت نائر قليلاً، ومن ثم قال: هي من قدمت له المساعدة في إعادة كل ما فقده شبحان وأنه قد عاشرها ولمس فيها قلباً صافياً لا يقل عن صفاء قلبه وحبها الشديد له، رد كبير مستنكراً أنه رحل، وهي ظلمت حدثه أنها تألمت بعد فقدان حبيبها وتقبلت عقاب أهلها، ولن تنجب من يكمل نسل عائلتها وقريباً سوف تمحى تلك العائلة وهي تعيش معظم حياتها أنها قد أهلكت حياة قد أحببتها لن تعيش حياتها، أنت قد منعت عن نفسك ملذات إرم، فقط لشعورها بالذنب تجاه ما حدث بالتأكيد ستعلم كم من الألم قد مرت به، قاطعه كبير مستنكراً عن معرفته بالأمر وأنه فقد كل ما هو عزيز رحل الجميع وبقي وحده من أجل ماذا؟ العشق، من الأفضل أن يدفن في تراب إرم، أخرج نائر زفيره بعد أن أخفض رأسه ورفعها قائلاً:

أعلم الكثير عن الألم يا سيد كبير فلقد فقدت أمي قبل أن أراها فقدت أبي طوال حياتي، لم أعلم إلا العائلة التي نشأت بجوارها لا أعلم من أكون،

ولكن الآن لدي عائلتي الخاصة أنا معكم أنت من أويتني وعلمتني على تلك الأرض حتى إنني كل يوم أرى عائلتي حتى وإن كنت بعيداً عنهم لا ترهق عيني من رؤيتهم ولا أقوى على ضمهم إلى أن أنت إلي الفرصة حتى لا أفقدهم مرة أخرى، وأنت تستطيع أن تعالج ما مضى فلا يكون في عمرك باقي إلا وقد نعمت به لو كان أخوك موجود الآن لا أريدك أن تفعل الصواب لا تقس على أحبائك كما قسى غيرك.

ثم اتجه إلى باب الخروج إلى أن سمع كبير يسأله عن مظهره، ومن أين حصل عليه، التفت إليه قائلاً:.

من قلب ظل ينبض بعد أن فارق جسد مريض وظل كبير في بيته تتضارب أفكاره، دخل رأسه ولا يعلم ما الذي عليه فعله بعد أن علم أنه كل ما حدث كان بسبب عشق قد حرم على من هم في مثل أخيه؟.

دخل نائر البيت ووجد جيلان مستيقظة، اقترب منها متمني أن لم تستطيع مساعدة شادر في الماضي عليها أن تحاول الآن أن تساعد أخوه، نظرت إليه على وجهك علامات الحزن سائلة ماذا الآن؟ رد عليها بعد أن أخرج زفيره إنه يوم جديد في بداية نهار آخر ينبع منه أشعة الأمل التي طال غيابها.

قامت من مكانها وقد أدركت أنه قد غالبها النعاس واستيقظت ولا تجد أحد معها في البيت فتحت شرفتها واقفة وهي واضعة يديها علي رقبتها ناظرة خارجاً، واتسعت عيناها محاولة التحدث ولكن انعقد لسانها إلى أن دلف ابنها إلى الغرفة قائلاً:.

– لقد عاد العم نائر يا أمي.

والسعادة من على وجهها وتدمع عينها من عدم خروج كلماتها التي تتمنى أن تتلفظ اسمه ولكنها لا تقوى، اقترب منها ابنها وحدثها أنه سأله عنها نزلت علي ركبتيها تضع يديها علي كتفه حتى أردف:.. إنه قال لي أن أمه إنسانة عظيمة قد تحملت الكثير وقد عانت من أجله، لو يعلم مدى جمالها ما كان إلا ليشرب ماء غسيل قدميها طوال حياته فقط لأجله قد تملك الصبر والتضحية التي يصعب على الكثير تقديمها وأن عليه أن يكون قوي فلا يجعلها تحزن يوما، وعندما سأله عن قصده أخبره عندما يصير راشد سيعلم ما الذي يعنيه؟ ثم انصرف ولم يفهم الكثير من حديثه ولكن يعتقد أنه يسأل عن أمه وأنه يجب أن يحبها وهذا شيء ليس له يد فيه فهو يحبها بالفعل ضمته إلى صدرها ووضعت يديها على رأسه قائلة:..

_وأنا أحبك.

ودموعها تتساقط ولم يصدق ابنها عندما سمعت صوتها وهي تقول:..

_ أحبك يا ابني.

رد في لهفة:..

_ أمي أنت تتحدثين.

تنظر إليه في عيونه بعد أن ابتسمت:..

_أظن هذا يا صغيري.

_ تحدثي يا أمي.. تحدث يا أمي... كم اشتقت إلى سماع صوتك!

عندها توالى دموع عينها وضمته في قوة كم اشتاقت إلى حضنه، ومرت لحظات شوقها إلى أن هدأت وطلبت منه أن تساعد في شيء.

في نفس الوقت كان نامق يجلس مع شيخان بعد أن عرفه بنفسه على أمل أن يغفر له، واستمع إلى حديث ولا يزال ملامحه تمتلك خزي مما فعله، ولكن شيخان أعجب بشجاعته التي يخشى الكثير الإقدام ليست فقط لأنه أراد أن ينقذ عائلته، وإنما لأنه أراد أن ينقذ نفسه مما قد يصيبه في ما بعد عندها حدثه نامق عن إرادته في البدء من جديد حياتي بعيدة عن الظلام، فعرض عليه شيخان العمل معه ومساندته في أموره، أوماً نامق رأسه إيجاباً دخل عليهم حفيذة قائلاً:.

_ مرحباً يا جدي مرحباً أيها العم.

سأله شيخان عما يحمله بيده، فرد عليه بعض الحلوى التي قد أعدتها أمه، وطلبت منه أن يأتي به إليه، ولما أخذها منه أعطى منها إلى نامق سائلاً: أن يرسل تحياته إلى جيلان وتتذوق هذه الحلوى حاول الرفض ولكنه أصر على هذا وقبل غروب الشمس قد اتفق نائر على تأجير أحد المراكب بالصيد على شاطئ بيان، ثم عاد ووجدت في البيت اجتماع يسوده المرح وتمنى عليهم أن يسعدوا قلبه معهم، حدثته تالا عن انتصارهم في التحدي جلس نائر سائلاً عن ذلك التحدي، فقال نامق أنه تحدي بين وبين شديد وفي كل مرة ينتهي يقول صديقه أنه الفائز، ومن ثم نظر إلى شديد وأردف:.

_ تتذكر عندما قمنا بالتحدي على الممشى وسط العامة في المدينة.

بعد أن أدار وجهك نظر إلى جميع الجالسين وأخبرهم أنه كان يتحدى صديقه على أكثر كمية من الطعام، ولكن هذه المرة ليست داخل البيت إنما خارجه في أكثر مكان يوجد به عامة ليشهد بهزيمته، ثم ضحك وأكمل شديد في هذا اليوم قد جلس على ممشى فوق نهر أورا، وأخذ يصف ما قد جلبوه من طعام وبدؤوا في الأكل حتى أنها سمعت أحدهم يقول:.. أسرع، هيا، سوف تخسر وتجمع حولهم العامة إلى أن انتهوا وبدؤوا يتحدثون عمن انتصر و أكل أكثر كمية من الطعام، سمعت صوت امرأة تقول وعندها تحدث تالا أعتقد أنك لا تقوى على الحركة، كيف ستعود إلى بيتك؟ اسمح لي أن أرافك التفتت الأنظار إلى تالا وحديثها إلى أن أكمل نامق متمني ذلك، ثم نظر إليها ورأى أجمل امرأة على هذه الأرض، عندما نظرت إلى وجهها شعر بأن داخله مخزون كبير من الحيوية والطاقة ووقف بسرعة أمامها عندها قاطعه شديد لا يتكلم فقط ينظر لها وتنظر له و في صعوبة نهض ووضع يده على كتفه وحديثه ولكنه لا يستجيب، أكملت تالا وابتمت له عند رؤيته بهذا الحال، ومن ثم غادرت وقد نسيت العرض الذي عرضته عليه وأخبرهم نامق أنه لم يكن يعلم أنها غادرت وسوف تجعله يفقد نفسه ورحل العامة من حوله، ثم نظر إلى شديد معتقدا أنه سوف يغيب عن الوعي، عندها قال شديد إنه عندما أخبره هذا أدرك أنها صديقة قد شربت من كأس العشق الذي أتى بحب حقيقي وهو فارس الذي أنتم عليهم عشقها، وقال نائر متعجبا:..

_ تعتقد أنها قد وقعت في شباكه بسبب رؤيته يأكل هكذا بتلك البساطة.

ابتسم شديد ورد عليه:.

_ كان هذا سبب في رؤيته أنه شيئاً لن يخطئ الموت حين يدركك والعشق عندما يصيب قلبك لا مفر منه ولا أعرف تلك الأمور قد وقعنا فيها ولكنها بالتأكيد لصالحنا والشيء بالشيء يذكر سوف أقوم غداً بالذهاب إلى إحدى مصانع بيان، عندما كنت أحمل الأخشاب مررت على أحد الاماكن، وقد رآه مالك المكان وعرض عليه العمل معه.

وحدثهم نامق أنه سوف يذهب هو أيضاً للعمل في متجر شيحان، نظر إليه جيلان في عجب حيث أردف بعد أن تكلم معه عرض عليه العمل وقد أوصى بالتحية إلى جيلان، وأعطاه هذه الحلوة التي أتى بها، وأضاف نائر أنه سوف يذهب في منتصف الليل إلى شاطئ بيان، فقد استاجر مركب للصيد، ومن ثم قام من مكانه طالباً أن يسمحوا له بالراحة قليلاً عندها سأله نامق في سرعة أن يتذوق بعض الحلوى تقدم ومد يديه وتذوقها وأردف أن من أحضرها هو حفيد شيحان وأن من صنعها قطع حديثه نائر قائلاً:.

_ ضفيرة ضفيرة من صنعتها.

ثم ذهب إلى مكان المبيت لديه متنفساً نسمات الهوى متألم من بعده عن أحبته.

اتجهت إلى المطبخ وأحضر الحلوى التي أعدتها ثم جلست ووضعتها أمامه قائلة:.

_ اتفضل يا بابا أنا عارف إنك بتحبها عشان كده عملتها لك.

رد عليها عباس:.

يا بنتي ليه تتعبي نفسك إنت لسه راجع من العملية يعني لازم ترتاح.

رد عليها ندى:.

يا بابا أنا مرتاحة وخالد بيعمل كل حاجة متقلقش عليا.

طيب طمنيني عليك حاسه بايه دلوقتي.

أنا كويسة بس شوية صداع وأحياناً بحس بتقل في لساني و خالـد خايف جداً ليكون الوقعة اللي وقعتها أثرت على مخي لأنه أنا مكتتش بتكلم كثير زي ما أنت عارف حتى مع الدكتور كنت هتجنن بس عدت علي خير المرة دي.

ثم أردف:.

فين كريم.

سبته تحت هيجيب حاجة ويطلع.

طيب أنا أعمل لك حاجة تشربها أنا عارفه إن السلم رخم شوية.

لا لا ما تتعبيش نفسك عايز أقعد معاك شوية.

اللي تشوفه حبيبي.

طيب الأخبار إيه إحكي لي خالـد عامل معاكي إيه.

واخد باله مني كويس وخذ أجازة من الشغل وجنبي علي طول.

نظر إليها في حدة، وسألها إن كان هناك أمر ما بينهم، قالت ندى في هدوء: وأخبرته عن انزعاجها من أجله، فهو لا يرتاح ويهمل في أمور نفسه من أجلها يقوم بمهام البيت وأمور كثيرة ولا ترى منه إلا كل خير، قام بتقبيل يدها في هدوء، و مر بعض اللحظات ويضع يده على صدره وتظهر على وجهك ملامح الألم فتسأله عما به؟ رد عليها أن لا شيء مجرد ألم بسيط فسألته أن تحضر له الطبيب، فقال لها أن لا داعي لذلك إلى أن دخل خالد ومعه كريم من باب البيت ثم ذهب و سلم على عباس وجلس قليلا إلى أن عبر كريم عن رغبته في الوقوف على الشرفة ومراقبه الشارع، قامت ندى من مكانها وأخذته ثم جلس كلا من خالد وعباس يتحدثون، و مر بعض الوقت ودخلت ندى قاطعة حديثهم، ولاحظت هذا إلى أن قام عباس بالمغادرة رغم أن ندى قد طلبت منهم المكوث قليلا، ولكنه أصر على المغادرة بحجة أنه لديه عمل، وسيذهب بعدها إلى أحد أصدقائه، ومن ثم جلست ندى في غرفتها لترتاح قليلا وهي تفكر عما كانوا يتحدثون فيه عندما قامت ودخلت على زوجها وسألته عما كان يتحدث فيه مع والدها أخبرها أنه كان يتحدث في العمل واعتماده على نفسه، ولكنها تعلم تعابير وجهه عندما يكذب فلم تصدق ما قاله ومع مرور الايام زادت حالة ندى تتحسن، وعاد زوجها إلى العمل بينما هي كانت تهتم بأمور بيتها وعادت إلى حياتها الطبيعية مرة أخرى.

قام نائر الآن بتجهيز نفسه للذهاب إلى شاطئ بيان، وفتح باب البيت في هدوء و مر على بيت شيحان، ولم ينظر إليه حتى ولكنه شعر بحرارة في

جسده عندما مر من عليه، وتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام في هذه الليلة ما إن وصل إلى هناك وجهاز المركب لا يعرف كيف سيكون الوضع معه هذه الليلة فقد عانى في الليالي السابقة إلى أن سمع صوت من خلفه يقول:.. أرى أنك أصبحت صيادا ماهرا التفت إليه نائرا قائلا:..

_ تعلمت من الأفضل يا سيد شيخان.

رد في هدوء:..

_ بالتأكيد ولكن السيد كبير لم يظهر منذ أيام حتى تجارته لم يعد يديرها، هل تعرف سبب ذلك؟ أخبره لا بد وأنه يقبل على شيء جديد سيكون بخير دائما ما علم عنه إلا القوة، ولن يؤثر عليه شيء، ثم قال قبل أن يغادر إلى مركبه:.. أن لا يتأخر اليوم عن إعطائه الأسماك ومن ثم بدأ في إزاحة المركب إلى البحر بعد وضع المجاديف والشباك، ثم بدأ بالتقدم إلى أن وصل مكانه ورمى شبابه وانتظر بعض الوقت ثم أخرج الشباك وأخذ ما أخرج مع الأسماك ثم أعاد عمله مرة أخرى.

ومر الوقت وأتى الشروق واتجه نائرا إلى الشاطئ عائدا بعد رحلة الصيد التي بدأت أن تفتح له طريقا جديدا يسير فيه، ووضع مركبة على الشاطئ وأخذ ما رزق من صيد وذهب إلى المتجر، قابل هناك نامق استلم منه الأسماك وأخبره أن شيخان سوف يقوم بأخذ متجر آخر لتوسيع تجارته، ولما سألته عن تجارته الجديدة قال إنه يفكر في متجر للثياب الزخرفية المتنوعة التي سوف تشرف عليها جيلان، عندها أدرك نائرا أن شيخان يحاول أن يجازي المعروف، وقال حينها أن يباشر عمله، وسوف يذهب

إلى شديد، وقبل أن يغادر قابل شيخان عند خروجه الذي قال في هدوء
كالمعتاد، ورد ناثر إنه لا يخالف كلمته أبدًا.

فقال شيخان:.

_ لا.

ثم أردف:.

_ إنه يريد أن يتحدث قليلا معه الليلة بعد الغروب.

وقبل أن يرد ناثر أردف:.

_ حسنا ميعادنا الليلة.

ثم دخل إلى متجر في ظل نظرات ناثر له، ولكنه انصرف إلى شديد الذي
أثبت كفاءته في العمل، وأظهر خبرته وتمكنه القوي في صنع الأشكال حيث
إنه يمسك القطع الحديدية بيد ومطرقته في اليد الأخرى ويقوم بالتسخين
ويطرق بقوة ثم يضعها في الماء لتبرد ويعود فعلته مرة أخرى حتى يصنع
الكثير من أشكاله الجديدة.

وقف أمامه ناثر ممازحًا:.

_ أن يترث في التعامل مع الحديد فليس له قوة له. سأله شديد لم لا يجرب
هذا.

رفع ناثر يده قائلا:.

_ لا أعتقد هذا.

ومن ثم تحدث قليلا وشديد يقوم بعمله حيث كان يخرج البخار الناتج من تبريد الحديد في وجهه إلى أن أخبره بذهابه قبل أن تعمى عيناه، ابتسم شديد ومن ثم انصرف نائرا وظل شديد يعمل حيث كانت عيناه ترمق تلك المرأة التي قابلها سابقا، دخل لإحضار بعض الأدوات وخرج فوجد رجلين يقفان أمام مصنع الأخشاب الصغير، وبدا أمرهم غريبا، ولكنه أكمل عمله طرق الحديد بقوة ولكنه وجد أحد الفتيان يخرج من المصنع واقفاً أمام الرجل في حدة عندها أدرك أنه يوجد شيء ما، ذهب إلى هناك حاملا مطرقة على كتفيه واصطدم بأحد الرجلين، التفت إليه الرجل قائلاً:.

_ انتبه إلى خطواتك.

رد عليه شديد في هدوء:.

_ وكيف هذا؟

رد قائلاً:.

_ عليك أن تنتبه المرة القادمة أين تسير؟

تقدم شديد إليه قائلاً:.

_ عليك أنت أن تختار المكان الصحيح لتقف فيه علي قدميك.

ثم تحولت عيناه لوحدي، تراجع الرجل عدد خطوات إلى الخلف ونظر إلى صديقه، ومن ثم ذهب دون حديث حيث شكره الفتى على صنيعه،

ولكن قالت خلاء أنها لم تطلب المساعدة وما كان عليه القدوم، نظر إليها أخوها قائلاً:.

_ مهلا يا أختي ما الذي.....؟

قطع حديثه شديد أن لا عليه، ثم نظر إلى أخته وأردف: أنه كان ماراً فقط ولا يظن أنها تطلب المساعدة فهي كفيلة بهم ثم التفت ذاهب إلى العمل مرة أخرى قائلاً:.

_ ولكن المرة القادمة ستحتاجينها.

نظرت إليه قائلة:.

_ مغرور.

وأردفت:.

_ أنا لا أريدك أن تتعامل مع مثل هؤلاء المغمورين، أنت لا تعلم ماذا يكون؟ وما الذي أتى به إلى هنا لا يجب أن تثق في أحد بهذه السهولة.
رد عليها عهد:.

_ إنه ليس مغرور يا أختي وأهم شيء أنه صديقي.

ثم دخل المصنع، ودخلت خلفه لتكمل عملها دون التحدث في الأمر مع والدها الذي مر علي شديد وهو يعمل ورأى فيه القوة والتركيز الذي لن يتخلى عنه أبداً إلى أن أتى الغروب، وأنهى عمله عائداً إلى البيت وتفكيره منشغل في تلك المرأة منذ لحظة رؤيتها والأخشاب بفأس ولم ينس قط منظرها السيف وهي تلوح به هنا وهناك في سلاسة وسهولة، بينما كان واقفاً

ينظر لها خلصة إلى أن لاحظت وجود شخص فتوقف عما تفعل تراقب المكان وترى إن كان هناك أحد بالفعل ولكنه اختفى مع شوقه الذي دفن داخل قلبه وذلك الشعور الذي يغمر جسده، ودلف إلى البيت وارتمى على فراشه متذكراً أخته أروى، وهي تميل بالسيف وهو واقف ناظراً لها في حدة وأوقفها قائلاً:..

_ ما هذا الذي تفعلينه؟

نظرت له في عجب ثم أردف:..

_ هكذا تدفعين عن نفسك.

ثم تقدم نحوها وأمرها في غضب أن تهاجمه، ولكنها تعجبت منه، وكرر كلمته فأمسكت السيف و تقدمت نحوه وضربته بالسيف إلا أنه تفادها وأمسكها وضربها بمرفقه ليقع السيف من يديها، وكاد ذراعها أن ينكسر فتركها ووقعت أرضاً، وهي ممسكة بذراعها، عندها نظر إليها وحدثها إن وقعت أرضاً فلن تقوى على النهوض مجدداً، التقطت أنفاسها وقامت (أروى) من مكانها ممسكة السيف مرة أخرى واقفاً أمامها تقدمت نحو بسرعة وضربته ولكنه تفادها وأوقعها أرضاً مجدداً نظرت إليه فوجدته يلتف حولها قائلاً في حدة:..

_ إن كنت لا تقوين على حمل سيفك فلن تقوين على فعل شيء، إنه دربك وستسيرين فيه إخراج ما بداخلك اشتعلي لتشتغل الرغبة معك أم تفضلين الجلوس في البيت جوار أمك أيتها المدللة ماذا؟ ماذا هناك؟ تبكين الآن.

يتحول الصوت إلى السخرية وأردف:.

_ هل أحضر لك قدرة الماء لتمليئها أم أجلب لك بعض الحليب يا طفلي الصغيرة؟

ظهرت عليها ملامح الغضب وأردف:.

_ فما قولك؟

قامت من مكانها وأمسكت سيفها بقوة، واندفعت ناحيته صارخة وتضرب هنا وهناك بكل قوة، وكلما تفادى ضرباتها تزداد صراخا وتضرب بقوة مرة تلو الأخرى، وهو يتراجع خطوة خطوة إلى أن اصطدم بأحد الجدران وهي تمسك برقبته وسيفها أمام عينيه ابتسم قائلاً:.

_ هكذا تكون فارسة إرم.

ثم رفع يده وأبعد السيف بإصبعه وأردف:.

_ انتهينا اليوم.

وابتعد من أمامها وهي لا تزال واقفة مخرجة زفيرها في سرعة حتى هدأت ونظرت إليه، وابتسمت ومن ثم عادا إلى بيتهما دخلت (أروى) والتي كانت حالتها يرثى لها، وسألتهما والدتها عما صار معها أخبرتها أنها تأثرت ووقعت أرضا ثم طلبت منها أن تغير ثيابها وتأتي لتساعده في تحضير الطعام، وذهب شديد إلى والده في مصنع الحدادة وعندما سأله عن تأخره، أخبره أنه كان لديه بعض الأعمال وياشر العمل حتى الغروب وقام وأغلق المكان وذهبا برفقة والده إلى البيت حيث كان شديد يراقب أخته وهي

تأكل ويضع أمامها بعض من الطعام، أخبرها أن تأكله كاملاً لأنه مفيد وهي تقوم بفعل ما يقوله.

وبعد الانتهاء أخبرهم أنه سيصطحب أخته إلى الخارج معتقداً أنه من حقها بعض الراحة، استنشق الهواء بعدما أنهت عملها في البيت وهم يسرون كان يرمقها بنظرات الفخر وكأنه يقول هذه فارسة إرم تسير بجواره إنه رجل محظوظ ستكون يوماً ما أعظم من أنجب إرم، أراد أن يعلو صوته ويسمع كل العامة حتى يصل صوته إلى أعلى الأبراج نظرت إليه (أروى) وجدت الفخر في عينيه، سألته متعجبة عما يحدث معه نظر إليها قائلاً: -إني اسير جوار أختي.

بعد أن صعد على إحدى الجسور، جلست (أروى) وظلت تنظر أمامها إلى أن طلب منها أن تقترب قليلاً، اقتربت منه ثم أردف أن تقترب أكثر ثم اقتربت منه عندها أخبرها أن تنظر بتمعن إلى أجمل ما قدر أنه في حياتها نهر طويل وعليه جسور من الخشب، وفي نهايته ثلاثة أبراج الأوسط وتوجهه الرائع الذي يشبه الشمس في النهار الأبراج الثلاثة مع بعضهم البعض والبرجين على اليسار واليمين كأنهم يسانده لا عجب في ذلك الجمال لا أحد يستطيع رؤيته بهذا القرب، وحدثها بأنها تستطيع أن تنعم بهذا المنظر طوال حياتها ولما نظرت إلى أخيها، أردف النخبة فقط هم يدخلون إلى هناك ثم أشار بيديه لتنظر إلى الأوسط في أعلى هناك، يكون الحاكم ومعه فارسه وطلب منها أن تثبت إنها تستحق أن تكون فارسة إرم ستكون أول من يملك سيف إرم من كل نساها إنه يراها هناك وليس لها مكان سواه

ليس لها الحق في العيش إلا هناك، ثم قام شديد ومد يده إلى أروى سائلا عن قولها، ابتسمت في سعادة ووعدته أنها ستأتي به من أجله وأن لن يكون لها حق الوجود على أرض إرم شعر بالفخر من كلماتها ولم يكن يعلم أن ذلك الطموح قد يكون لديه مسار آخر.

أفاق من غفلته عندما سمع طرقات على الباب خرج شديد من غرفته وسأل عن تائر فأخبره أنه ذهب إلى شيخان قبل قليل لابد أن هناك شيء ما.

جلس في غرفة مع شيخان ومعهم سليم الذي بدا عليه السعادة لوجوده جوار تائر لوقت طويل، وظل يتحدث في أمور عدة منها عن أموره في المدينة عندها قاطعه سليم..

_ أين كنت تعيش قبل قدومك إلى هنا يا عم تائر؟
نظر إليه قائلاً:.

_ على أرض أخرى تبعد كثيرا عن هنا ولما تركتها.

عندها طلب شيخان أن يتوقف عن أسئلته تلك وأن يذهب إلى أمه، ويحضر لك الحلوى ليقدمها إلى تائر وأردف أن يخبره بكل ما حدث معه في المدينة، وما الذي أجبر أسر على إعادة ما سلبه مني، رد عليه أن أهم شيء إنه قد تم ما أرد ما كان ليغفر له، وهذا بفضل وشاحك تعمدت أن أظهر وأتجول في المدينة وكأنني أبحث عن مكان للراحة وكنت أتمنى أن أجد الفرصة لمعرفة رجل يدلني عليه، ولكن لم أكن أعلم أن هذا الرجل هو صديقي الذي كان له سبب إني موجود اليوم هنا.

سأله شيخان عن كيفية علمه أنه سيلتقي به أخبره نأثر أنه لم يكن يعلم ولكنه تمنى هذا، وأهم ما في الأمر أنه تم، أوماً شيخان رأسه إيجاباً ثم قال: .
_ إنه قد أخبر كبير بإعطائه مكافئة.

رد في هدوء إن كان يريد مكافأة لأخذت كل ما لديه، ثم أخرج زفيره وأردف أن ما حدث سابقاً كان خطأ، ووجب عليه معالجته وقد تم سأله شيخان عن سبب فعله هذا قطع حديثهم دخول سليم قائلاً: .

هذه الحلوى صنعت من الزيوت التي أعطيتها لأمي قبل شهر ما زالت لدينا منها، وتقول لي أمي: .

_ من الجيد أن المحافظة على الأشياء الجميلة.

عندها طلب منه جده أن يذهب إلى أمه الآن يريد التحدث مع العم نأثر قليلاً، خرج سليم دون اعتراض حيث وأردف: .

_ أريد أن أنشئ متجر للثياب الزخرفية كما تعلم ليس لدي المعرفة الكافية في هذا لذلك تقدمت إلى سيدة جيلان بأن تهتم بذلك على هذا الأساس فإن لديها من المعرفة الكثير كما قال نامق.

رد عليه نأثر: .

_ ذلك من الجيد أن تجتمع بين معرفتك في بيان وخبرة السيدة سوف يكون شيئاً فريداً.

_ بالتأكيد ولكن بوجود شخص مثلك ليتابع العمل سيكون أيضاً جيد إنني أرى أنه من الجيد أن تباشر العمل مع السيدة.

ظهرت على نائز علامات الرفض حتى أردف شيخان أنه قد قصده في ذلك حتى يتولى نامق أمور المتجر الآخر يريد منه أن يتولى هذا، فما حدثه نائز أنه سعيد في عمله كصياد معتقدا أنه يستطيع أن يصنع شيء ما لنفسه بهذا العمل ولا يعتقد إنه سيرحب بالعمل في متجر الثياب، رد في حيرة مؤكدا أن هذا سيكون عمله أيضا سيكونون شركاء و لن يشعر أنه يعمل لدى أحدهم، أخبره في هدوء ان يعذره لا أستطيع أن يقوم بهذا الأمر لا يقوى على عقد هذه الصفقة لا يريد مساعدة سوف يقوم بحياته كما هي، استنكر كلامه قائلا:.. هذه ليست مساعدة ولكن قاطعه نائز أنها كذلك أو كما قال فيما سبق أنها مكافئة أنه لن يقبل بهذا، ولكنه سيكون دائما موجود من أجله ولن يمنع يده عن المساعدة عندها رد في حدة متعجبا من رفضه و لا يعلم ماذا يقول؟ وسأله إن كان لا يرد العمل معه أم أنه يريد أن يمتلك شيئا ما، قام نائز من مكانه سائلا عما يقصده وقف أمامه شيخان قائلا:..

_ أنت تعلم ما الذي أقصده؟ تريد أن تمتلك شيئا خاصا تحصل عليه إما الآن أو غدا.

تبدأ علامات الغضب على وجه نائز قائلا:..

_ إن كنت أريد التملك كما تدعي ما أعطيك شيئا كنت اهتممت بحالي، أنا من خاطرت بحياتي، و أعلم لما أعطيتني وشاحك أنت عليم، ولهذا قررت أن أفعل ما فعلت أخبرني أين التملك؟

لا تزال علامات الحدة على وجهه وأخبره أنه لا يقصد هذا التملك إنه يريد تملك شيئاً آخر أم يقول أحدهم، لا أحد يستطيع أن يمتلك أحد، ولكنه يحتوي على قلبه أم لازلت لا تثق في زنيم هكذا تطلق علي، أليس كذلك ذلك زنيم الذي أعاد إليك حقك الذي رد لك كرامتك الذي لم يطلب منك شيء سوى الاحترام، لا أعلم إلى متى ستظل تعلق بهذا اللقب أنا لست زنيم ولكنكم أنتم من تريدون أن تروني هكذا.

وازداد غضبه وانفعاله حتى قال شيخان:.

_ ماذا استهاجمني الآن؟

أدار نائراً ظهره وحاول أن يهدأ وبدا الصمت للحظات قال:.

_ أنا لا أقصد شيئاً، مما قلت ولكني أخشى على ابنتي لا أريد أن تمر بما مررت به من قبل، كيف لك أن لا تفهمني؟

_ أنا لن أجعلكم تمرّون بهذه ثانية قد لا يكون ليس لدي الحق في هذا، ولكن ما تريده مني سوف أفعله.

_ لهذا أخبرتك أنني أريد أن أأتمنك علي تجارتي.

_ لا أنت لا تريد هذا أنت فقط تريد أن تتأكد أنني سوف أفعل مثلما فعل الآخر ولكن سوف أخبرك أمراً حبك لابتك أن تفعل كل ما تستطيع حتى تراها سعيدة بينما هو لم يفعل شيئاً حتي يستحقها ولهذا عرضت علي هذا وأنا أخبرك لا يا سيد شيخان.

وضع يده على كتفه من الخلف والتف في هدوء..

ـ أعلم أنك ستكون عظيمًا يومًا ما ليس فقط في بيان إني أثق بك يا ناثر، وأشكرك على إرجاعك حياتي أشكرك على كل ما فعلته من أجلي من أجل تلك العائلة التي لم تعلم عنها شيئًا ولم تتكاسل عن مساعدته.

و بعد أن أنهى كلامه استأذن للمغادرة وقد سمح له شيهان على شرط أن يعيد زيارته إليه مرة أخرى، وعندما خرج من البيت متجها إلي بيت جيلان محاولا أن يمنع عقله في التفكير فيما حدث، و لاحظ خروج أحدهم من البيت وركب الحصان وغادر باتجاه المدينة بالتأكيد لم يأخذ الكثير من الوقت حتى أخبرته جيلان أنه بندق انتظر لتكمل حديثها:.

ـ عندما غادرنا وتركنا خلفنا هؤلاء الرجال أخذهم بندق ورجاله وأبلغ السيد تيم بما حدث ثم طالبه بإقامة المحاكمة بأقصى سرعة عندها أخبرني أن هذا كفيـل بأن يطيح بأسر أو على الأرجح سوف يبعده المنصة وتزال عنه الحماية، وعندما أحضر الرجال إلى البرج وقف هناك وكان موجود الحاكم وأتباعه حيث اتهم أسر بإفساده على أرض إرم ولكنه قال أن ليس لديه عمل في حرث ولا يعلم ما الذي يفعله هؤلاء هناك يبدو أن هناك خطأ وعندما سأل الرجال أنكروا معرفة أسر بوجودهم في حرث لابد أنه كان يعلم أن هذا سيحدث هو ليس بهذا الغباء، ولكن تم استبعاده من قصر الحاكم ونفى الرجال خارج إرم ما تبقى لديه أحد سوى عمال المتجر اعتقد أنه ليس لديه شيء يستطيع أن يفعله حتى لا يكلفه كل شيء.

ذهب بندق مسرعا يريد أن يبلغ تيم أن جيلان في أمان وقبل غروب اليوم التالي وصل إلى البيت وجلسه معه أن كل شيء على ما يرام، و عن الأوضاع معهم الآن وأنهم يجلسون في بيت السيدة جيلان القديم ولا أظن أنهم يهتمون بما حدث في حرث، ولكن تيم أخبره أن لن تقبل إرم بتشتت أبنائها عن بيوتهم وأنهم يجب أن ينفوه بعيدا عن إرم.

أكد بندق حديثه أنه يعتقد أن هذا الأمر سوف يصير خاصة بعد رفعت أيدي مساعد الحاكم عنه وإن قدم على شيء سيصبح مصيره النفي ولا يعتقد أن رجل مثله لن يثار لما حدث معه لهذا سنراقبه وإن كان هذا آخر عمل يقوم به، أكد تيم علي كلامه وسمح له بالانصراف ودخل غرفته ورأى زوجته ولكنها صامته لا تتحدث عندها قال:.

_منذ متى لم تلاحظي وجودي؟

قالت له في هدوء:.

_أعذر.

ووجد منها اللامبالاة في حديثها وسألها عما يصير حديثه سنوات، وهو يخفي شيئاً فقط يرفض التحدث ثم نظر صوب عينيها وتقدم بعض خطوط قائلا:.. ماذا هناك؟ فسألته دون وعي هل لازلت مغرم بها؟ ظهرت عليه الغرابة سائلا:.. كيف لها أن تتحدث عن امرأة أخرى؟ كيف لها أن تتحمل كلمة عشق تخرج منه؟ فأجابته بعد أن وجدت منه الكثير من الحب فعلت كل شيء حتى ترضيه معتقدة أنها لم تخالفه في شيء، قد مرت سنوات حياتها في خدمته وذلك لأنها تحبه، ولكن صمته حول جيلان

وتجنب مصارحتها في الأمر يرهقها كلياً وتمنت أن يخبرها هل مازال مغرم بها فحاورها أن لا يعلم ما الذي تريدينه؟ كيف لها أن تتحدث في الأمر بعد مرور كل تلك السنوات متعجبا كيف لامرأة أن تسمع حديث زوجها عن امرأة أخرى؟!

رد عليه بعد أن ابتعدت عنه قليلا. وذهبت باتجاه شرفتها قائلة:.

_ لا يشغل بالي من تكون عندك إن كنت تقدر شيئا قد فعلته لك من قبل، ولكنني أردت أن أبعد ذلك الفضول الذي داخلي الذي صاحبي كل تلك السنوات إذا وضعتك في صندوق لن تتحمل وجودك دخله دقائق فما قولك في وضعي أنا داخل الصندوق الحيرة طوال هذه السنوات أن كانت تشغل حيزا كبيرا في عقلك فلا يهمني هذا، ولكن ما يهمني إني فعلت كل شيء أنا ما تزوجتها وأنا من أنجبت منها أنا من شاركتها حزنك وفرحك وليلك وسهرك وبعد كل هذا تأتي لتشغل حيز أكبر مني في عقلك.

أخرج زفيره في هدوء مستنكرا حديثها:.

ما الذي تقولينه؟ أنتِ زوجتي أنتِ نور حياتي. هل تعتقدين بعد كل هذا سيكون هناك أحد يشغل عقلي غيرك. كيف يعقل هذا؟ صحيح أنني تزوجت بناء على رغبة أبي ولكنك من أجبرتني أن أؤدس الحياة معك واعتنائك بي كالطفل في هذه الحياة، هذا لا يدعمني أن أهجر من عقلي كيف وأنتِ أخبرتيني أنك كل شيء إن أردتي أن أخرج الآن وأثبت عشقي لك سأخرج. افعلي ما تريدين أخبر العامة أن زوجة الحاكم صاحبة الفضل عليه.

لتهدأ ملامحها قليلا قائلة:..

_ هل نجحت في جعلك تعشقني سؤال دائما ما يجوب في عقلي ولكن لماذا تحدثني عن جيلان حتى يرتاح قلبي؟

ثم نظر إليها صامتا لترجع أمامه واضعة يديها أمامها وهو جالس ناظرا لها وهي تتوسل إليه أن يبعد القيود الملقاة على قلب يخشى أن ينبض بالغيرة ثم نظرت صوب عينيه وأردفت باحتياجها للراحة مما هي فيه والدموع قد ملأت عينها، رق قلبه ونزل وجلس أمامها مؤكدا على أنه عاشق لها ولا لغيرها في فؤاده مكان. وسألها عن سبب اهتمامها أخبرته أن قلب المرأة يشعر بكل شيء لا يجهل ما تشعر به خاصة في تلك الليلة التي أتى فيها من حرث في ليلتها، وجدته يذكرها كثيرا فحدثها أنه قد ساعدته في أمر ما لا أكثر وأنه قد رآها وهو عائد من حرث، وقبل أسبوعين قد وقعت في إحدى المتاعب بسبب عمله ومساعدتها له ولا يحق لها التدخل في هذه الأمور ولهذا ساعدها وإن كان قد ذكرها نائما كما تقول، فهذا لا يعني إنه لا زال يحبها ولكن يقدر ما فعلته يقدر كل شيء يحتوي على العشق الحقيقي للوفاء من قلبها الذي قد دفن حيا أنا لست مغرم بها وعندما نهى تبريره للأمر أمسك بذراع زوجته ونهضوا قائلا:..

_ بعد أن تم عمل أبيها في بيان عاد إلى المدينة، ولكنه واجه الكثير من الأخطاء في عمله بسبب ابنته التي رفضت روحها أن تتبعهم إلى المدينة، وظلت شريفة تطوف على أرض بيان ظننت أن باستطاعتي أن أعالج هذا الأمر، ولكنني أخطأت عندما ذهبت إلى بيته في أحد الأيام دخلت ولكني

شعرت أن هذا البيت مهجور لا يوجد به حياة حتى من يعملون به كأنهم خيالات تمر من علي، جلست معه وأنا أنتظر رده عما قلته سابقا من أجل الزواج من ابنته، أخبرني عن الوقت لا يسمح وإن صدمتها كانت قوية خاصة بعد أن سمعت حديث الرجال الذين أرسلوا مراقبته فيه بئر بيان، كيف غرق؟ وكيف استنجد؟ معتقدا أنه بفعل الأمر الصحيح مع ابنته ولكن طلبت منه أن أتحدث معها أستطيع أن أخفف عنها، وذهب ليحضرها ولم أنس حالتها التي دخلت بها علي شحوب علي وجها تكاد أن تقع وهي تسير على الأرض في ضعف لم أستطيع أن أبعد النظر عنها لم أستطع أن أمحي الدهشة من علي وجهي حتى جلست أخذت بعض من الوقت حتى خرج الكلام مني وسألتها عن أحوالها ولكنها لم تجيب نظرت إلى والدها الذي رأيته خافض نظره إلى الأرض، بدأت أخبرها عن رغبتني في الزواج منها وهذا الأمر وسوف يساعد كثيرا في تحسين حالتها، ولكنني لم أجد رد فأخبرتها أن إرم أخذت ما أعطت جزاء لما فعل، سمعتها تحدثني أنه من إرادة شيء عليه أن يثبت أنه يستحق الحصول عليه ثم نظرت إلى والدها ولكن عينيه لا تفارق الأرض في ضعف.

حتى أردف:.

كيف تستحق الزواج بي؟

فقلت لها يوما ما سوف أصبح حاكم إرم ألا يكفي هذا؟ ردت علي في ثقة أن علي أن أمر إرم أن ترجع ما سبته، ذهلت من حديثها ولم أستطع الرد حينها قامت من مكانها واقتربت مني في صمت، ثم أردفت لا يستطيع

حاكم إرم أن يفعل هذا، إذا فكيف أستحق أن أكون حاكم لها نهضت من مكاني لأقف أمامها وأنا أخبرها بأن ما تقول له ليس له شيء من الحقيقة، فقالت لي:.

_ إذا أخبرها أن تأخذني بداخلها كما تأخذ الآخرين.

ولما سألتها عن كيفية حدوث هذا قامت بدون توقع في لحظة شرود بسحب الخنجر مني في سرعة طعنت نفسها وهي تقول:.

_ هكذا.

انتفض والدها من مكانه وأبعد الخنجر عنها ووقعت بين يديه وأنا لا أصدق ما رأيت قمت بحملها، وضعها على الفراش وأتيت بالطبيب، وانتظرت خارجا وكاد عقلي أن يجن من أين أتيت بكل هذا؟ وبعد أيام ذهبت للاطمئنان عليها، ولكن والدها قد منعي من الدخول إلى غرفتها و قد طلبت مني أن أغادر من المدينة إلى قرية حرث، وعندما حدثته وجدته مصمماً على هذا بعد أن وجدت أنه لا أمل في علاج ابنته، وتوسل إلي حتى أعزله من منصبه ويكون من عامة إرم لم أكن أتخيل أبدا من الممكن أن يحدث هذا، ومرت الأيام وأتممت ما أراد وقدمت إليه المساعدة في حرث حتى استوطن البيت على أطراف القرية، وقد منعت نفسي من أن يكون هناك وصال بهم لأنني أدركت أنه ما بقي منها سوى جسد لا يريد أن يكون حر، وظللت أتساءل عما يحدث، هل هناك عشق بهذا القدر حتى تدمر الحياة من أجله؟

ظلت زوجته تسمع له وشعرت بالتعاطف مع تلك المرأة حتى استطرذ..
 ومرة الوقت والتقيت بك حتى ملكتي فؤادي وجعلتني من رجل لا يستحق
 أن يكون حاكماً لتلك الأرض إلى رجل جدير بها وإن كنت تسألي لم أذكر
 اسمها تلك الفترة؟ لذلك لأنه قد ساعدتني في الإطاحة بأحدهم وإنقاذ
 بعض الأشخاص من يديه والآن هي في ضيق، ويجب عليّ أن أساعدها أنا
 سبب ذلك قد يكون لم أستطع أن أساعدها فيما مضى ولكنني أقوى على
 ذلك الآن.

ثم اقترب منها وضع يديه على كتفها، ونظر صوب عينيها التي لم تفارق
 وجهه قائلاً:..

يجب أن تحترمي ذلك ولا يجب عليك أن تغضي بصرك على شيء.

قامت بإنزال يده من عليها مغادرة الغرفة في هدوء:..

في نفس الليلة جلس أسر وحيداً يفكر في ما حدث معه وفناء كل شيء قد
 عمل عليه منذ سنوات حتى زوجته التي تعجبت مما سمعت، وأنكرت
 كل ما قيل لا تريد أن تسمع شيئاً آخر، ولكنها تراه معظم الوقت شارد
 الذهن كلما اقتربت منه حاول أن لا يظهر شيء أبداً، ومع ذلك ظل ثائر و
 أصدقاؤه يعملون في بيان محاولين انسجامهم كالعادة يتجمعون في الليل
 ويتحدثون وأيامهم تتشابه مع بعضها إلى أن أتى شديد بفكرة وعرضها على
 نامق، ولكنه رفض ومع إصرار شديد على هذا وفضول ثائر عن تلك
 الرياضة.

اتفقوا على الالتقاء في الليل بعيدا عن الأنظار حتى لا يحصلون على جزاء ممارستهم لها وعندما أتى الليل ذهبوا إلى إحدى الأماكن في صحراء بيان. قام شديد بتحديد دائرة بالمشاعل وبدأ بشرح ما سيفعلونه إلى نائر حيث قام كلا منهم بخلع ثيابه العلوية وستر الجزء السفلي، ووقف كلا منهم بعيدا عن الآخر بخطوات إلى أن تقدم شديد بإظهار عرض لتوضيح ما سيفعلونه حيث هجم نامق على شديد أمسكه من جسد ومحاولة طرحه أرضا، ولكن مع ثبات شديد ومقاومته لم يقوَ، ورفعهُ وألقاه أرضا ثم عاد إلى مكانه مرة أخرى، وما كان على نائر إلا الاستمتاع بهذا المنظر عندها سأله صديقه إن كان أدرك ما الذي عليه فعله؟

أوماً رأسه إيجابا، ومرت بعض اللحظات حتى هجم نائر على شديد محاولة الإيقاع أرضا ولكنه تفاجأ بهجوم نامق عليهم هم الاثنان ويوقعهم أرضا والابتعاد مرة أخرى حتى قام كلا منهم وعاد إلى مكانه، وأعادوا ذلك مرة تلو الأخرى بعد أن أدراك نائر أن لا يوجد قوانين وكل شيء مباح فيها، لهذا قد منعت من ممارستها ظل هجوم كل منهم على الآخر محاولة الإطاحة به، ولكن كل تلك المحاولات قد أرهقهم بالفعل ولكن ما زال يتنافسوا إلى أن قام شديد بالهجوم عليهم في عنف شديد وأطاحهم بالقرب من الدائرة، وكادت إحدى المشاعل أن تحرقهم، ولم يقوَ أحدهم على النهوض مرة أخرى، تفاخر بجسده وهو يلتف حول نفسه فاتح ذراعيه وضحكاته تعلو، نظر نائر إليه غير مدرك لما أراه في عين شديد من قوة وحقد هل أراد حقا إحضارها؟ وعندما انتهى ارتدوا ثيابهم وجلسوا يتحدثون حيث قال نائر:.

_ لم أرَ مثل تلك النظرة في عينيك من قبل حتى ملامح وجهك كانت مختلفة إلى حد ما ماذا حدث؟ أخبرني.

رد علي شديد..

_ لهذا تنهي عادات إرم على ملابسها؛ لأنها تخرج شيء ما بداخلك ربما هو شيء لا يجب عليه الخروج حتى لا تفقد السيطرة عليه كل أهل إرم بداخلهم ذلك الشيء، ولاحظ أن دفاع نامق نحوي كأنه عدو لي يريد القضاء علي وعندما أطاح بنا أول مرة أعتقد أنك رأيت ما يشع من عينيه هل ذلك نامق الذي تعرفه؟

عندها نظر ثائر إلى صديقه رآه مبتسما ولا يعلق بشي حتى أردف..

_ إن تلك الرياضة تجعلك تخرج ما بداخلك من شر الغضب حتى يرتاح قلبك ولا تشعر بشيء حتى تصفي ذهنك.

أخبره ثائر عن علمه بصفاء الذهن يأتي مع الاسترخاء..

_ بالفعل يا صديقي ولكن قليل من يستطيع أن يتعامل مع الأمر بتلك

السهولة لما تخرج الغضب من داخلك تنطفئ ناره، ويعود إلى الخمول ويعود مرة أخرى ولهذا نقدم ممارستها في الخفاء من الحين إلى آخر لما في الخفاء.

رد عليه نامق..

_ لأنها ممنوعة في الأرض حتي لا تؤذي أحدا دون أن تعلم أو تشعر أنك لست على طبيعتك أنها علامة علي ما كان عليه أجدادنا من قبل، وذلك

شيء حاول الحاكم أن يمحيه من عقول العامة حتى لا تذكر شيئاً سوى ما هي عليه الآن، أما ما كانت عليه من قبل شيء يطول إدراكه ولكن أعلم أمرين: الأول أن تلك الأرض ما كانت تسمى إرم من قبل، والأمر الثاني أنك لا تبني مدينة إلا على حطام مدينة أخرى وكما هي أفكارك ولا تقتنع بها إلا إذا وجدت ما ينفي وجودها من الأساس شيء مقابل شيء.

عندها قال شديد لا يجب عليه أن تخبر أحد بما حدث الليلة، وإلا وقع في مشكلة كبيرة، أوماً رأسه إيجاباً، ولكن كان يوجد هناك الكثير من الأفكار في عقله وعلامات الاستفهام وعندما قام شديد ونظر حوله كأنه لمح أحدهم يرزقهم، ولكنه لم يكن متأكداً مما رأى وعاد إلى البيت وسألتهم جيلان عما كانوا يفعلوه فقال:.

_ كنت أعرفكم على بعض الأشياء التي كانوا يجهلون بها في بيان؟

_ قالت ذلك جيداً لأنكم سوف تقومون بمساعدتي في نقل تلك الأثواب إلى المتجر غدا صباحاً أظنكم، مررت به في طريقكم.

وبعد مرور الوقت خلد كلا منهما إلى النوم تارك جيلان وتالا أن ينهوا عملهم حتى الصباح وحمل كل منهما يستطيع أن يحمله واتجه إلى المتجر لوضعها وترتيبها وعندما جيلان مع رفيقتها انصرف كلا منهما إلى عمله حيث كانت تالا تقوم بوضع القطع مع بعضها حتى تتماشى مع كل قطعة من الثوب، ودخل شبحان المتجر ناظر إلى ما قد صنعوا من ثياب وزخارف التي تحمل معنى البساطة التي تحمل الرقي والكمال على الرغم من أنها ليست بماء من ذهب، ولكنها أبهرت عينيه حتى لاحظت جيلان

وجوده وسألته عن رأيه فيما يرى ولكن لم تحتاج إلى إجابة منه فقد ظهر قوله على ملامح وجهه، فقد وقف لا يفعل شيئاً سوى النظر إلى ما صنعوا وبعد للحظات تقدم إليهم قائلاً:.

_ أعتقد أن هذا سوف يترك أثراً كبيراً في تلك القرية خاصة أنه من نسيجهم وأمام أعينهم ولكن ذلك سيأخذ بعض الوقت.

ثم تحرك عدة خطوات في المكان التفت إلى تالا بعد أن سمعها تتحدث:.

_ أعتقد أننا قمنا بما يلزم فهناك تلك الجودة كما هي مصانع إرم مع بعض الزخارف التي قد تلفت انتباه أهل بيان مع بعض الخامات التي تتماشى معهم وأيضا تتحمل ظروف عملهم في الصيد فكانت تتلف الثياب بسبب الماء والحركة المستمرة وهذا يعطي لنا الحق في المشاركة بالتأكيد التكلفة كبيرة ونسبة الربح بسيطة، ولكنها سوف تجذب بها كثير من رجال الصيد حتى أطفالهم الذين يساعدهم يوجد بها تلك الخامات أيضاً.

_ لا تنس أننا لا نستطيع أن نرفع المقايضة فهي موحدة على الجميع.

_ بالتأكيد قد لا توفر الكثير من البدائل ولكن مع مرور الوقت أصبح لنا معدلنا الخاص من يظن إن بعض التجار القرى الأخرى سوف يحصلون عليها وعندها سوف نتيح للكثير من نساء سير العمل دون الحاجة الخروج من البيت.

أعجب شيجان بها قائلاً:.

_ الثقافة التي تملكينها مبهرة، وأظن أنك سوف تحققين ما تريدين.

وعندما أنهى حديثه غادر والتقى بالسيد كبير، وطلب منه أن يأتي إليه الليلة، وما إن غادر كانت نظراته إلى متجر الثياب من الحين إلى الآخر حتى انتبهت له جيلان مدركة أن تلك نظرات الكره التي طالما تمت أن لا تلقاها أبدا، وقد فكرت في أن تذهب إليه وتحذره ولكن كان قلقا أكبر من ذلك، ولكنها أدركت أن دائما هناك الوقت المناسب للحدث في الأمر، عندما وصل شيحان إلى بيته وقبل ابنته قبل جبهتها وجد فارس مع سليم في البيت وقد استأذنوا أن يدخلوا الغرفة ليمرحوا قليلا، ولكن بدا على فارس بعض الحزن وعندما سأله سليم عن الأمر أخبره أنه يفتقد أصدقاءه ولا يعلم ماذا سيحدث بعد ذلك؟ رغم أنه يشعر بالوحدة هنا يسعد أنه يتعرف على الكثير من العامة. رد عليه سليم: أنه ليس وحيدا طالما هو موجود وسوف يذهبون للتعليم سويا، ولكن لا يشعر بأنه وحيد.

شكره فارس عما قاله وأردف:.

_ ما الذي تفعله لقضاء يومك يا سليم؟

بعد أن انتهى من التعليم، أقوم بالجلوس مع أمي وأحيانا مع جدي لا أخرج كثيرا للالتقاء بأصدقائي لا أعلم السبب ولكن أشعر بالراحة عندما أكون وحدي.

_ أنا عكسك تماما أنا أحب أن أجلس مع أصدقائي وأن أتعرف على آخرين هكذا أكسب وقت للمرح.

قام سليم بإحضار أشيائه وعرضها على فارس، لفت نظره مصباح إرم المنير وأخبره إن كان لديه واحد من هذا في بيته في المدينة، فرد عليه أن نأثر قد أحضرها إليه ولكنه لم يقوَ على الحضور تلك الليلة لا يعلم لم؟ فحدثه فارس أنه يشعر بالسعادة عندما لا يتحدث معه، وظلوا يتحدثون إلى أن دخلت ضفيرة، وجلست معهم وهي تتخيل أنها قابلته وحدثته بحبها، وأتى هو ليطلب يدها للزواج حتى أفاقت من غفلتها وهي تبسم بعد أن طلب من فارس الذهاب إلى البيت أخذته، وخرجت متجهة إلى بيته وظل عقلها يحدثها بالتأكيد يريد الزواج مني، لقد رأيت منه الكثير من الحب والاهتمام ولم قد يعرض نفسه للخطر؟ إلى أن وقفت أمام البيت، وطرقت الباب ولم يجب أحد، أخبرها الطفل لابد وأنهم مازالوا في المتجر، ولم يعد بعد من العمل، ابتسمت له ثم ذهبت إلى قلب بيان والتقت بهم وعرفتهم على نفسها لتملاً وجه جيلان السعادة وحدثتها أنها سمعت عنها الكثير من نأثر حاولت أن تداري خجلها حتى طلبت منها أن تجلس بجوارها، وظلت تتحدث عن أمور كانت ترادف عقلها وعندها امتلكتها الشجاعة للنظر إليها قائلة:.

_هل تظنين أنه من الممكن؟

ثم صمت قليلاً ومن ثم قالت جيلان:.

_وهل هناك ما يمنع ذلك؟

أومأت رأسها بالنفس، ولكنها تخشى من القادم وبعد أن أنهوا حديثهم ذهبت إلى متجر كبير لشراء بعض الزيوت، ولكنها وجدت نأثر هناك

ارتبكت ووقفت مكانها متخشبة، لاحظ كبير نظراتها إلى نائر الذي بادلها تلك النظرات قام وأخبرها أن نائر سوف يجلب لها ما تريد وأن لديه أمرًا عليه أن ينجزه، وقف نائر وسألها عما تحتاج، ولكنها تسأله عن حاله أولاً أخبرها أنه بخير، وسألها كيف له أن يساعدها؟

_ لقد فعلت بالفعل.

_ ما الذي تقصدي؟

_ أخذت منك بعض من الزيوت وكانت مفيدة جداً.

_ هل تريد بعض منها؟

_ أريدك أنت ... أن تحضر لي بعض منها.

ذهب إلى أحد الأرفف سألها:.

_ كيف حال فارس؟

_ كان يخبرني قلبي أنك بخير ... إنه بخير.

وتمر اللحظات لسمع صوت من خلفه:.

_ هل تقبل بي نائر؟

التفت إليها في صمت ومر اللحظات وكأنها أثقل من أبراج إرم وهز رأسه بالنفي، وقبل أن يتلفظ نائر بحرف قد خرجت مسرعة عندها قبل كبير وقد رآها تبكي، دخل إلى المتجر قائلاً:.

_ ما الذي فعلته؟ أخبره لا شيء، أخبرني ما الذي حدث؟ لقد طلبتني وأنا رفضت.

رد عليه في غضب:..

ـ أنت لا تعلم شيء كيف لك أن لا تقبل بها، أعلم ذلك إنك سوف تحزن بقية حياتك أنا أتعجب منك، لقد خاطرت بحياتك من أجلها ولن ترفضها. لاحظت خلاء صديقتها متجهة إلى البيت في سرعة، فذهبت خلفها وعندما طرقت الباب وفتح ابنها سأله عن أمه أمامها:..

ـ بالغرفة.

دخلت ووجدتها في حالة انهيار لا تتمالك نفسها عندما رأتها، قامت إليها واحتضنتها لتهدئ من روعها، وفي نهاية اليوم خرجت خلاء عائدة إلى المتجر، وقد رأت شديد يقف مع أخيها فأخبرته أنه حان وقت الإغلاق وعليه أن يذهب إلى البيت، وسوف توفيه بعد قليل إلى أن ذهب، ووقف شديد عندها قالت:..

ـ هل أساعدك في شيء؟

ـ لا شيء فقط إذا كنت تستطيعين أن لا تخبر أحد عما رأيته تلك الليلة.

صمتت قليلا ولكن سرعان ما قالت هذا يعتمد على سبب مراقبته تلك الليلة سألهما إن كان هناك اتفاق ومن ثم أردف إن كانت تريد هذا حقا تأتي لمقابلته عند شاطئ بيان بعد الغروب وذهب دون أن ينتظر منها رد، وتفاعلت من جراته ولما دلفت إلى بيتها عندها دخل أخوها إلى غرفتها قائلاً:..

ـ ما رأيك في شديد؟

_ ما به؟

_ إنه رجل جيد وقوي أيضا.

_ إذاً هذا رأيك فيه.

_ أنا لا أعتبره رأي ولكنني أعتقد فيه صفات جيدة، ولا عجب في أن أخته كانت قوية مثله حتى أنها كانت بارعة في استخدام السيف مثلك تماما.

ثم خرج وأبدى على ملامحها الفضول لتقرر الذهاب إلى شاطئ بيان حيث وجدته واقف ناظر إلى البحر وعندما اقتربت منه سمعت..

عندما دخلت إلى المكان كان مليء بالعامة من أهل المدينة ظلت شاردة من المنظر لا تصدق أنها تنافس على سيف إرم نظرت إلى حتى تشعر بالاطمئنان وتقدم المنافس لها وبدؤوا في القتال كنت أنظر لها وتملأني الحماسة وهي تقا تل بكل قوة وتعلو صوت ضرباتها وتلتف وتهجم بقوة، وكان حياتها على المحك، وكلما تشعر بالضعف تنظر إلي حتى تستمد قوتها وتعافر من أجل تحقيق حلمها، ولكنها شعرت بالخوف عند هجومه عليها ووقعت أرضا، وسقط من يديها السيف وعندها أعلن الحاكم عن فارس إرم الذي استحق هذا المكان فلم أستطع منع نفسي من توبيخها تلك الليلة حتى أنني لم أتمالك نفسي وقمت بنهرها بشدة وعندما أدركت خطأ ما فعلت كان قد انتهى كل شيء.

لتسأله..

_ ما الذي حدث؟

قامت بطعن نفسها في غرفتها وظلت تنادي علي وتطلب مني أن أمامها، ولكنني لم أستطيع أن أفعل لها شيئاً فقط وقفت أنظر لها وأمي وأبي يصرخان في وجهي أن أساعدهم، ولكنني قد تجمدت مكاني لا أعلم ما الذي حدث تلك الليلة لقد كنت السبب في موت أختي ولم أشرع لإنقاذها، لم يستطع والدي العيش مع الأمر فأخذتهم إرم حتى يكون جزاء لما فعلت أن أكون وحيداً.

تقدمت إليه ووضعت كلتا يديها على كتفه من الخلف، وقامت باحتضانه قائلة:.

_ أنت لست وحيداً، وقد نلت ما يكفي من الجزاء كنت أظن أني وحيدة أيضاً، ولكنني أدركت الآن أنك من تعلم معنى الوحدة الحقيقية لا أعلم كيف حدث هذا؟ ولكنني أرى فيك أبي دائماً، كان يعاملني كالرجال حتى أصبحت على ما أنا عليه، ولم يرغب بي أحد.

التفت إليها، ونظر صوب عينيها قائلاً:.

_ هل أنا جدير بك هل أستحقك؟

لتنظر إليه صامته وبدأ على وجهها القبول وأردف:.

_ هل تقبلي بي؟

في صباح اليوم التالي قد ظهر على وجه جيلان السعادة لما سمعته من شديد ورغبته في الزواج لم تتمالك نفسها حتى طلبت منه أن يذهبوا في نهاية اليوم للتحدث مع والدها، ولكنه رفض وأخبرها أنه يجب أن يتحدث معه أولاً ليعلم رأيه، وعندما بلغ هذا الخبر كل من في البيت اشتد فرحهم، ولكن نائر

غير موجود بعد حتى يسمع ما قيل، وبعد انطلاقهم إلى العمل وجد شديد بالقرب من محبوبته التي ظلت تبادله النظرات حتى مر عليه نأثر وأخبره بما حدث وامتلأ قلبه بالفرح.

وقبل غروب اليوم ذهب شديد إلى والد خلاء وطلب منه التحدث معه بعض الوقت عندها ظهر على خلاء الخجل، وطلب منه أن يأتي إلى بيته بعد الانتهاء من العمل ويكون ضيفه، وعندما غادر وذهب شديد إلى البيت حتى يجهز نفسه وكانت جيلان تخبره أن يكون واثق من نفسه وكلماته في هدوء ولا يظهر أي شيء من الخجل أو التوتر وإن لم يتقبل الحديث منك أخبرني وأنا من سارد عليه ليتسم شديد قائلاً:.

لا عليك فقط أنها محادثة بسيطة.

وعندما ذهب إلى هناك طرق الباب ليفتح الرجل ويدعونه إلى الدخول، حيث جلسوا وانتظر قليلاً حتى بدأ شديد في الكلام.

ظهرت على الرجل ملامح الدهشة قائلاً:.

أنت جديد هنا، ولم أراك كثيراً، ولكنني أتساءل كيف لك أن تستحق ابنتي، وأنت لا تعرف عنها الكثير.

ليقول شديد:.

يكفي أنها تربت علي أيد رجل مثلك حتى يكون حياتها هو المسار الصحيح.

ليقوم الرجل قائلاً الكلمة بعد المشورة
ليذهب إلى ابنته في الغرفة ويجدها في حالة من التوتر والخبجل لم يعرفهم
من قبل في ابنته قائلاً:.

إنه هنا من أجلك فمال قولك؟

نظرت له قائلة في هدوء:.

لقد أرشدتني إلى كل خير في حياتي، فكيف لي أن يكون لي رأي بعد
رأيك؟!

ثم أخفضت نظرها ليقرب منها ويرفع وحجها بيديه وينظر صوب عينيها
ليريها تلمع من الفرحة حتى قال:.

فقط قل لي قبلت ولن يمر إلا أيام. وسوف تتزوجيني.

لتسع عيناها وتزيد ابتسامتها قائلة في هدوء:.

قبلت.

بعد أن انتشر خبر الزواج في كل بيان كانت ضفيرة تقضي معظم الوقت مع
صديقتها وحديثهم المتواصل على الحياة المقبلة عليها لتسألها خلاء:.

هل يمكن أن يكون بهذه السرعة؟

لترد عليها:.

ولم لا؟ إنها لحظة واحدة التي ندرك فيها عشقنا قد تتأخر، ولكن لا تزول
حتى نقوى علي مواجهة الحياة هل تظنني أنني لا نستحقها؟

_ لا أعلم ربما لأنني لم يدق العشق باب قلبي من قبل .
_ عليك أن تثقي بأن كل شيء قد قدرته تلك الأرض لنا لا يغيره أحد .
_ نعم أعلم ذلك .
ثم ذهبت إلى مرآة الغرفة، ونظرت إلى جسدها وهي تمشي يديها عليه
لتقترب منها ضفيرة قائلة: .
_ لا بد وأنتك تحترقي شوقاً .
لتضحك في خجل وهي تقول: .
_ كفالكِ عبثاً لقد كنت أنظر فقط على ثوبي وأرى أنه كان جميلاً .
_ بلى .
ثم أردف: .
_ لا بد وأن والدك مع أبي الآن، يخططون مكان زفافك سوف أذهب إلى
البيت . وسوف آتي بعد قليل .
لتخرج ضفيرة وتمر على والدها وتسأله إن كان في استطاعتها تقديم شيء
لهم ليخبرها بأن تذهب لإحضار ابنها من بيت جيلان، وكادت أن ترفض،
ولكنها وافقت وذهبت في حيرة تقدم قدم وتأخر قدم لا تعلم ما الذي
ستفعله إن رآته هناك؟
لتطرق الباب ويفتح ابنها قائلاً: .
_ مرحباً يا أمي .

ثم ناد على جيلان لتخرج لها وتطلب منها الدخول، ولكنها ترفض وتطلب منها أن تأخذ ابنها ولكنها أجابتها أنه سعيد بوجوده مع فارس، وتسألها الدخول مرة أخرى وكادت تدخل إلا منها، لمحت نائراً بالداخل فانصرفت في ظل تعجب جيلان إلى أن أغلقت الباب، ووجدت نائراً يقف وكان ينظر ناحيتها لتتقدم إليه وتسأله إن كان يحتاج شيئاً.

أوماً رأسه في بطن وعندها أدركه أن هناك شيئاً ما طلبت منه أن يأتي معها ودخلت به إلى أحد الغرف، وجلسوا إلى أن قال نائراً:

_ لا أعلم ما الذي يحدث معي؟ لم أعد أشعر بشيء.

_ ماذا هناك يا بني؟

_ عشقتها ولن أستطيع أن أكون معها.

_ لم؟

_ أحياناً أرى فيها كل شيء وأحياناً، أناقض نفسي حتى أبعد عنها.

_ إنها تحبك، وإن لم أعلم أنك تحبها ما كنت لأساعدك في شيء.

_ أعلم هذا ولكني لا أعلم لما قمت برفضها.

_ ماذا فعلت؟

_ قد سألتني إن كنت أقبل بها وأنا رفضت.

_ لم يا نائراً لقد فعلت كل هذا من أجلها؟ وأعلم جيداً ما مرت به من أجلك
لم قد ترفض من يريدك؟.

_ لا أريد أن أكون لها أملا في الحياة، ودون أن تدري يسلب منها.

_ وكيف هذا؟

_ أنا الغريب ولا بد أن أعود إلى أرضي، ولا أعلم كيف ولكنه شيء محتم عليّ فعله؟

_ خذها معك إذا سوف تقبل إن عرضت عليها.

_ كيف هذا وأنا لا أعلم أي شيء عن عودتي وأنا لن أخطر بحياة أحد

إن لم أكن أعلم ما في قلبك، قلت أنك لم ترغب بها من البداية

_ أنا معدتش فاهم حاجة

لنتظر له في تعجب قائلة..

_ ماذا قلت؟

ليخرج زفيره قائلاً..

_ لم أعد أفهم ما الذي يحدث معي؟ لقد سئمت من كل أمل يعود إلي ثم يسلب

عليك أن تثق يا بني إن كل شيء يصير لنا يكون له سبب من ورائه بالتأكيد، هناك سبب لوجودك هنا ابحث عنه حتي تجد ما تريد.

ليصمت قليلا وتقوم هي بوضع يديها علي رأسه قائلة..

_ افرغ عقلك من ماضيك حتى تنعم بالحاضر وتفوز بما أتى.

ثم أردفت بعد أن نظر إليها مبتسما..

_سوف أذهب لإحضار بعض الزيوت من قلب بيان، وعندما أعود لا أريدك في البيت لا يجب أن تترك صديقك وحده في الخارج.

خرجت وذهبت إلى قلب بيان لتسأل عن نوع من الزيوت، ولكنها لا تجده إلى أن أخبرها أحدهم عن وجوده في متجر كبير لتتردد في الذهاب له، ولكنها تقرر أن تقدم على تلك الخطوة، قد حان أوانها لتقف أمام المتجر، وتتقدم بعض خطوات حتى نهض إليها كبير وهو ينظر لها في هدوء حتى قاطع نظراته سؤالها عن حاجتها، ولكنه بعد لحظات طلب منها أن تعيد عليه السؤال وعندما أعادته أحضر لها ما تشاء ولما اقترب منها نظرت صوب عينيه قائلة:..

_تلك النظرة تذكرني بأحدهم ولكنها تختلف في الشعور.

كاد أن يتحدث ولكنها أردفت:..

_لا أعلم ما الذي يجب علي قوله؟ ولكنني أعلم ما مررت به، ولكنني أدرك أيضاً أنك تستطيع أن تسامحني هكذا كان ظن أخوك بك.

لتمتلئ عينه بالدموع ويبعد وجهه عنها في سرعة حتى يهدأ ويلتفت لها ولكنه لم يجدها أمامه.

قد عادت إلى البيت وهي تمر على نائز الذي ذهب إلى مكان تجمع العرس وتقسيم الأماكن وفصلها وتحديد مكان التقاء العروسين ووضع الحواجز الحريّة حيث قال نائز:..

_ كيف ستعلم أن إحدى هذه الحواجز يوجد خلفها عروسين؟
حيث أنه أخبره أن قلبه من سيدله، وبعد يومين بدأ العرس بعد الغروب
بساعة وتجمع أهل القرية وتواجد النساء في البقعة الخاصة بهم وكذلك
الرجال في بقعتهم ليكونوا دائرة حول شديد وهو جالس في المنتصف وتبدأ
الأسئلة التي يجب عليه أن يجيب عليها بكلمة واحدة حتى يدر كوا فصاحته
وعلمه:.

_ هل تعلم ما الذي أنت مقبل عليه؟
ليجيب في هدوء:.

_ شروق.

_ ما أحب الأسماء إلى قلبك.

_ شمس.

_ ما الذي تنتظره الآن؟

_ الغد.

_ وماذا تكون غدا؟

_ حرا.

في نفس الوقت كانت النساء من أهل القرية يسألون العروس:.

_ كيف يكون لك الامر؟

_ سعادة.

وما هي السعادة؟

وهم.

إن رفضك الآن ما الذي ستفعلينه؟

أهرب.

إلى أين؟

قلبه.

ولم؟

دافئا.

وعندما انتهى الرجال من أسألتهم إلى شديد، قام الرجال بالنهوض طالبين من شديد حمل الحجر والسير به ثلاثة دورات دون أي تراجع في خطوته حتى يعلموا أنه ثابت في قراراته، واثقا من نفسه عندما يكون حمل الحياة ثقيلًا، وعندما أحضروا الحجر طلب من العروس أن تفعل ما يلزم حتى يتخطى هذا الاختبار حتى، وقف شديد جوار عروسه وقام بحمل الحجر وهي تمسك خصره، وتلف معه إلى أن قام رجل بعد انتهاء الدورة الأولى بوضع العصا والصخور الصغيرة أمام شديد حتى يعرقل حركته، ولكن سرعان ما قامت خلاء ببعادها من أمامه، وأكملت السير معه وفي نهاية الدورة الأخيرة قامت إحدى النساء بسحب يد خلاء حتى تبعد عنه، ولكنها ظلت متمسكة به وكادت يديها أن تفلته ولكنه أمسكها باليد الأخرى وأكملوا دورتهم الأخيرة. في ظل صياح كل من في المكان ووضع شديد

الحجر أرضاً ثم نظر في عين خلاء وقد بدا عليه السعادة، وعندما انفصلوا وجلس كل فرق منهم في مكانه قام شيخان قائلاً:.

_حان وقت التغريد.

ليقوم كل من الرجال بإخراج ورقة مكتوب بها اسمه وعمله واسم فتاة التي يرغب بالزواج منها وانتظار إشارة البدء وعندما حانت قام الرجال برمي الورق تجاه النساء التي كانت تنظر أرضاً على أمل أن تأتي لها إحدى تلك الأوراق في حين سيكون نائر وخمول ضفيرة ليمر الوقت وتقوم النساء بإلقاء الأوراق مرة أخرى والتي يوجد فيها الرفض أو القبول، عندها قام أحد الرجال صارخاً أنا ثابت أعلن عن رغبتني بالزواج من زيرا ابنة السيد طاجر يقوم السيد طاجر قائلاً: ونحن قبلنا بك لتعلو الصيحات والدقات في المكان ويقوم الآخر والآخر ليعلموا عن رغبتهم عندما وجدوا القبول من تلك الفتيات، ومع ذلك كان هدوء ضفيرة و نائر لا مثيل له، وكان الفرحة امتنعت عن دق بابهم في حين أن أطفال القرية مجتمعين بالقرب من مكان العرس وبدأ على سليم السعادة بجوار صديقه فارس حتى أتى أحد الرجال. وقال له: إن والدك يطلبك تعال معي، وعندها اتسعت عيناها واشتد به الفرح، وقام معه مسرعاً حتى أخذه على حصانه، وانطلق به وما إن لاحظ صديقه هذا ذهب إلى أمه قائلاً:.

_يا أمي لقد أتى رجل وأخذ صديقي.

_ماذا تقصد يا بني؟

_لقد أتى أحدهم وقال إن والدك يطلبك. وذهب معه على حصانه في هذا الاتجاه.

انتفضت في رعب ولم تكن تعلم ما الذي عليها فعله حتى ذهبت إلى جيلان، وأخبرتها بما حدث وبدأ القلق يتسرب إلى قلبهم حتى رأى نامق ما حدث فذهب إليهم بعد أن أشاروا إليه وعندها تبعه نائر ليسمع:.

_ماذا تقولون؟

_ لقد تم اختطافه يجب أن أعلم السيد شيحان؛ ليلتف ويجد نائر خلفه قائلاً:.

_من تقصد؟

لقد أخذ أحدهم فارس وذهب باتجاه المدينة ليسمعوا صوت ضفيرة:.

_فارس ابني أين أنت؟

وهي تبحث في المكان.

ليعلو صوتها قليلاً فارس يا بني.

للتقدم لها جيلان وتحاول أن تهدئها حتي أتى إليها شيحان سائلاً عما يجري، وعندها نظرت جيلان إليه وأخبرته أن يذهب مع ابنته إلى البيت، الآن حتى لا تلاحظ العامة شيئاً.

عندها سمعت:.

_أشعر أن قلبي يؤلمني أين ابني؟

ليتقدم إليهم نامق قائلاً:.

_لقد ذهب نائراً.

لتقول جيلان:..

_ما الذي سيفعله هذه المرة؟

_عليك اللحاق به أسرع حتى قال شيخان:..

_ما الذي يحدث هنا؟

انطلق نائراً مسرعاً إلى المدينة.

وتتداخل الأفكار داخل عقله ولا يرى أمامه إلا أسروما سيفعله به، وما إن انقضى يوماً وليلة إلا وقد دخل إلى المدينة متجهاً إلى بيت أسر الذي ظل يهين الرجل الذي أرسله إلى بيان:..

_ما الذي دهاك أيها الأحمق كيف لك أن تجلبه إلى هنا؟

_أنا وصلت منذ قليل ولا أعلم مكان آخر غير أن حراس المدينة في كل شارع.

_هل راك أحد؟

_لا يا سيدي، حتى عندما أخذته من بيان أتى معي دون أي عناد ولم يلاحظ أحد شيئاً.

_حسنأأحضره حتى نذهب به إلى الغرفة.

وعندماأأحضره نظر له أسر في غضب قائلاً:..

_هذا ليس ابن نامق أيها الأحمق.

ثم أردف بعد أن نظر له:.

_من يكون هذا؟

عندها سمع صوت صراخ في البيت ناطقا باسمه، وعندما خرج وجدته نائرا الذي ظهر على ملامحه الغضب زاد في عينيه الجحيم عندها غادر الرجل وترك الطفل بجوار أسر الذي قال:.

_لم أكن أعلم أي سأراك مجددا.

لينطق الطفل العم نائر ويذهب إليه، ولكن أسر يمسك به ويخرج خنجرا، ويضعه على رقبته وعلى وجهه ابتسامه يملأها الخبث حتى قال نائر:.

_هل تظن أنك ستنجو بفعلتك هذه المرة؟

ليرد عليه:.

_أنت الذي لن ينجو.

ليقول الطفل:.

_ما الذي هناك يا عم نائر؟ إني أشعر بالخوف.

_لا تقلق لن يقوَ على فعل شيء.

ليرد أسر:.

_أتظن ذلك؟

لينظر إلى الطفل قائلا:.

_لنرى ما الذي يعنيه لك أن وضعت هذا هنا؟

ثم قام بوضع الخنجر أسفل ذقنه.

ليقول نائر في سرعة:.

إنه ابنك.

نظر إليه في غضب قائلاً:.

ألم تكتفي من الخداع بعد؟

ليصمت نائر ويتحدث الطفل قائلاً:.

أريد العودة يا عم نائر لا بد وإن أُمي قلقه على غيابي.

لينظر له أسر قائلاً:.

ومن تكون أمك؟

أُمي صغيرة.

لتتسع عيناه ويشعر بجفاف في حلقه قائلاً:.

صغيرة ابنة شبحان.

نعم.

ليقول نائر:.

أخبرني ما هو شعورك وأنت على وشك أن تذبح ابنك؟

ولكن أسر ظل صامتا ينظر له في رعب لا يصدق حتى اقتحم نامق و بندق

ورجاله البيت عليهم ويحاصرون البيت ليفيق أسر من غفلته صارخا:.

ابتعدوا من هنا.

لتخرج زوجته من غرفتها في قلق وتري أسر يمسك الطفل ويبيده خنجر
ويحاصروه الرجال لتصرخ:..

_ماذا هناك؟

لينظر لها أسر وقد أدرك أن لا مفر من فعلته أخذ الطفل إلى إحدى الغرف
مسرعا، وذهب ثائر والبقية خلفه حتى قال أسر:..

_من يقترب مني سأريه الجحيم.

ليقول ثائر:..

_لقد انتهى الأمر.

_لا لم ينته بعد.

لتخبره زوجته أن يهدأ ويخبرها بما يحدث.

ليقول:..

_أحضروا بدر حتى يرى ثمرة أعماله.

دعوه يرى ماذا يكون عليه ذلك الدنيا. أحضروه إلى هنا حتى يشهد على ما
سأفعله.

ليصرخ الطفل باكيًا يطلب من ثائر أن يأتي ويأخذه ولكن صياح اسر كان
أعلى:..

_تلك هي الأرض التي لا تغلق أبوابها امام أبنائها تلك أنعم أرض في هذه
الحياة قد أوقعتم بنا نعم آل زنيم لا حق لنا هنا أخبرونا أننا لا حق لنا في
الحياة على تلك الأرض، لقد استغل كل واحد منكم حاجتنا وضعفنا

وأصبحنا أذلاء من أجل إطاعة أمركم، اتركوا أهل أرضكم كلها تأتي وتنظر إلى ما صنعتموه لا رحمة لا أخلاق خداع ونفاق، لقد أوشكت على ذبح ابني ما الذي حولتموني إليه، أحضروا بدر.

لتبدأ (تينا) في الانتباه إلى زوجها غير مصدقة لما تسمع حيث أردف:.

_لم أكن أرغب بشي سوى العيش كباقي أهل تلك الأرض، ولكنه يجب أن يراني زنيم حتى يشعروا بالشرف يجب أن أكون قذر حتى يكون ساميا عن باقي إرم إنها حقيقتكم ولا تخالفوها.

لتبدأ دموعه في النزول وأردف:.

_أخبروهم عني أنا زنيم حتى يكونوا شرفاء لقد عانيت من أجل راحتهم، ونسوا أن إرم قد أعطتنا الحياة لا خلاف فيها، ولكنهم من أرادوا هذا. ليقاطعه بندق:.

_أنت أجمرت في حق إرم.

ليرد عليه:.

_لقد أجمرت أهل إرم في حقي أولا حتى لا أصبح سوى زنيم خاضع، ويجب أن أتحرر من هذا.

ثم نظر إلى الطفل ودفعه بعيدا عنه وأشهر خنجره وطعن نفسه ليقع أرضا صارخا:.

_قريبا ستعود إرم إلى ما كانت عليه.

لتندفع إليه زوجته وتمسك به وهي تبكي.

_ لا يا أسر لا تتركني.

_ هذه الأرض ليست لنا.

لينظر لها نائر وهو ممسك الطفل ولأول مرة يشعر بالشفقة عليه ليخطف نظره (تيناً) التي ظلت تبكي وتصرخ:.

_ لا يا حبيبي أفق ابقى معي يا أسر لا تتركنا أفق يا حبيبي.

وصرخات تملأ المكان حتى أتى غيث ابنه واندفع من بين الموجودين ليرى والده ملقى على الأرض والدماء عليه صارخاً:.

_ أبي.

لينظر له نائر ويشعر بألم في قلبه وهو ينظر إلى زوجة وابن قد فقدوا أغلى ما عندهم ليحمل الطفل ويخرج من البيت وعقله لا يستجيب إلى حديث فارس الذي ظل يسأل عن كل ما حدث إلى أن تبعه نامق قائلاً:.

_ يجب أن نعود إلى بيان.

لينظر له قائلاً:.

_ هذا ليس صواب يا نامق ليس بالشيء الصحيح.

أحضر بندق عربية لهم حتى توصلهم إلى بيان بعد أن تحدث مع نامق وعادوا إلى القرية في مساء اليوم التالي، وقد وجدوهم في انتظار لتندفع ضفيرة إلى ابنها وتحضنه وتقبله في شوق حتى قال لها:.

_ لقد رأيت أبي.

لتأخذه إلى البيت ويقف شيحان مع نامق حتى أخبره بكل ما حدث ودخول
ثائر إلى غرفته وتبعته جيلان لترى حاله، ولكنها تتلقى منه كلمات لم
تصدق أنها قاتلها بعد ما حدث فيه من أسر وما هي إلا أيام وقد أتى بندق
إلى بيان وأخبرهم عن محاكمة بدر ونفيه خارج أرض إرم واستطاع نامق
وشديد العودة إلى المدينة واستكمال حياتهم حيث قبلوا بهذا وقيام شديد
ونامق بتحديد يوم عودتهم أما ثائر لم يكن يعلم ما الذي سيفعله الآن؟، وفي
يوم عاد من عمله ومر على جمع من الناس حيث وجد أحد الرجال ملقى
على الأرض ليتقدم إلى ثائر في فزع قائلاً:.

ـ خالي.

لننظر إليه الناس وهو يرتمي عليه وممسك به بشدة ويتلفظ بكلمات لا
يفهموها.

ـ مش معقول قوم معايا قوم حد يجيب دكتور.

إلى أن انهار باكياً، وظل يتمتم بكلمات لا يفهموا منها شيئاً حتى قال:.

ـ سامحني كنت غلطان إني سبتكم. سامحني.

وضمه إلى صدره ثم نظر إلى السماء صارخاً:.

ـ يارب.

انتهى الغداء وقام خالد بالصعود إلى بيته ليجد ندى في حالة يرثى لها حتى
تقدم، واحتضنها من الخلف قائلاً:.

ـ عمري ما محسبك بغيابه أبدا.

لتبدأ في البكاء وهي تمسك يده بقوة قائلة: .
 _كنت حاسة إن فيه حاجة قلبي كان حاسس .
 _اهدي يا ندى دا قضاء وقدر أنا جمبك ومش هسيبك .
 _ذنبه إيه كريم بيتيم في السن ده .
 _يا حبيتي ربنا يخليكي له اهدي متخليش الولد يخاف .
 ليدخل عليهم كريم ويجلس جوارها وينظر صوب عينيها في هدوء لتضمه
 في شوق حتى انقضى الليل.....

يتقدم شديد قائلاً: .
 _ما الذي حدث يا نامق ومن ذلك الرجل الذي ظل يصرخ عليه خالي؟
 إنه في حالة يرثى لها، وقد جلبت له الطبيب ولا أعلم ماذا حل به؟ ولكنه
 يقول إنه ضعيف إلى الغاية ويحتاج إلى عناية، أما الرجل غريب عليه ولم
 أرى نأثر معه يوماً حتى ابنه تفاجأ مما رأى ولا يعلم ما صلة نأثر بوالده.
 لتقاطعهم جيلان: .
 _إنه شيء غريب أن تصدقوه ولكنني أفعل .
 _ماذا هناك يا سيدة جيلان؟
 لتصمت قليلاً ثم تقول: .
 _لا شيء يجب أن تذهبوا إلى المدينة كما خططتم .

ليرد شديد:.

ـونترك صديقنا لا يمكن.

سأرافقه الأيام المقبلة وأظل معه حتى يستعيد عافيته، ولكن عليكم
المغادرة.

ـلم علينا ذلك؟

ـاستمع إليّ يا شديد ولا تجادلنا.

ليقول نامق:.

ـحسنا يجب أن نطمئن عليه أولاً.

ليدخلوا إليه وهو ملقى على الفراش. وبالكاد يفتح عينيه لقول شديد
مازحاً:.

ـما بك أيها القوى؟ انهض.

ويقترب نامق قائلاً:.

ـكنت أود أن نذهب في نزهة قبل ذهابنا مثل تلك الليلة أتذكرها؟.

ولكن لا يقوى ثائر إلا على الابتسامة في هدوء وأتى من خلفه فارس،
وامسك يده ونظر إلى أمه وهو يسأل عن حال ثائر لتخبره أنه بخير ولكنه
يحتاج إلى أن ينام قليلاً، ويسألها ألم يأتي معانا إلى المدينة؟ لتخبره جيلان
أنه سيأتي بعد أن ينجز بعض الأعمال هنا، ومر الوقت وبدأ كل منه بتجهيز
نفسه للرحيل حيث قامت خلاء بتوديع أهلها وصديقتها بعد أن وعدتها أن
تأتي لرؤيتها كل عام، وقبل الغروب قد رحلوا وجلست جيلان في البيت مع

ثائر وهي تتحدث له حتى تخفف من عليه الحمل حتى أتت ضفيرة، وطرقت الباب هي وابنها لتطمئن عليه، وعندما جلست جواره ظلت تتأمله والطفل يحدثه ولكنه لا يقوى على الرد، وقامت جيلان بإحضار الطعام حتى يمضغه ولكنه لم يقوى وقامت ضفيرة، وطلبت أن تعطيه هي الطعام في تعامله مع حالته من قبل، ولكنها تطلب منها أن تأخذ ابنها للخارج، وعندما فعلت قامت بمضغ الطعام في فمها ليمتزج بلعابها وتميل عليه حتى تضعه في فمه وهي تنظر صوب عينيه وتبعد خصلات شعرها من على وجهه وأعادت فعلتها، وكان ثائر ييلع الطعام في سهولة وعندما حانت آخر مرة ظلت قريبة منه تنظر إليه في تأمل وفي عقلها الكثير من الكلمات إلى أن سمعته يهمهم في ضعف.

_سمحيني يا ندى.

ابتسمت له ثم ابتعدت قليلا لتدخل جيلان مع شيحان الذي أتى للاطمئنان عليه، وبعد مكوئهم قليلا غادر بعد أن طلب شيحان من ابنته أن تلازم جيلان حتى يستعيد ثائر وعيه ثم يخرجوا من البيت وتذهب جيلان إلى غرفتها للراحة قليلا، تاركة ثائر في غرفته المظلمة حتي يرتاح وفي منتصف الليل سمعت صراخ أحدهم يستغيث من الغرق لتقوم في فزع، وتفتح الباب وتتنظر خارجا، ولكنها لم تجد أحدا، ولكنها بعد مرور بعض الوقت سمعت صراخا بعيدا لتذهب إلى غرفة ثائر، ولا تجده ليخفق قلبها في رعب وتتساءل عن مكانه ولا تعلم لماذا أخبرها قلبها أن تذهب إلى شاطئ بيان، وعندما ذهبت وجدت أحدهم في مركب متجهة إلى البقعة ذاتها لتتنظر

حولها، ولا تجد أحد لتقوم بجلب إحدى القوارب في ضعف من جسدها
وتبحر خلفه وهي تقول:..

لن أدعك هذه المرة.

إلى أن اشتدت الرياح، وعلت الامواج وسمعت صوت الصراخ والممتزج
بالأمواج والرياح الشديدة العاصفة، ورأى ثائر أمامه الضوء الأبيض
وصوت يخبره أن قلبه ليس في المكان الصحيح إنه العالم الذي أردت أن
تعيش فيه عالمك الموازي الذي التقيت فيه بأهلك بعد أن تركتهم هروبا
من ذاتك، وما إن غفل عنه وفتح عينيه مرة أخرى وجد نفسه على فراش
والغرفة بها إضاءة خفيفة حاول النهوض في ضعف، ويسير باتجاه الباب
ويفتحه لتتسع عيناه في ذهول ويسمع عقله يخبرك....

_ أن قلبه ليس في المكان الصحيح.

نهاية الجزء الاول
